

الأطهار

الحكيم المتأله ضيادر الدين محمد الشيرازی
المحقق:

الأستاذ السيد جلال الدين الأشتياني

فلسفه اسلامی: ۲۱ (فلسفه و عرفان: ۴۲)

تخصصی (پژوهشگران و اساتید حوزه و دانشگاه)

۵۱۱

۲۳۵۴

کتابهای استاد سید جلال الدین آشتیانی/۵

صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم، ۹۷۹ - ۱۰۵۰ ق. .
المظاهر الإلهية / لصدر الدین محمد الشیرازی: تحقیق السید جلال الدین الآشتیانی . - (ویراست ۲) متفحة . -
قم: مؤسسه بوستان کتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامی)، ۱۳۷۷.
[۲۰۴] . - (مؤسسه بوستان کتاب: ۵۱۱ . کتابهای استاد سید جلال الدین آشتیانی: ۵) (فلسفه اسلامی:
۲۱ . فلسفه و عرفان: ۴۲)

ISBN 978 - 964 - 371 - 667 - 7 - ۲۴۰۰۰ ریال: ۷ - 667 - 371 - 964 - 978

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیبا.

ص . ع . به انگلیسی: al-ustath as-Sayyid Jalal-id-Din al-Ashtiyani. al-Mathahir ul-Ilahiyyah
il-Hakim il-Muta'allih Sadr-id-Din Muhammad ash-Shirazi [al-Mathahir
ul-Ilahiyyah of Divinely-Inspired philosopher Sadr-id-Din Muhammad ash-Shirazi]

کتابنامه به صورت زیر نویسی.

چاپ سوم: ۱۴۲۹ ق. = ۱۳۸۷ .

۱. فلسفه اسلامی - متون قدیمی تا قرن ۱۴ . الف. آشتیانی، سید جلال الدین. ۱۳۰۴ - مصحح.
ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیّه قم، مؤسسه بوستان کتاب. ج. عنوان.

۱۸۹/۱

BBR ۱۱۱۰

۱۳۸۷



المظاہر الإلهية

للحكيم المتأله صدر الدين محمد الشيرازي

التنقيح الثاني

تحقيق: الأستاذ السيد جلال الدين الأشتياني

المظاهر الإلهية

- المؤلف: الحكيم المتأله صدرالدين محمد الشيرازي ● المحقق: الأستاذ السيد جلال الدين الآشتياني
- الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)
- المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ● الطبعة: الثالثة / ١٤٢٩ ق، ١٣٨٧ ش
- الكمية: ١٢٠٠ ● السعر: ٢٤٠٠ تومان

جميع الحقوق © محفوظة

printed in the Islamic Republic of Iran

- ✓ العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧، الهاتف: ٧ - ٧٧٤٢١٥٥، الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤، الهاتف: ٧٧٤٣٤٢٦
- ✓ المعرض المركزي (١): قم، شارع شهداء (بتعاون أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب)
- ✓ المعرض الفرعي (٢): طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (بشن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥
- ✓ المعرض الفرعي (٣): مشهد المقدسة، تقاطع خسروي، مجمع ياس، الهاتف: ٢٢٣٣٦٧٢
- ✓ المعرض الفرعي (٤): أصفهان، تقاطع كرمان، گلستان كتاب، الهاتف: ٢٢٢٠٣٧٠
- ✓ المعرض الفرعي (٥): أصفهان، ساحة انقلاب، قرب سينما ساحل، الهاتف: ٢٢٢١٧١٢
- ✓ التوزيع: بكتا (توزيع الكتب الإسلامية والإنسانية) طهران، شارع حافظ، قرب تقاطع كالج، بداية زقاق بامشاد، الهاتف: ٨٨٩٤٠٣٠٣
- ✓ وكالات بيع كتب المؤسسة في البلد وخارجه (المنضم إلى ورقة الاستطلاع للآثار في نهاية الكتاب)

البريد الإلكتروني: E-mail:bustan@bustaneketab.com

استلام الرسالة (SMS): ٩٠٠٢١٥٥

الآثار الحديثة في المؤسسة والتعرف إليها في «وب سايت»:

مع جزيل الشكر والتقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في استخراج هذا العمل منهم:

- أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ● أمين لجنة الكتاب: جواد آهنگر ● المتق: احمد عابدى ● الملخص العربي: سهيله خاني
- الملخص الإنجليزي: عبدالمجيد مطوريان ● فييا: مصطفى محفوظي ● المنضد: سيد صادق حسيني ● التطبيق: رحيم كارگر و
- غلامرضا معصومي ● مدير الإنتاج: عبدالمهادي اشرفي ● تصميم الغلاف: امير عباس رجبي ● الاعداد: سيد رضا محمدی
- طلبات الطبع: علي عليزاده وبقية الزملاء ● شؤون الطباعة: مجيد مهدوی وبقية الزملاء في قسم الليتوغرافيا، الطباعة والتجليد.

السيد محمد كاظم الشمس

فهرس المطالب

١١.....	مقدمه چاپ دوم
١٣.....	شرح حال مؤلف
١٥.....	تحقيقات مؤلف
٢٤.....	فهرست آثار مؤلف
٥١.....	تقریظ دکتر علی اکبر فیاض
٥٣.....	مقدمة التحقيق
	خطبة الكتاب و بيان أنّ افضل الحسنات ورئيس الفضائل اكتساب الحكمة الحقّة وتكميل
٥٥.....	القوة النظرية والعملية
	المقدمة : في أنّ الحكمة افضل العلوم ورئيس الحسنات ، واعظم الكمالات ، وبيان معرفة
٥٧.....	ذاته تعالى وصفاته وافعاله ، وكيفية صدور الاشياء منه ورجوعها اليه

الفن الاول : في الإشارة إلى معرفة المبدأ الاقصى

والغاية القصوى وكيفية أفعاله المترتبة وفيه مظاهر

٦١.....	المظهر الاول : في الإشارة إلى عمدة مقاصد الكتاب الإلهي التي هي الحكمة الحقّة والغاية المطلوبة
٦٢.....	تبصرة
٦٧.....	المظهر الثاني : في إثبات وجوده تعالى بطرق مختلفة

٧٠	توضيح عقلي
٧٢	تنبيه
٧٤	المظهر الثالث : في توحيده تعالى في وجوب الوجود
٧٦	تكلمة في واحدته واحديته تعالى
٧٧	برهان عقلي
٧٨	تحقيق عرشي في توحيد صفاته الكمالية
٨٠	المظهر الرابع : في تحقيق اسمائه وصفاته وبيان صفاته الحقيقية والإضافية والسلبية
٨٣	تحقيق
٨٤	تبصرة
٨٦	لمعة
٨٦	تكلمة
٨٨	المظهر الخامس : في علمه تعالى بذاته وبغيره وبيان أقسام العلم ومراتبه
٨٩	اشراق
٩٠	حكمة مشرقية
	المظهر السادس : في دوام إلهيته وبيان كلامه ، وتحقيق الفرق بين الكتاب والكلام على
٩٨	نحو التفصيل
٩٩	تحقيق
١٠٠	في بيان أقسام الفاعل وتحقيق كيفية فاعليته للأشياء
١٠١	توضيح
١٠٤	اشراق عقلي
١٠٥	هداية
	المظهر السابع : في تحقيق حدوث العالم وكون وجوده ووجود كل ما فيه مسبقاً بالعدم
١٠٨	الزمانى ، وبيان الحركة الجوهرية وتحقيق دنور العالم وزواله
١٠٩	برهان عقلي

فهرس المطالب / ٧

١١٠	تكملة
١١١	تحقيق عرشي
١١٢	استبصار عقلي
١١٤	المظهر الثامن : في كيفية البدء والإعادة والإشارة إلى سلسلتي الهبوط والصعود
١١٥	كشف وإضاءة
١١٧	تنبيه
١١٧	تحقيق
١١٩	تكملة
١٢٠	تنبيه
١٢١	تتميم

الفن الثاني : في المباحث المتعلقة بالمعاد وفيه مظاهر

١٢٥	المظهر الاول : في إثبات المعاد الجسماني وبيان الأقوال فيه
١٢٧	تحقيق
١٢٨	كشف غطاء
١٢٩	تحقيق في دفع حجج الخصوم
١٣١	تذنيب
١٣٢	المظهر الثاني : في أنّ الإنسان يبعث بجميع قواه وجوارحه
١٣٢	تحقيق
١٣٣	تنبيه
١٣٥	المظهر الثالث : في حقيقة الموت وبيان الاجل الطبيعي والفرق بينه وبين الموت الإخترامي
١٣٧	تنبيه
١٣٩	المظهر الرابع : في بيان ماهية القبر وعذابه وثوابه
١٤١	كشف غطاء

١٤٢	اشراق.....
١٤٤	المظهر الخامس : في البعث وكيفية حشر الإنسان وظهوره في العالم.....
١٤٥	تكملة.....
	المظهر السادس : في الحشر وتحقيق أن الزمان علة التعاقب وسبب اختفاء الموجودات ،
١٤٨	وعند ارتفاع الزمان والمكان تجتمع الخلائق كلهم.....
١٤٩	توضيح.....
١٤٩	اشراق عقلي.....
١٤٩	حكمة كشفية.....
١٥٠	قاعدة في سر القيامة وزمانها ومكانها.....
١٥١	تذنيب.....
	المظهر السابع : في الصراط وبيان أنه طريق الحق ودين التوحيد ، ونقل الروايات الواردة
١٥٢	عن الأئمة (عليهم السلام) في الصراط.....
١٥٣	زيادة كشف وتوضيح.....
١٥٤	تنبيه في أحوال تعرض القيامة.....
	المظهر الثامن : في نشر الصفات وإبراز الكتب ، وكيفية بروز السرائر في القيامة الكبرى
١٥٦	والصغرى.....
١٥٨	تتميم في الميزان والحساب.....
١٦٠	تحقيق.....
١٦١	تذكرة في الحساب.....
١٦٢	تبصرة.....
١٦٢	تنبيه.....
١٦٣	تذنيب في أن الجنة والنار حق.....
١٦٤	خاتمة في أحوال تعرض يوم القيامة.....
١٦٥	إشراق في معنى النفخ.....

فهرس المطالب / ٩

- ١٦٧ استبصار في الإشارة إلى الزبانية
- ١٦٨ اشراق عقلي في سرّ شجرة طوبى وشجرة الزقوم
- ١٦٩ توضيح في حقيقة الدنيا والآخرة
- ١٧١ قاعدة في تحقيق الخلافة
- ١٧٢ كشف تنبيهي في بيان الفرق بين النبوة والشرعة والسياسة
- ١٧٢ تحقيق في سبب الرؤيا الصادقة
- ١٧٤ تذكرة في أضغاث الأحلام وهي المنامات التي لأصل لها
- ١٧٥ تكملة في معرفة سبب العلم بالمغيبات في اليقظة
- ١٧٦ وصية من المصنف العلامة

تعليقات على المظاهر الإلهية

- ١٧٩ تحقيق في بيان مرامه في المعاد ودفع الإشكالات الواردة على مختاره (قدس سرّه)
- ١٨٠ بيان مقدمات المعاد الجسماني بناءً على طريقة المصنّف (قدس سرّه)
- ١٨٣ تحقيق عرشي
- ١٨٤ نقل و اشكال ، بحث و تحقيق
- ١٨٥ نقل و تزييف
- ١٩٣ نقل و تحقيق
- ١٩٧ وهم و تنبيه

مقدمه چاپ دوم

بسمه تعالی

پس از قریب به نیم قرن، رسالۀ المظاهر الإلهية به راهنمایی و همت دوست عزیز و فاضل گرامی، جناب حجة الاسلام آقای سید محمدکاظم شمس، فرزند سرور عالیقدر این جانب، قدوة الفقهاء العظام، حجة الإسلام والمسلمين، آية الله في العالمين حضرت آقای سیدحسین شمس (مدّ ظلّه العالی) به زیور طبع جدید آراسته، و موجب تقدیر و تشکر گردید.

از دوست معظم و فاضل محترم جناب آقای وفادار ـ که لطف کرده تعلیقات مختصر اما بسیار سودمند حکیم محقق آقا میرزا حسن نوری فرزند برومند آخوند ملاعلی نوری (رضوان الله علیهما) را در اختیار حقیر قرار دادند ـ نیز سپاسگزارم.

مشهد مقدس

سید جلال الدین آشتیانی

شرح حال مؤلف

مصنف عظیم الشان این کتاب، محمد بن ابراهیم بن یحیی قوامی شیرازی معروف به صدر المتألهین است که از اعظم حکمای اسلام و افاضل فلاسفۀ دوران و مفخر علمای عالم به شمار می رود؛ بلکه می توان او را بزرگترین فیلسوف در علوم الهیه دانست. در این حکیم بی نظیر جهاتی از فضیلت موجود بوده است که همه آن جهات در کمتر کسی تحقق پیدا می نماید؛ دقت نظر در مباحث عقلیه به حد اعلا و تتبع و احاطۀ کامل به مباحث فلسفی و اقوال اهل دانش و معرفت، سرعت انتقال و قریحه و ذوق سرشار، قدرت فکری و قوت و استعداد کم نظیر در تحقیق معضلات و حسن سلیقه در انتخاب مطالب، صفا و روشنی ضمیر، اعراض از تجملات ظاهریه، اشتغال تام به ریاضات و مجاهدات شرعیه، پیروی از طریقۀ حقۀ انبیا و اولیا علیهم السلام، همه این فضائل در مصنف این کتاب جمع بوده است.

از قراری که در کتب خود تصریح نموده است، بعد از تکمیل تحصیلات علوم عقلی، به مطالعه و تفحص و سیر در آثار حکما و فلاسفۀ عرفا و متکلمین پرداخته و به افکار پیشینیان (در علوم الهیه) محیط و مسلط گشته و بعد از اطلاع تام و کافی به آثار قدما و متأخرین در مسائل الهی و مباحث حکمی، اجتهاد و اظهار نظر نموده است و بعد از پروراندن مبانی خویش با سبک خاص و روش مخصوص، عقاید و آرای علمی

خود را به صورت تصنیف و تألیف در آورده و در معرض استفاده اهل فن قرار داده است. بعد از ظهور و پیدایش کتب و آرای فلسفی او، به نحوی بزرگان علم و معرفت و دوستان فاضل از افکار آن جناب استقبال نمودند که کتب بزرگان فلسفه اهمیت خود را از دست داده و کتب آن فیلسوف بزرگ، نظریات و آثار حکمای قبل از خود را تحت الشعاع قرار داد.

این حکیم گرانمایه در عصر خود مورد اذیت و تعدی و ظلم بی شمار واقع شد و مخالفان علم و فضیلت به طرق مختلف، از آثار او جلوگیری نمودند. به همین جهت به بعضی از دیار مقدسه پناه برد^۱، ولی این امر به نفع او تمام شد و به واسطه اختیار انزوا و عزلت از خلق و یأس از مردم و توجه تام به حق، مورد افاضات خداوند قرار گرفت؛ در مقدمه کتاب أسفار به همین معنی اشاره نموده است: «فكنت اولاً كما قال سيدي و مولاي و معتمدي و رجائي؛ أوّل الأئمة و الاوصياء و أبو الأئمة الشهداء قسيم الجنة و النار، أخذاً بالتقية و المداراة مع الأشرار: طفقت أرثني بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء. فصرت ثانياً عنان الاقتداء بسيرته عاطفاً وجه الهداء بسته، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، فأمسكت عناني عن الاشتغال بالناس و سهلت عليّ معاداة الدوران و معاندة أبناء الزمان، فتوجهت نحو مسبب الأسباب، تضرعت إلى مسهل الأمور الصعاب، فلما بقيت على هذا الحال، اشتعلت نفسي لطول المجاهدات اشتعالاً نورانياً و التهاب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قوياً، ففاضت عليها أنوار الملكوت»^۲.

مصنف در پروراندن مسائل غامض اعجاز نموده است، مشکلترین مطلب را به صورتهای مختلف و عبارات گوناگون بیان نموده است؛ لذا کتب او از این جهت نیز بر

۱- در مقدمه أسفار گوید: «فالجانني خمود الفطنة و جمود الطبيعة لمعاداة الزمان و عدم مساعدة الدوران إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار و استترت بالخموم و الانكسار» مرادش از بعض نواحی، دیار شهر مقدس قم محل دفن حضرت معصومه - سلام الله علیها - می باشد، مدتی در کهک (یکی از قرای قم) ساکن بوده است.

۲- «الأسفار الأربعة»، ج ۱، ص ۷.

شرح حال مؤلف / ۱۵

کتاب سایر فلاسفه ترجیح دارد؛ بین تحقیق تام و تتبع کامل و دقت نظر به حد اعلا جمع کرده است، در حل هیچ مشکلی عاجز نمانده و در جمع بین مبانی حکمی و حکمت بحثی و قواعد ذوقی و عرفانی نظیر ندارد؛ در سلوك علمی و فهم حقایق و حل غوامض، همیشه راه اعتدال را پیموده است و از تعصب خشک و بی جا و طرفداری یک جانبه خودداری نموده است.

تحقیقات مؤلف

مطالب و تحقیقات جالب توجهی که سرنوشت فلسفه را عوض کرده است و صدر المتألهین را بزرگترین فیلسوف و یکه تاز میدان حکمت و فضیلت معرفی نموده، در کتاب او زیاد است؛ برای نمونه قسمتی از آن را به طور اختصار و فهرست وار ذکر می کنم:

۱- مسأله اصالت وجود و اعتباریت ماهیت و تحقیق وحدت حقیقت وجود است که به منزله روح و اساس مباحث الهی است و حل بسیاری از غوامض فلسفه ماوراء الطبیعه بر آن توقف دارد؛ این اصل مهم فلسفی تا قبل از صدر المتألهین روشن نبوده است، اگر چه شیخ و خواجه و دیگران از اتباع مشاء معتقد به اصالت وجود بوده اند، ولی تبعاتی از قول به تباین در وجودات در کلمات آنها موجود است که به حسب نتیجه، فرقی باقول به اصالت ماهیت ندارد؛ لذا در کثیری از مباحث عقلی دچار لغزش ها و اشتباهات بزرگی شده اند. صدر المتألهین در موارد عدیده در کتاب مفصله خود به آن اشاره نموده است.

۲- مسأله حرکت جوهریه است، حکمای قبل از آخوند ملاصدرا حرکت را در چهار مقوله: کم، کیف، وضع، این قائل بودند؛ صدر المتألهین جنبش و حرکت را از خواص ماده جسمانی دانسته و به عقیده او هیچ موجود مادی، ساکن نمی باشد و همه اشیاء به حسب جوهر ذات متحرک و سیالند، حرکت و جنبش در اعراض ناشی از حرکت در ذوات حقایق جسمانی است، اعراض در اطوار و شؤون وجودی، تابع جواهرند. این مرد عظیم دلایل زیادی در موارد مختلف جهت اثبات حرکت در جواهر

صوریه اقامه نموده است و از اشکالات شیخ الرئيس^۱ و اتباع او جواب گفته است؛ این تحقیق عرشی مطالب تازه و جالبی را نتیجه داده است و کثیری از غوامض فلسفه را که شیخ و دیگران تصریح به عجز از فهم آن نموده اند، حل نموده است و قسمت مهمی از مبانی فلسفی مشهور از حکما را بر هم زده است که با مقایسه مباحث حدوث و قدم و جمیع مباحث نفس و موارد دیگری از فلسفه آخوند ملاصدرا، با مبانی حکمای قبل، مرتبه علمی و فکر بلند و نظر قوی و عمیق او معلوم می شود.

۳- اثبات اتحاد عاقل و معقول است، این قول به طور اجمال و ابهام از یکی از قدماء نقل شده است، ولی در نظر حکمای اسلام قولی باطل شناخته شده است؛ شیخ در اشارات آن را قولی سخیف دانسته و از قائل آن به سبکی و با عبارت اهانت آمیز اسم برده است. و از برای ازدیاد تحقیر از اتحاد، کلام او را تحت عنوان حکایت ذکر کرده است^۲ و عجب آن است که همه تحقیقات شیخ در این فصل از درجه اعتبار ساقط است.

۱- عمده اشکال شیخ در حرکت جوهریه یکی عدم بقای موضوع است، لذا در شفاء می گوید: «إنَّ الحركة تستدعي وجود الموضوع، والمادة وحدها غير موجودة فلا يصح عليها الحركة في الصورة بخلاف الكيف، لأن الموضوع في وجوده غنى عن الكيف فيصح الحركة فيه» اشکال دوم عدم بقای نوع در حرکت اشتدادیه است و در شفاء فرموده است: «إنَّ الصورة لا تقبل الاشتداد ومالا يقبل الاشتداد يكون حدودها دفعياً وذلك لأنها إن قبل الاشتداد فإمّا أن يكون نوعها باقياً في وسط الاشتداد أو لا يبقى وإن بقي فالغیر لم يكن في الصورة، بل في لوازمها وإن لم يبق فذلك عدم الصورة لا اشتدادها» صدر المتألهین از هر دو اشکال در اسفار جواب داده است، این اشکالات ناشی از انکار تشکیک خاصی و خلط بین احکام ماهیت و وجود است. در حرکات جوهریه درجات و مراتب وجود صورت نوعیه در تغیر و تبدل و سیلان است و هیچ صورتی یک آن بیشتر وجود ندارد، ولی از آن جائی که این حرکت در یک طبیعت عریض تحقق یافته است، قدر جامع بین همه مراتب محفوظ است.

۲- قائل به این مبناى عمیق، فرفوروس صاحب ایساغوجی است که نفس را در مقام عقل هیولانی ماده معقولات می داند و صور معقوله را مکمل جوهر ذات نفس دانسته است، نه عرض زائد بر آن و از باب ترکیب اتحادی بین ماده و صورت قائل به اتحاد شده است شیخ - عظم الله قدره - در اشارات گفته است: «حکایة وکان لهم رجل يعرف بفرفوروس عمل في العقل والمعقولات كتاباً يثنى عليه المشائون، وهو حشيف كله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم لا يفهمونه ولا فرفوروس نفسه، وقد ناقضه من أهل زمانه رجل ناقض هو ذلك المناقض بما هو أسقط من الاول» (ج ۳، ص ۲۹۵).

مصنف جهت اثبات اتحاد عاقل و معقول (در علم به غیر) و یگانگی خارجی صور عقلی، بلکه جمیع صور ادراکیه با جوهر نفس مدرک، ادله و براهین زیادی ذکر کرده است و علم را مطلقاً داخل در صقع نفس می‌داند و پیدایش هر صورت علمی را بدون جنبش و حرکت و استکمال جوهر نفس محال دانسته است؛ روی این بیان صور عقلی و خیالی اعراض قائم به ذهن نیستند.

اثبات اتحاد صور عقلی با عاقله، بلکه هر صورت ادراکی با مدرک خود، مبتنی بر مقدماتی است که غفلت از آن مقدمات، سبب انکار چنین مطلب نفیسی گردیده است. مصنف آن مقدمات را در موارد مختلفه برهانی کرده و از آن نتیجه گرفته است، شیخ در انکار اتحاد عاقل و معقول و اتحاد نفس با عقل فعال در اشارات و شفاء اشکالاتی دارد که همه آن اشکالات ناشی از عدم بررسی و غور در مسائل وجود و احکام آن می‌باشد.

۴- اثبات مُثُل افلاطونیه و صور عقلیه الهیه است که در لسان اشراق از آن به قواهر و عقول عرضیه تعبیر شده است.

مصنف برای طبایع و انواع موجوده در عالم سه فرد قائل است: فرد مجرد عقلانی، فرد برزخی، و فرد مادی. این مسأله نیز از غوامض مباحث حکمی است و اثبات آن توقف بر مقدماتی دارد که اتباع مشاء به آن مقدمات اذعان نداشته‌اند، لذا شیخ فلسفه ا- لام- اعلی الله مقامه- روی بطلان تشکیک در افراد ماهیت واحده و این که افراد نوع واحد، نشاید بعضی علت و بعضی معلول، برخی مجرد و بعضی دیگر مادی باشند، در الهیات شفاء^۱ این قول را مردود دانسته است. سبب تام انکار شیخ و

۱- خلاصه استدلال شیخ (ره) در شفاء در نفی مُثُل و تعلیمات این است: «إنَّ الحقیقة الواحدة التي هي ذات حد واحد و ماهية واحدة، لا يختلف أفرادها في التجرد والتجسم والغناء والحاجة إلى المادة والمعقولة والمحسوسة» در ذیل همین استدلال، دلیل دیگری آورده است که تلخیص آن این است: «إنَّ أفراد حقیقة واحدة لا تكون بعضها سبباً وبعضها مسبباً لذاتها وإنَّ المعلول إذا كان لذاته، معلولاً لفرد آخر من نوعه يلزم أن يكون ذلك الآخر معلولاً لفرد آخر، وهكذا ويعود الكلام إلى أنَّ ينتهي إلى الدور والتسلسل (به نقل از: أسفار، ص ۱۲۷، چاپ قدیم)

دیگران این اصل مهم را پی نبردن به کنه تشکیک خاصی است، ولی صدرالمتألهین چون قائل به وحدت اصل حقیقت وجود است، تشکیک در افراد حقیقت واحده را جایز می‌داند و از برای هر نوع مادی موجود، دو فرد دیگر غیر از وجود مادی قائل است و تکثر نوعی افراد برزخی را مستند به جهات موجوده در ارباب انواع نموده است؛ وجود عقلی به منزله اصل و وجود مثالی و مادی، فرع و رقیقه حقیقت عقلیه است و نهایت سیر اشیاء اتحاد و اتصال به رب النوع مدبر خود می‌باشد.

چرخ با این اختران نغز، خوش زیباستی

صورتی در زیر دارد آنچه در بالاستی

صورت زیرین اگر با نردبان معرفت

بر رود بالا همان با اصل خود یکتاستی

این سخن را در نیابد هیچ فهم ظاهری

گر ابن‌نصراستی و گر بوعلی سیناستی

صدرالمتألهین در مباحث مثل نوریه در اسفار و شواهد الربوبیه و حواشی حکمت الاشراق و کتب دیگر خود، جهت اثبات مثل افلاطونی براهینی ذکر کرده است و از اشکالات شیخ جواب داده است.

۵- **تقریر و تثبیت قاعده بسیط الحقیقه کل الأشیاء** است که در کتب خود به طرق مختلفه آن را بیان نموده است، با برهانی نمودن این قاعده کثیری از مباحث مهمه را حل کرده است، مثل علم تفصیلی حق به اشیاء قبل از وجود اشیاء در موطن ذات، و وجدان هر قوی جمیع مراتب مادون خود را با امری زائد و کیفیت انطوای عقول تفصیلیه در عقل بسیط اجمالی و کیفیت خلاقیت عقل بسیط نسبت به صور تفصیلی، و وجدان فصل اخیر جمیع مراتب انواع را به نحو اتم و اعلا و کیفیت بروز صور اخرویه و برزخیه در قیامت صغری و کبری، و غیر این مباحث از مسائل مهمه رسیدن به کنه این قاعده بسیار دشوار و مبتنی بر مقدماتی است، لذا مصنف در ذیل بیان این قاعده در مواردی فرموده است: «ولم أر من له علم بذلك في وجه الأرض».

۶- اثبات تجرد خیال و صور قائمه به آن و اثبات معاد جسمانی و حشر جمیع عوالم وجودیه و بیان لزوم عود جمیع اشیا به مبدأ اعلا به براهین عقلی و بیان کیفیت عذاب قبر و سكرات موت و اثبات عوالم برزخی در قوس صعود و نزول وجود، از مختصات این رجل عظیم الشأن است؛ تحقیق و تبیین مسائل فوق، ارتباط مستقیم با همه مبانی و مسائل حکمت الهی دارد و فلاسفه قبل از مصنف به این تحقیقات پی نبرده بودند و اگر هم بعضی از این مطالب را به طور فهرست یا نسبتاً مفصل ذکر کرده اند، چون تمامی قواعد مربوطه به آن را کاملاً ضبط نکرده اند، دچار اشتباهات و لغزشهای علمی شده اند.

تحقیق کامل در مباحث حکمت الهی و ربط دادن قواعد علمی به جمیع مسائل از اختصاصات صدرالمحققین است که به واسطه احاطه به همه جهات مباحث عقلی و تهیه و تنظیم مقدمات مربوطه نافع، موفق به تحقیقات بی سابقه ای شده است که چند مورد آن را به طور اجمال ذکر می کنیم:

شیخ رئیس و اتباع او به واسطه انکار حرکت در جوهر، نفس ناطقه را به حسب حدوث و بقا، روحانی و مجرد دانسته اند و جایز دانسته اند که موجود مجرد تام بدون سروح حالات و تغیرات، تعلق به بدن مادی جسمانی بگیرد و مدتی در افعال خود معطل و سرگردان باشد، در حالتی که مجرد تام نسبتش به همه ابدان علی السواست و چنین وجودی ممکن نیست به بدن مخصوص تعلق داشته باشد، انکار حرکت جوهریه قائل را دچار این خبط عظیم نموده است و تجویز کرده است که عقل مجرد تام در صمیم و جوهر ذات، حادث شود و با فرض تجرد تام به ماده جسمانیه تعلق بگیرد.

شیخ -ره- با اعتقاد به سکون طبیعت جسمانیه، وجود حرکت عرضیه را مستند به اصل طبیعت می داند، با آن که فاعل مباشر حرکت اگر ثابت محض باشد و هیچ حرکت در او راه نیابد، مبدأ اعراض مختلفه نخواهد شد و شدت و ضعف در آثار طبیعت، حاکی از قوت و تمامیت اصل طبیعت است و اختلاف در اعراض، حاکی از حصول اختلاف در مبادی فاعلیه اعراض است.

جمهور حکمای اسلام^۱ به واسطه انکار تجرد خیال، از اثبات معاد جسمانی و حشر اجساد عاجز مانده اند؛ شیخ با آن عظمت علمی در جایی برهان بر امتناع عود روح به بدن اقامه نموده است و در شفاء و نجات، معاد جسمانی را به واسطه اخبار صادق تصدیق کرده است، در حالتی که اگر برهان بر امتناع چیزی قائم شد، ممکن نیست انبیا ﷺ آن را تصدیق نمایند.

شیخ الرئيس ملاک علم تفصیلی حق به اشیا را قبل از ایجاد، به صور مرتسمه و اعراض ذهنیه و مفاهیم کلیه می داند، در حالتی که متعلق علم و قدرت و اراده حق تعالی، نفس وجودات خارجیّه و فائض از مبدأ وجود وجودات خاصه اند نه مفاهیم کلیه؛ وجوداتی که در صقع ربوبی موجودند، شاید اعراض ضعیف الوجود باشند؛ چه آن که عرض هر چه تمام و شریف باشد جوهر هر چه خسیس، به حسب رتبه وجودی دون مرتبه جوهر است و جماعتی غیر از اتباع مشاء، ملاک علم تفصیلی حق را نفس وجودات خارجی دانسته اند و از توالی فاسده این قول غفلت کرده اند؛ منشأ همه این اشکالات، عدم غور تام در مباحث عقلی است.

الحق اگر شخص مانوس با مباحث علمی و وارد در مبانی فلسفی، در صدد مقایسه کلمات صدر المتألهین و حکمای قبل از او بر آید، و از اول بحث امور عامه تا آخر سفر نفس اسفار را با یک دوره فلسفه کامل از دیگران مقایسه کند، عظمت علمی و دقت نظر و کثرت تحقیق این حکیم بزرگ بر او واضح خواهد شد. ملاصدرا در تطبیق قواعد عقلی و مبانی و اصول وارده در کتاب و سنت و تطبیق بین فلسفه و شرع، نظیر ندارد و اگر کسی هم در این معنی شک کند، فاقد فهم فلسفی و ادراک مبانی عقلی می باشد. در جمع بین حقایق حاصل از کشف و شهود (افکار عرفا) و مبانی عقلی صرف

۱- شیخ در شفاء برهان بر مادی بودن خیال ذکر کرده است، و آخوند ملا صدرا در سفر نفس، برهان شیخ را رد کرده است و برهان بر تجرد برزخی خیال اقامه نموده است. شیخ خیال منفصل را نیز منکر است و تجسم را منحصر به صور حاله در ماده جسمانی می داند، شیخ الاشراق عالم برزخ و خیال منفصل را قبول دارد، ولی قوه خیالی را جسمانی و مادی می داند.

شرح حال مؤلف / ۲۱

(نظریات مشاء) و حکمت ذوقیه (کلمات اشراق) مؤسس مدرسه جدیدی در فلسفه و حکمت متعالیه است و این قولی است که جمله محققان بر آنند.

تاریخ ولادت او در کتبی که معترض ترجمه اش شده اند ذکر نشده است ولی در کتاب مشاعر (چاپ طهران) حاشیه ای به عبارت ذیل از مصنف نقل شده است و عین همین عبارت را نگارنده در حاشیه اسفار و مشاعر خطی دیده ام:

«کل صورة إدراكية سواء كانت معقولة أو محسوسة، فهي متحدة الوجود مع وجود مدرکها ببرهان فائض علينا من عند الله» در حاشیه راجع به همین عبارت اظهار داشته است: «تاریخ هذه الافاضة كان ضحوة يوم الجمعة سابع جمادى الاولى لعام سبع وثلاثين بعد الالف من الهجرة النبوية وقد مضى من عمر المؤلف ثمان وخمسون سنة» (منه)، تاریخ فوت آن مرحوم را سنه یک هزار و پنجاه قمری ضبط کرده اند که در سفر حج در شهر بصره دارفانی را وداع کرده است؛ روی این میزان تولد صدر المتألهین سنه نهصد و هفتاد و نه قمری در شهر شیراز می باشد، صاحب نخبه المقال گوید:

ثم ابن ابراهيم صدرنا الاجل في سفر الحج مريضاً ارتحل
قدوة اهل العلم والصفاء يروى عن الداماد والبهاء

صدر المتألهین از عباد و زهاد علمای اسلام به شمار می رود، علاوه بر مقامات علمی در عبادت و تصفیه نفس و زهد و اعراض از دنیا و توجه به حق و تصفیه باطن، صاحب حظی وافر و بهره ای کامل بوده است؛ هفت سفر به مکه مشرف شده است و اغلب این سفرها را پیاده پیموده است.

در عقاید تشیع متصلب و از پیروان واقعی ائمه اطهار علیهم السلام است و راه نجات را منحصر به پیروی ائمه هدی و تبعیت از طریقه اهل بیت عصمت و طهارت می داند، و معتقد است که مبدأ علم حقیقیه ائمه اطهارند، در موارد عذیده این عبارت را فرموده است: «إني أعلم يقيناً أنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله كما هو أهله و مستحقه إلا بتوسط من له الاسم الأعظم وهو الإنسان الكامل خليفة الله بالخلافة الكبرى» در موضع دیگری فرموده است: «إني أستعبد بالله ربي الجليل في جميع أقوالي و معتقداتي»

و مصنفاتي من كل ما يقدح في صحة متابعة الشريعة ، التي أتناها بها سيد المرسلين عليه وآله
اجزل صلوات المصلين أو يشعر بوهني بالعزيمة في الدين أو ضعف في التمسك بحبل
المتين» .

از شرح اصول کافی و مفاتيح الغيب و اسرار الآيات و تفسير قرآن و سایر کتب
او معلوم می شود که احاطه کاملی به آیات قرآنی و اخبار و آثار وارده از طریق
اهل بیت عصمت و طهارت داشته است ، در علم حدیث و رجال صاحب نظریه
بوده است ، مطالعه و تفکر در آیات قرآنی و اخبار وارده از ائمه را بر همه علوم مقدم
می داشته است و کثیری از حقایق الهیه را از آیات قرآنی و اخبار اهل بیت و وحی استنباط
نموده است^۱ .

در علوم نقلیه شاگرد شیخ بهاء الدین عاملی (۹۵۳ - ۱۰۳۱ ق) بوده است و
سالهای متمادی نزد آن استاد عظیم ، به قرائت فقه و اصول و حدیث و رجال اشتغال
داشته است و از آن جناب حدیث نقل می نماید . در مقدمه شرح اصول کافی می فرماید :
«حدثني شيخي وأستاذي ومن عليه في العلوم الثقلية استنادي ، عالم عصره و شيخ دهره
بهاء الحق والدين محمد العاملی الحارثی الهمدانی - نورالله قلبه بالأنوار القدسية - عن والده
الماجد المكرم و شيخه المجد الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد - أفاض الله على روحه
الرحمة والرضوان - عن شيخه الجليل وأستاذه النبيل عماد الإسلام الشيخ زين الدين العاملی
- طاب ثراه - عن الشيخ المعظم المفخم والمطاع المؤيد المكرم عالي النسب علي بن عبد العالي
الكركي - قدس الله سره - عن الشيخ علي بن الهلال الجزائري عن الشيخ الفاضل الكامل
أحمد بن فهد الحلبي عن الشيخ علي بن الخازن الجابري عن الشيخ الفاضل والنحرير الكامل
السعيد الشهيد محمد بن مكي - أعلى الله رتبته - عن الشيخ زين الملة والدين عن الشيخ
الفاضل التقي علي بن عبد العالي الميسي - روح الله روحه - عن الشيخ السعيد محمد بن داود

۱- در مقدمه اسفار گوید : « فالتقينا زمام أمرنا إلى الله وإلى رسوله النذير المنذر ، فكل ما بلغنا منه آمنا به
و صدقناه ، اقتدينا بهداه و انتهينا بهيه امتثالاً لقوله : ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهىكم عنه فانتهوا - حتى
فتح الله على قلبنا ما فتح فافتح ببركة متابعتة و انجح» .

شرح حال مؤلف / ۲۳

المؤذن الجزيني عن الشيخ الكامل ضياء الدين على، عن والدها الأفاضل الأكمل المحقق المدقق الشيخ شمس الدين محمد بن المكي، الشهيد الأول - قدس الله روحه -.

در علوم عقلیه شاگرد سید محقق میرداماد (متوفی ۱۰۴۰ ق) بوده است که از بزرگان فلاسفه اسلام و در تحقیق و دقت نظر و احاطه به مباحث عقلیه از عجائب دوران و در علوم نقلیه از محققان به شمار می رود و بعضی آن جناب را معلم ثالث دانسته اند. صدر المتألهین در کتب خود از آن جناب به عظمت اسم می برد و در مقدمه اصول کافی به این عبارت از آن جناب نقل حدیث می نماید: «أخبرني سيدي وسندي وأستاذي واستادي في المعالم الدينية والعلوم الإلهية والمعارف الحقة والأصول اليقينية السيد الأجل الأنور العالم المقدس الأطهر الحكيم الإلهي والفقير الرباني سيد عصره و صفوة دهره الأمير الكبير والبدر المنير، علامة الزمان وأعجوبة الدوران المسمى بمحمد، الملقب بباقر الداماد الحسيني - قدس الله عقله بالنور الرباني - عن أستاذه و خاله المكرم المعظم الشيخ عبدالعالي - ره - عن والده السامي المطاع المشهور اسمه في الآفاق والأصقاع علي بن عبدالعالي المذكور مستنداً بالسند المذكور وغيره إلى الشيخ الشهيد محمد بن مكي - قدس سره - عن جماعة من مشايخه»^۱.

سلسله این اجازه شریفه منتهی می شود به ثقة الاسلام کلینی - اعلی الله قدره - و مرحوم محدث جلیل ملامحسن فیض از صدر المتألهین به طریق مذکور نقل حدیث می نماید.

۱- منهم الشيخ عميد الدين عبدالمطلب الحسيني والشيخ الاجل الافضل فخر المحققين أبوطالب محمد الحلي والمولى العلامة قطب الدين الرازي عن الشيخ الاجل العلامة آية الله في أرضه جمال الملة والدين أبي منصور الحسن بن مطهر الحلي - قدس سره - عن شيخه المحقق رئيس الفقهاء والاصوليين نجم الملة والدين جعفر بن الحسن السعيد الحلي - قدس سره - عن السيد الجليل النابة فخارين معدالموسوي عن محمد بن شاذان القمي عن أبي القاسم الطبري عن الشيخ الفقيه أبي علي الحسن عن والده الاجل شيخ الطائفة محمد ابن الحسن الطوسي - نور الله مرقده - عن الشيخ الاعظم الاكمل المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثي - سقى الله ثراه - عن الشيخ الاجل ثقة الاسلام وقدوة الانام محمد بن علي بن بابويه القمي - اعلی الله مقامه - عن أبي القاسم جعفر بن قولويه عن الشيخ الجليل ثقة الاسلام وسند الحديث محمد بن يعقوب الكليني - عظم الله قدره ونور الله مرقده -.

تصنیفات آخوند ملاصدرا در زمان خودش مورد توجه اهل دانش قرار گرفت و همه مؤلفات او از نفایس کتب علمی به شمار می رود.

فهرست آثار مؤلف

آثار صحیح و قطعی آخوند به شرح زیر است:

۱- أجوبة المسائل (جواب مسائل بعض الخللان) جواب بر سؤال های یکی از تلامیذ یا یکی از دوستان آخوند که تاکنون جزء آثار وی ضبط نشده است^۱، نسخه ای است به خط شخصی که نزدیک به عصر مؤلف نوشته است. رساله جواب چند مسأله حکمی مهم است، در سؤال از علت غایی و تحقیق در مسأله اختیار در مبدأ وجود و تحقیق در کیفیت بودن جوهر جنس برای انواع جوهری، و اقامه دلیل بر آن که عرض^۲ جنس اعلی نسبت به انواع عرض نیست، اقامه دلیل بر اثبات هیولا و جوهریت آن و بیان وجوه فرق بین حیثیات و تقریر آن که چه حیثیتی مکرر ذات موضوع است و غیر اینها از مسائل مهم حکمی.

۲- رساله در اتحاد عاقل و عقل و معقول، که نسخه خطی آن مدتی در دسترس این جانب بود و بنا بر نوشته علامه معاصر، آقای حاج شیخ آقا بزرگ تهرانی (قده)^۳ در

۱- سائل به احتمال قوی از تلامیذ آخوند است و قطعاً غیر از فیض و فیاض و تنکابنی است، ولی مردی محقق و صاحب نظر است در ردیف اساتید بزرگ، و جای تأسف است که چنین دانشمندی به طور کلی ناشناخته مانده است و مسلماً ملا صدرا غیر از تلامیذ معروف خود، شاگردانی داشته است که ما آنها را نمی شناسیم و شاید یکی از آنها همین سائل (قده) است.

سائل از قرار معلوم کسی است که محضر آخوند را زیاد درک کرده است و خیلی آخوند صمیمانه با او رفتار می کند.

۲- مرحوم حاج شیخ آقا بزرگ از دانشمندان بزرگ و جلیل القدر عصر ما بود که در تهران متولد شد و بعد از فرا گرفتن علوم مرسوم عصر، برای تکمیل تحصیل به نجف اشرف مسافرت نمود و مدت ها به دروس اساتید بزرگ از جمله به درس علامه نامدار آخوند خراسانی (ره) حاضر شد و از افاضل این حوزه ها به شمار می رفت؛ روی صفا و پاکی نیت دست به کاری زد که از عهده هر کس ساخته نیست، از جمله تألیف کتاب نفیس «الذریعه».

شرح حال مؤلف / ۲۵

«الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (۱: ۸۱) به چاپ رسیده است؛ آخوند در این رساله بر طبق آنچه در اسفار نوشته است، اتحاد صورت معقوله را با جوهر عاقل اثبات می نماید. این رساله در دست طبع است و با حواشی این جانب منتشر می شود. این رساله خطی است و حقیر دو نسخه از آن را دیده است، که در آخر یکی از این نسخ به عنوان تعلیق «منه» که نزد برخی ناتمام و نزد جمعی از اعلام تمام است، به اتحاد «علم و عالم و معلوم» در علم نفس به غیر ذات خود استدلال نموده است. نگارنده در حواشی «المشاعر» مفصل در این باب بحث نموده ام.

۳- رساله در اتّصاف ماهیّت به وجود که در رسائل (از ص ۱۱۰ تا ۱۱۹) چاپ شده است؛ در این رساله صدر المتألّهین بر امام رازی و محقق دوانی و سیّد سند در جواب از اشکال قاعده فرعیّه «ثبوت شیء لشیء فرع ثبوت المثبت له» اشکال کرده است و جواب آنها را در باب قاعده فرعیّه تمام ندانسته است. چون بنا بر قول تحقیق، وجود از عوارض تحلیلی ماهیّت است و ماهیّت و وجود به وجود واحد موجودند، و قاعده فرعیّه در قضایایی که مفاد هلیّت مرکبه اند، جاری است نه در مفاد هلیّت بسیطه.

آغاز: «الحمد لواهب الحیاة والعقل، والصلاة على النبي والأهل. اما بعد واعلم هداك الله انه قد اضطربت الأهواء واختلفت الآراء في باب اتصاف الماهية بالوجود». وانجام: «الماهية معنى كلى صادق عليه متحدة معه؛ موجود به؛ لا بنفسها إلا بمجرد الاعتبار».

۴- جواب مسائل حکیم فاضل شمس الدین (معروف به ملاشمسا) محمد گیلانی تلمیذ میرداماد که در حاشیه مبدأ و معاد چاپ شده است.

۵- اجوبة المسائل النصيرية پاسخ بر پرسش محقق طوسی «نصير الملة والدين» از شمس الدین عبدالمجید بن - عبدالحمید بن - عیسی خسروشاهی که وی از آن سؤال ها جواب نداده و صدر المتألّهین پاسخ داده است. رجوع شود به حاشیه مبدأ و معاد (ط ق ۱۳۱۳ هـ. ق، ص ۳۷۲- ۴۹۱) و شرح هداية اثیریه (ط ۱۳۱۶ هـ. ق، ص ۳۸۳- ۳۹۳) این جوابها را در اسفار و حاشیه بر شفاء و بعضی دیگر از کتب خود ذکر کرده است. جواب بعضی از این سؤالات بنا بر طریقه خواجه و شیخ امکان پذیر نیست،

لذا صدرالدین شیرازی (رض) به طریقه خود از آن پرسشها، جواب داده است.

۶- اسرار الآيات وانوار البينات مشتمل بر یک مقدمه و ده مشهد، این کتاب را به روش فلسفی و عرفانی نوشته، مرحوم آخوند ملا علی نوری بر آن حاشیه نوشته است (چاپ سنگی: تهران ۱۳۱۹ هـ. ق)، اوایل این کتاب مشتمل است بر تقریر معانی ایمان و کفر و موجبات رحمت و عذاب، و چون در بیان حقایق مبدأ و معاد به کتاب الهی و سنت نبوی و ولوی استدلال یا استشهاد می نماید و مبدأ مکاشفات او آیات الهیه است به طور اجمالی، ولی با بیانی عالی و رسا وجوه فرق بین کلام و کتاب را بیان نموده است، و علت اشتمال کتاب تدوینی بر مراتب و مقامات تکوین و نظام وجود و سر جامعیت قرآن نسبت به جمیع کتب الهیه را تقریر نموده، و سپس به تحقیق در مراتب و مقامات توحید، به لسان اهل شهود و کشف پرداخته است، پس از آن معرفت صفات و اسماء و اعیان الهیه و مراتب و مقامات نهائیات وجود از صراط و درجات صعود و ارتقاء به حق و مراتب و مقامات انسان به حسب معاد و نهایت وجود إلى فناء فی الله با بهترین وجهی به دو لسان کشف و برهان تقریر شده است؛ از این کتاب احاطه و انغمار مؤلف به آثار عرفا و علوم کشفیه و تفرد او در بحث از حقایق آشکار است.

۷- اکسیر العارفین فی معرفة طریق الحق والیقین، در اول کتاب گوید: «این اثر را به ابواب و فصول تقسیم نمودم، این کتاب دارای چهار باب است. باب اول در کمیت و قسیمت علوم. باب ثانی در محل معرفت و حکمت و بیان آن که هویت انسانی محل حکمت و معرفت است، لذا باقی است و فنا نمی پذیرد «وان الأرض لا یأکل محل الإیمان». باب ثالث در معرفت بدایات انسان. و باب رابع در شناسایی نهایت وجود او و بیان آن که حقیقت انسان غایت قصوای خلقت و به تاج «و لقد کرمنا» مفتخر است». (این کتاب جزء رسائل آخوند ملا صدرا در سنه ۱۳۰۲ هـ. ق در تهران چاپ سنگی شده است، ص ۲۷۸ تا ۳۴۰).

۸- رساله در تشخیص که جزء رسائل (از ص ۱۲۰ تا ص ۱۳۲) آخوند در سنه ۱۳۰۲ هـ. ق طبع شده و مشتمل است بر ۱۲ صفحه، آغاز: «الحمد لواء العقل

شرح حال مؤلف / ۲۷

والحكمة والصلاة على محمد وآله الأئمة». انجم: «والله ولي العصمة والتوفيق ويده مقاليد العلم والتحقيق»، این رساله بسیار نفیس و مشحون از تحقیقات و تدقیقات و در باب خود بی نظیر است.

۹- رساله تصور و تصدیق که حاوی مباحث نافع و تحقیقات رشیه است، در این رساله به روش فلسفی و محققانه در انواع و اقسام علم بحث کرده و بر کلمات صاحب محاکمات در شرح بر شمسیه و شرح بر مطالع خرده گرفته است. این رساله در آخر «جوهر النضید» در شرح منطق تجرید، تألیف علامه حلی (رض) به سال ۱۳۱۱ هـ. ق چاپ شده است.

۱۰- تفسیر بر سور قرآنی، این تفاسیر را ملا صدرا بر سورة فاتحة الكتاب و قسمت زیادی از سورة بقره و آیه نور و سورة یس و واقعه و حدید و جمعه و الم سجده و طارق و الأعلى و الزلزال والضحی و الطلاق و چند آیه دیگر نوشته است. در این تفسیر متعرض اقوال مفسرین و روایات وارده از طریق اهل بیت عصمت و طهارت گردیده و به ذکر تحقیقات کثیره ای از مبانی حکمی و اصول عرفانی دست زده است. این کتاب حاوی عمده مبانی و مسائل راجع به مبدأ و معاد و معارف حق است، و آراء و افکار عرفانی آخوند بیشتر در این کتاب موجود است. عالی ترین مباحث مربوط به تفسیر که برخی از این مباحث را در اول تفسیر خود آورده اند، در خلال این کتاب موجود است و به خصوص تفسیر فاتحة الكتاب آخوند اثر بی نظیری است. قسمتی از این تفسیر را در شهر مقدس قم تألیف کرده، در اول تفسیر آیه الكرسي سورة بقره گفته است: «فیقول المتشبه بلطفه الجسیم محمد المشتهر بصدرالدین شیرازی مولداً والقمی مسکناً».

آخوند ملا علی نوری بر قسمتهایی از این کتاب حاشیه های دقیق و لطیف نوشته که با کتاب در سنه ۱۳۲۲ هـ. ق در تهران به چاپ سنگی رسیده است؛^۱ در معانی آیات

۱- سورة حمد و قسمتی از سورة بقره (آیه الكرسي) و آیه نور جداگانه در تهران به طبع رسیده است، مجموعه تفسیر آخوند را مرحوم حاج شیخ احمد کتابفروش شیرازی در سنه ۱۳۲۲ هـ. ق به طبع رسانیده است. در آخر این کتاب تفسیر آیه «وترى الجبال تحسبها جامدة» نیز چاپ شده است، ولی ←

به نحو مرسوم و معهود در بین اهل تفسیر به تفسیر بیضاوی اهمیت داده است. در احاطه به اقوال مفسران، انواع و اقسام تفسیر از تفاسیر ادبی و عرفانی و حکمی و مشارب مختلف در تفسیر کم نظیر است.

۱۱- اللّمعات المشرقية في المباحث المنطقية، این کتاب در منطق بوده و با عنوانهای «لمعة» و به روش متأخران نوشته شده و رساله خوبی است. آغاز: «الحمد لله الذي رفع سماء العقل الهادي إلى أصول الرأي وفروع النقل، وبعد فإني مُهدٍ وهادٍ إياك من المنطق إلى أصول منقّحاً فصولها عن فضول». انجام: «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور». قد تمّ الكتاب المستطاب الشريف الموسوم بالتنقية لصدر الأفاضل. کاتب عامی این کتاب به اعتبار ذکر لفظ «تنقیح» آن هم با اشتقاق «منقّحاً» تنقیه نام نهاده است و برخی هم به همین اسم کتاب را معرفی نموده اند. در این که این اثر از ملا صدراست شکی وجود ندارد، زیرا به سلیقه و سبک و روش آخوند تحریر شده است.

۱۲- تعلیقات بر شرح حکمة الإشراق، در این کتاب صدر المتألّهین بین اتباع مثنّاء و اشراق حکومت کرده و در جمیع موارد مبانی خود را ذکر و در ضمن مشکلات حکمة الإشراق را حل نموده است. این تعلیقات را آخوند با کمال تحقیق و تدقیق و حفظ جهات علمی تصنیف نموده و بهترین کتابی است که در حکومت بین حکمای مثنّاء و اشراق تألیف شده، و حاکی از آن است که مؤلف در حکمت بحثی و فلسفه ذوقی و در تصوف و عرفان، صاحب سعه باع و در جمیع این طرق از متخصص و متمحض در هر یک از آن فنون مسلط تر است.

۱۳- تعلیقات بر الهیات شفای ابن سینا، این تعلیقه ناتمام است و تا مقاله سادسه

→
آخوند در تفسیر این آیه متعرض طریقه خود در حرکت جوهر نشده و بسیار محققانه این آیه تفسیر شده است، ولی چون به حرکت جوهر با تناسب آن با آیه اشاره نشده است، بعضی ها در انتساب آن به آخوند استبعاد نموده اند، با آن که در اسفار و سایر کتب خود آیه مذکور را دلیل بر حرکت جوهریه گرفته است، لذا بعضی تفسیر این آیه را از آخوند ملا صدرا ندانسته اند.
ملا صدرا سکون زمین را قطعی نمی دانسته است، لذا یکی از وجوه تفسیر آیه را حمل بر حرکت زمین کرده است و آن را به قدمای از حکما نسبت داده است.

بیشتر نوشته نشده است؛ صدر المتألهین در این کتاب بیشتر به توضیح و تبیین کلمات شیخ الرئیس پرداخته و در تحقیق و توضیح مبانی شیخ، داد سخن داده است و گاهی به مبانی خود اشاره نموده و تفصیل را به کتب خود حواله داده است، مگر در باب وجود ذهنی که مفصل در این تعلیقات در آن بحث نموده است. این کتاب بهترین حواشی بر شفا است که صد افسوس ناتمام مانده است.

آخوند مبانی شیخ را طوری تحقیق کرده و توضیح داده است که شخص وارد بعد از مراجعه به تعلیقات آخوند، اشکالات متأخران را به شیخ وارد نمی بیند. این تعلیقات از شفاء به مراتب متقن تر و تحقیقی تر است و از حیث اسلوب تحریر و روانی و جذابی عبارات و عدم تکرار مطالب و حل اشکالات، از شفاء بهتر است. عبارات شفاء مضطرب و معقد است و شیخ این کتاب را هنگام گرفتاری خود نوشته و گر نه کمتر کسی هم سنگ شیخ در تحریر مطالب است. متن اشارات و برخی از موارد کتاب طبیعیات و منطقیات شفاء عالی است، به خصوص اشارات گاهی انسان را به وجد می آورد، و نیز مقامات عارفان که حکایت از مقام عالی شیخ در عربی نویسی و تخصص او در ادبیات علمی و فصاحت کم نظیری می نماید.

۱۴- رساله در حدوث عالم که ضمن رسائل در سال ۱۳۰۲ هـ. ق. در ۱۰۹ صفحه

به چاپ سنگی رسیده است.

آخوند در این رساله از راه حرکت جوهری، حدوث عالم ماده را اثبات کرده است، این رساله مشتمل بر مباحث حرکت و قسمتی از مباحث کتاب جواهر و اعراض اسفار بوده، چون آخوند در کتاب جواهر و اعراض هم متعرض حدوث زمانی عالم شده است و اقوال محققان از حکمای یونان چون طالس ملطی و انکساغورس ملطی و آناکسیمنس ملطی و انبازقلس و فیثاغورث و سقراط و ارسلاوس و افلاطون و شیخ یونانی و ارسطو را در این باب نقل کرده است، در این کتاب از حدوث جسمانی نفس هم سخن گفته و کلام مشهور را در این باب ناتمام دانسته است.

۱۵- رساله حشر یا طرح الکونین که در هشت فصل نوشته شده و برای همه

موجودات، حتی مادیات و دائرات حشر قائل شده است و برای موجودات مادی، حقیقتی حی و تام الوجود و کلمه‌ای ربانی قائل است که مربوب خود را به کشش ربانی جذب می‌نماید و حشر موجود تحت تربیت این کلمه، حشری تبعی و غیر مستقل است. این رساله در حاشیه مبدأ و معاد (ص ۱۸۴ تا ص ۲۳۱) در سنه ۱۳۱۴ هـ. ق و در حاشیه یا آخر کتاب کشف الفوائد سنه ۱۳۱۵ هـ. ق و جزو رسائل (ص ۳۴۱ تا ۳۷۱) در سنه ۱۳۰۲ هـ. ق به چاپ سنگی رسیده است. در این کتاب موجودات را به چند طبقه تقسیم و برای همه طبقات، حشر مناسب با حال مراتب موجودات قائل شده است.

آغاز: «الحمد لله رب الآخرة والأولى ومبدأ الوجود والمنتهى»، انجام: «كتبه الفقير إلى الله محمد المدعو بصدرالدين الشيرازی عفی عنه».

۱۶ - الحکمة العرشية، این رساله تلخیص آرای او در مباحث مبدأ و معاد و مسائل مربوط به این دواست و از نقایس کتب مؤلف در فن معارف حقیقیه است؛ تفصیل مباحث علمیه را در این کتاب ارجاع به کتب مفصل خود کرده است. این کتاب را در دو مشرق تألیف کرده است: مشرق اول در علم به خدا و صفات و اسماء و آیات او، مشرق دوم «اشراق ثانی» در معاد و رجوع خلایق به حق می‌باشد.

شیخ احمد احسائی به خواهش ملا مشهد شبستری شرحی بر آن نوشته و کلمات آخوند را به خیال خود، رد کرده است؛ ولی همه اشکالات او ناشی از بی‌اطلاعی وی در علوم الهیه و مبانی فلاسفه است. شیخ احمد، مردی خیال‌باف و منحرف و کج سلیقه و پرمدعا و آشوب طلب و ریاست‌مآب است در لباس زهد منغم در دنیا بود. او آنچه در فن منقول صرف، بدون مداخله در معقولات آن هم به مشربی نزدیک به مسلک اخباری نوشته است، قابل مطالعه و حاکی از احاطه و تسلط او به علوم نقلی مخصوصاً فقه است و آنچه در عقاید و معقولات نوشته، خالی از اعتبار و مملو از هفوات است. واقعاً دلخوش کردن به چند اصطلاح مهوّل نظیر معراج هورقلیایی و معاد هورقلیایی و شهر جابلقا و بلد جابرسا و ... او را چنان مغرور و شیفته نمود که منشأ آن

همه اختلافات گردیده و بالآخره منجر به پیدایش مشربى بى اساس شده و مبدأ ظهور شخص پرگو و مجنونى مانند سید کاظم رشتى شد و از دایره اوهام اتباع رشتى چه فسادهاى که عاید اجتماع و ملت ما نشد؟ آن همه قتلها و فسادها و هتک نوامیس دنباله همان خودخواهى ها و ادعاهای شیخ و اتباع او شد.

در عصرى این جماعت ظهور کردند که ملت و دولت ما در بى خبرى منغمر بودند و درست در همان زمان خارجیان به دنبال این قبیل سر و صداها مى گشتند و وجود اقلیتهایی که مردم را به اسم قطب و شیخ و مرشد و رکن رابع و امثال اینها سرگرم نمایند، تا ایادی خویش را در قلب ملت ما قوی نشان داده و بنیان استعمار را راسخ کرده و مردم را دلخوش به خرافات نموده و باز یچه ایادی شیادانی به نام قطب و شیخ و مرشد گرداندند و توده عوام را تشویق به تعقیب خرافات و تبعیت از عقاید و آرای مضل کرده و غرق در انحطاط روحی و اختلاف های خانمان برانداز اجتماع نمایند. لذا بیداری ملت ها با ضعف و انحطاط این قبیل مسلکها ملازم است. حکیم محقق ملا اسماعیل اصفهانی از تمام ایرادهای^۱ شیخ احمد جواب داده است، شرح آخوند ملا اسماعیل در حواشی عرشیه و حواشی اسرار الآیات (سنه ۱۳۱۰ ق، به چاپ سنگی) موجود است؛ آخوند ملا اسماعیل شرح بر عرشیه را محققانه نوشته، شرح مذکور حاکی از کمال تسلط و تدرب ملا اسماعیل در حکمت متعالیه است.

این شرح بر خلاف تصور اغلب اشخاص، ناتمام است و فقط بر قسمتهای

۱- شیخ احمد برای اشاعه افکار خود چند سفر به ایران آمده است، در زمانی که حکیم سبزواری در اصفهان تحصیل می نمود، شیخ احمد وارد این شهر شد، آخوند نوری فضلی حوزه خود را وادار نمود که به درس او حاضر شوند، به همین مناسبت حکیم سبزواری گفته است: علم شیخ احمد در مقابل علم علمای اصفهان نمودی نکرد، ولی در زهد بى نظیر بود. در چند مجلس با ملا اسماعیل در بحث کوشکی نیز بحث نمود و منکوب شد. در قزوین نیز با آخوند ملا آقای قزوینی مناظره علمی مفصلی دارد و در یکی از مجالس، سخت مجاب شد و برخی او را تکفیر نمودند و این تکفیر نیز بسیار اثر بدی از خود باقی گذاشت و یکی از علل فتن بعد، همین تکفیر بود و این تکفیر اشخاص در زمان اقتدار ملاها، بسیار ناخوش آیند و بدعاقبت از آب در می آمد.

اول. کتاب نوشته شده است. شیخ احمد بر مشاعر نیز شرح نوشته است که ملا محمد جعفر لنگرودی و ملازین العابدین نوری در شرح خود متعرض ایرادهای شیخ احمد شده اند.

آخوند در این کتاب در مسأله خلود و انقطاع عذاب، بر خلاف مسلک خود در اسفارو تفسیر قرآن سخن گفته است. در اسفار و تفسیر و شواهد قائل به انقطاع عذاب از اهل آتش شده است ولی در این کتاب (ص ۱۹۵) گوید: «قال في الفصوص: واما اهل النار فمآلهم إلى النعيم، إذ لا بُدَّ لصورة النار بعد انتهاء مدة العذاب (العقاب - خ ل) ان تكون برداً و سلاماً على من فيها، واما انا والذي لاح لي بما انا مشغول به من الرياضات العلمية والعملية ان دار الجحيم، ليست بدار نعيم وانما هي موضع الالم والحزن وفيها العذاب الدائم، لكن آلامها متفتنة متجددة على الاستمرار بلا انقطاع والجلود فيها متبدلة».

۱۷ - الحکمة المتعالیة فی الأسفار الأربعة العقلیة، در چهار مجلد سنه ۱۲۸۲ هـ. ق با حواشی مرحوم حکیم زمان حاج ملا هادی سبزواری در طهران به چاپ سنگی رسیده است؛ این کتاب به خط کلبعلی افشار قزوینی است که دارای خط نسخ کتابی بسیار عالی بوده است. بر اسفار حواشی زیادی نوشته اند از جمله: حواشی و تعلیقات مختصر مرحوم فقیه و حکیم ربانی و عالم نامدار، آقا محمد بیدآبادی^۱ و حواشی افضل المتأخرین آخوند نوری و تعلیقات فیلسوف بزرگ ملا اسماعیل اصفهانی در کوشکی معروف به واحد العین^۲ و تعلیقات

۱- آقا محمد بیدآبادی اصفهانی از اساتید بزرگ در علوم عقلیه و نقلیه بوده است. آخوند نوری و جمعی از اساتید فن شاگرد ایشانند، آقا محمد در عظمت و بزرگی و مناعت نفس و احاطه به علوم مورد اتفاق بزرگان است.

۲- ملا اسماعیل اصفهانی معروف به واحد العین و مشهور به درب کوشکی، از تلامیذ مرحوم آخوند نوری است و از محققان فن حکمت به شمار می رود و در عصر استاد بزرگ خود آخوند نوری، حوزه ای عالی داشت و کتب آخوند ملا صدرا را تدریس می نمود. ملا اسماعیل که یکی از بزرگترین فلاسفه و حکمای اسلامی در چهار قرن اخیر است، دارای قلمی شیوا و تحریری روان و در حسن تقریر و بیان کم نظیر بوده، به مباحث فلسفی محیط و در حکمت متعالیه راسخ بود. اغلب اساتید بعد از طبقه اواز تلامیذ او بوده اند.

عارف ربانی خاتم العرفاء و قبله الأصفیاء آقا محمد رضا قمشه ای^۱

۱- عارف ربانی و فیلسوف الهی آقا محمد رضا قمشه ای متوفای سنه ۱۳۰۶ قمری از اساتید مسلم عصر خود بود و در علم عرفان شاید در متأخرین نظیر نداشته است، مردی با صفا و روشن ضمیر و اهل تقوا و ورع بود؛ علوم حکمیه را در اصفهان نزد مرحوم آخوند نوری فرا گرفته و در عرفان شاگرد مرحوم آقا میرزا سید رضی مازندرانی^{*} است از اصفهان به تهران مسافرت کرده و در آن جا توقف نمود و در مدرسه صدر، واقع در جلوخان مسجد شاه تهران به تدریس «اسفار» و «مصباح الأنس» و «تمهید القواعد» و «المبدأ والمعاد»، «الشواهد الربوبیه»، «شرح فصوص» و «شرح اشارات» اشتغال داشته و حوزه درسش مجمع اهل تحقیق و تدقیق بوده است؛ وی که بزرگترین عارف ادوار اخیر بوده، در فن تدریس نیز ماهر و حظّ وافری از فصاحت و بلاغت و حسن تقریر داشته است. مرحوم حاج میرزا ابوالفضل تهرانی که سالها نزد او «اسفار» و «المبدأ والمعاد» را قراءت نموده است در مقام معرفی استاد خود، آقا محمد رضا قمشه ای، در مقدمه دیوان خویش گوید: «لم أرَ أحداً مثله فی عصرنا».

مرحوم قمشه ای در مقام بیان حلّ مشکلی گفته است:

«فالْحَلُّ ماأفاده مفیدنا، ومن یتهیّی الیه سبیلنا، إمام المعارف، ومحتدّ العوارف، صدرالمحققین ویدر المتألهین الصدرالدین الشیرازی، من الفرق بین العلم بالشیء بوجه، و بین العلم بوجه الشیء». سپس در توضیح آن گوید: «توان گفت که ما هنگام غار و دیگر عبادات مأمور به عبادت وجه الحق هستیم، چه آن که وجه الحق معبود نیست، ناچار باید گفت نحن نعبد الحق بوجه ولا یکلف الله الإنسان إلا علی قدر وسعه، فالصورة العقلیة قد یؤخذ علی الوجه، وقد یؤخذ علی وجه من الوجوه. وبهذا الاعتبار یفتح الباب. ومن قال: یرجع الأحکام الی الوجه یسدّ السبیل ویغلق الباب. ولأولیاء الله مقامات، قد یظهرون التنزیه، وهذا فی قرب النوافل؛ وفي هذا المقام هم مشرکون بالله شرکاً خفياً، فإن ظهورها بهذا المقام یصیر شرکهم جلیاً؛ ولذا قیل: «... إن قلت يوماً «سبحانی» فانا کافر مجوسی، وإذا جاوزت عن الشرک أقول: أشهد أن لاإله إلا الله ویظهر بقرب الفرائض. وهذا تنزیه إطلاقی جامع بین التنزیه والتشبیه».

به هر حال، میرزا محمد رضای قمشه ای ستاره درخشان آسمان عرفان در این دوره های اخیر بوده، و عارفان زیادی در حوزه درس او تربیت یافتند، و جمعی از فضلا در اثر تربیت او به مقامات عالیّه از علم رسیده اند؛ معروفین تلامذه او عبارتند از: آقا میرزا هاشم رشتی، آقا میرشهاب الدین نیریزی شیرازی، آقامیرزا علی محمد اصفهانی، آقا میرزا صفای اصفهانی شاعر معروف (حکیم صفا)، آقامیرزا محمود قمی و آقا میرزا ابراهیم زنجانی و عده ای دیگر از اهل دانش و معرفت. آقا محمد رضا خوب شعر می گفته و «صها» تخلص می نمود. از اشعار اوست:

اساس عالم هستی، بساط باده پرستی	اگر نداشت ندانم چه داشت عالم هستی
زمین میکده را برتر از سپهر شمارم	چه حکمتست ندانم در این بلندی و پستی

و نیز گوید:

دربی خبری از تو صدمرحله من پیشم	توبی خبر از غیری من بی خبر از خویشم
---------------------------------	-------------------------------------

* آقا سید رضی در عرفان و تصوف از تلامذ عارف متأله قدوة ارباب توحید و تجرید و قرة عیون الموحدین،

و تعلیقات حکیم دانا آخوند ملا عبدالله زنوزی فرزند بیرمقلی، خان بابازنوزی،
میرندی، تبریزی و حواشی افضل المحققین آقا علی مدرس زنوزی تبریزی^۱
و حواشی عارف نامدار آقا میرزا هاشم گیلانی^۲ و مرحوم حکیم یگانه

۱- اسفار مرحوم آقا علی مدرس (ط . تهران) که مشتمل بر همه حواشی اوست و آنها را بخط خود نوشته، در کتابخانه دانشمند بزرگوار، مرحوم آقا میرزا فضل الله خان آشتیانی (قده) مستشار سابق دیوان عالی تمیز بود؛ بعدها بر ما معلوم شد این اسفار در اختیار ورثه آقا علی است و تمام حواشی خود را که در طول زمان و قبل از طبع اسفار در حواشی اسفار خطی نوشته بود، به کنار صفحات اسفار چاپ تهران به خط خود منتقل نموده است. حواشی آقا علی بر مباحث مختلف اسفار به طور متفرقه و در حواشی سفر نفس مبسوط و مفصل است و از حیث دقت و ثبات، هم سنگ اصل کتاب است، به انضمام دقایقی که آن مرحوم از خود داشته است و در مباحث مربوط به نشأت بعد از موت، نکات دقیق و عالی و از آیات و اخبار مربوط به احوال نفس مطالبی لطیف و دقیق به سلک تحریر آورده است. این حواشی بر حواشی حکیم سبزواری ترجیح دارد. آقا علی از سبزواری استاد بیشتر دیده است، حدود بیست سال درس خوانده، ولی سبزواری هم دارای هوش و ذكاء عجیب بوده و در مدت کمی در صف مقدم اساتید قرار گرفت.

۲- آقا میرزا هاشم گیلانی رشتی معروف به اشکوری، از تلامیذ آقا محمدرضا قمشه ای و آقا علی حکیم است که در تدریس اسفار و مصباح الأنس و فصوص الحکم و سایر کتب عرفانی، تخصص تام داشته است، در عرفان مسلط بوده و حواشی او بر مصباح الأنس حاکی از تضرع تام و احاطه کامل او به کلمات اهل عرفان است، خوش ذوق و با قریحه و محقق بوده و حوزه درسش مورد استفاده اعظام بوده و اشخاص بزرگی را تربیت کرده است. نظیر او در بین قدام و هنگام رواج عرفان نیز کم است. آقا میرزا مهدی آشتیانی* (قده) و مرحوم حاج شیخ مهدی سازندرانی امیر کلاهی**،

→ آقا میرزا عبدالجواد شیرازی است و این که حقیر به تبعیت از بعضی از ارباب تراجم آقا سید رضی را از تلامیذ ملا جعفر آباءه ای دانسته و در موارد متعدد از آثار خود ذکر نموده، به کلی بی اساس است و از بن دندان به اشتباه بزرگ خود اعتراف می کنم.

* آقا میرزا مهدی آشتیانی (قده) یکی از اساتید متبحر عصر ما در فلسفه و عرفان بود که در فلسفه مشاء و اشراق و حکمت متعالیه و عرفان بحرّی مواج و در علوم نقلیه از فقه و اصول و رجال و حدیث و به خصوص در تفسیر و احادیث مربوط به عقاید، اطلاعات کافی و وافی داشت؛ حقیر از محضر آن محروم به طور متفرقه زیاد استفاده نموده ام، ولی ایامی که ایشان تدریس می نمودند، نگارنده مبتدی بودم و نمی توانستم کما هو حقّه از محضرشان استفاده کافی نمایم و اواخر عمر چون مبتلا به کسالت شدید بودند، قدرت تدریس نداشتند. به حقیر عنایت زیاد داشتند و مانند پدری مهربان و رؤوف مرا مورد الطاف خودشان قرار می دادند و تشویق می فرمودند. آن مرحوم غرق در علمیات بود و بی خبر از موجبات اقبال مردم عوام، شخصی با صفا و متدین و عاشق و شیفته اهل بیت عصمت و طهارت بود.

** مرحوم حاجی شیخ مهدی سازندرانی از تلامیذ اساتید تهران و در علوم نقلی از شاگردان مرحوم شریعت

آخوند ملا آقای قزوینی^۱ (قده) که در اواخر عمر از نعمتِ باصره محروم شد.

مفصل تر از همه حواشی، تعلیقات حکیم سبزواری است که غیر از مباحث جواهر و اعراض همه اسفار را حاشیه کرده است؛ بعد از حاشیه محقق سبزواری، حاشیه آقا علی مدرس از سایر حواشی مفصل تر است، حواشی آقا علی از اول اسفار تا سفر نفس به طور متفرقه و به سفر نفس مفصل حاشیه نوشته است، این حاشیه از همه حواشی اسفار محققانه تر است و در استواری و متانت کمتر از اصل کتاب نیست.

کتاب اسفار که مشتمل بر چهار سفر است^۲ از مهمترین آثار ملا صدرا به شمار

→

آقا میرزا احمد آشتیانی^{*}، مرحوم آقا میرزا محمد علی شاه آبادی - عظم الله قدره - و مرحوم آقا میرزا زکی ترک و آقا میرزا محمود آشتیانی و آقا بزرگ مشهدی شهیدی (قده) و آقا سید محمد کاظم عصار تهرانی از تلامذ آن مرحومند.

۱- آخوند ملا آقای قزوینی - اعلی الله مقامه - از بزرگترین اساتید عصر خود و از تلامذ آخوند نوری و ملا اسماعیل اصفهانی است، آقا علی حکیم آن مرحوم را جزو اساتید خود شمرده است. اساتید فن او را بر محقق سبزواری ترجیح داده اند، حواشی آن مرحوم را بنده در حواشی اسفار خطی ملکی آقای حاج شیخ عباس تهرانی نزیل قم دیده ام.

۲- چون اهل سلوك و عرفان در سیر معارج یقینی چهار سفر دارند، صدر المتألهین نیز اسفار را بر طبق حرکات عرفا در انوار و آثار و سیر معنوی و عروج اندکاکي در چهار سفر

→

اصفهانی «شیخ الشریعه» و آقا سید محمد کاظم یزدی بودند و نگارنده قسمتی از سطوح رسائل و مکاسب و قسمتی از شرح منظومه و شوارق را نزد آن مرحوم قرائت نمودم؛ علاوه بر مراتب علمی در زهد و ورع و بی اعتنائی به شؤون دنیای کم نظیر بودند.

* آقای آقا میرزا احمد آشتیانی فرزند مرحوم میرزای آشتیانی، مجتهد بزرگ عصر قاجار، یکی از اساتید بزرگ عصر ما در علوم نقلی و عقلی می باشد که علاوه بر تخصص در علوم نقلی و تبحر در عقلیات؛ فلسفه و عرفان و طب قدیم و فنون ریاضی و جامعیت بی نظیر، یکی از اوتاد اعصار در زهد و ورع و تقوا بودند و در بلندی طبع و علو همت و نجابت و اصالت، تالی اهل عصمت به شمار می روند. حقیر مدتی از محضر آن حضرت استفاده نمودم و عنایتی خاص به حقیر داشتند، الحق مصداق واقعی قول معصومند که فرمود: عالم ربانی کسی است که درک محضر او انسان را متوجه مبدأ اعلان نماید. معظم له در سال ۱۳۰۰ هـ. ق متولد شده اند، فرزند بزرگ ایشان آقای آقا میرزا محمد باقر آشتیانی یکی از افاضل و دانشمندان نامدار این عصرند که علاوه بر استفاده از محضر والد ماجد خود، مدتها به درس آقا ضیاء الدین عراقی و آقا میرزا حسین نائینی حاضر شده اند و خود از اساتید بزرگ و مسلم این عصرند و از حیث روحیات و اخلاق به پدر ماجد خود، تأسی نموده اند و از حسنات دوران به شمار می روند، «ادیمت ظلاله و حرسه الله تعالی عن العاهات».

می‌رود، مصنف در این کتاب در صدد مقایسه بین افکار خود و پیشینیان برآمده و به نحو خاصی مشی نموده است. در نزد ارباب معرفت کتاب اسفار برای شخصی که بخواهد تاریخ زنده و مستندی در فلسفه بنویسد، بهترین کتابی است که از زمان پیدایش فلسفه تاکنون نوشته شده و پیر از تحقیقات و تدقیقات فلسفی بوده و مشتمل است بر اقوال و افکار جمیع متصدیان معرفت حقایق و بهترین مدرک است.

گاهی در گوشه و کنار این کتاب مؤلف به تفنن مطالب بسیار مهمی به صورت اشارات و رمز نوشته و معانی و حقایق نفیسه را به طور اجمال و اشاره بیان نموده است و هر کسی مرد فهم آن کلمات نیست. لذا بزرگان کتاب اسفار را مشکلترین کتاب در فلسفه دانسته اند.

صدرالمتألهین مطالب زیادی از قوم بدون ذکر مأخذ در این کتاب نوشته، ولی مطالبی را که از دیگران اخذ کرده، مطالبی ساده و سطحی و رایج است و غیر از تحقیقات مختص به خود اوست؛ اهمیت صدرالمتألهین در تحقیقات رشیقه‌ای است که اختصاص به خود او دارد.

این که در السنه و افواه بعضی از عوام عصر، معروف شده است که صدرالمتألهین مطالب و مبانی دیگران را به اسم خود ذکر کرده و این معنا را موجب قبح

→

قرار داده است؛ در کیفیت انطباق مطالب کتاب با چهار سفر عرفا، اختلاف است. سفر به اصطلاح اهل یقین عبارت از سیر و مسافرتی است معنوی که مبدأ آن عالم طبع و منتهای آن فنای فی الله و بقای به اوست. سفر اول از خلق به سوی حق، سفر ثانی از حق به سوی حق است، ولی بالحق چون آخر این سفر، اول مقام ولایت است و وجود سالک در این سلوک وجود حقیقی شده است. سفر ثالث از حق به خلق است ولی بالحق سالک در این سفر از حق به خلق رجوع می‌نماید و برای او «تمکین» بعد از «تلوین» و «صحو» بعد از «محو»، حاصل می‌شود. سفر رابع از خلق به خلق است «بالحق»؛ کتاب اسفار به اعتبار مباحث امور عامه و جواهر و اعراض کفیل سفر اول و به اعتبار مباحث الهیات به معنای اخص که در آن اثبات ذات حق و صفاتش می‌شود، کفیل سفر ثانی و به اعتبار اثبات جواهر عقلیه و ملائکه علوی، کفیل سفر ثالث و به اعتبار مباحث نفس و معاد، کفیل سفر رابع است. برای بحث تفصیلی در این باب رجوع شود به شرح حقیر بر کتاب توحید و نبوت و ولایت قیصری.

شرح حال مؤلف / ۳۷

به ساحت قدس این حکیم عظیم دانسته اند، ناشی از وارد نبودن آنها به مبانی حکمیه است؛ لذا اعظام و بزرگان فن با مشاهده این معنا، صدر المتألهین را در علوم الهیه بزرگترین فیلسوف اسلامی دانسته اند. کلمات اختصاصی صدرالحکماء به کلی ممتاز از تحقیقات دیگران است، و متخصص در حکمت متعالیه، می تواند آراء و عقاید و افکار او را از آثار دیگران جدا نماید؛ نکته قابل توجه آن که سبک تحریر و نحوه آثار خاص او خصوصیتی دارد که به کلی از نوشته های دیگران ممتاز است.

ملا صدرا بر اسفار مقدمه نفیسی نوشته است که از حیث اسلوب تحریر و فصاحت الفاظ وجودت معانی و در بر داشتن مطالب عالیه، مورد توجه تمام اهل معرفت است؛ اسفار اولین بار به قطع بزرگ چاپ سنگی مشتمل بر ۵۵۹ فصل و ۹۲۷ صفحه، در سال ۱۲۸۲ هـ. ق در تهران، به خط کلبعلی افشار قزوینی به طبع رسیده است.

۱۸- رساله خلق الأعمال، این رساله در آخر رسائل در سنه ۱۳۰۲ هـ. ق و با کشف الفوائد علامه حلی (رض) چاپ شده و مشتمل بر اقوال علمای اسلام در خلق اعمال و افعال عباد است.

آخوند بعد از نقل کلمات علمای اهل سنت از اشاعره و معتزله، در مسأله خلق اعمال و افعال عباد به طریقه حقه اهل بیت عصمت و طهارت علیهم السلام پرداخته است. همین مطالب را در الهیات اسفار و بعضی از کتب دیگر خود ذکر کرده است؛ نگارنده تاکنون در کلام احدی از حکما و عرفا تحقیقات آخوند ملا صدرا را در مسأله جبر و تفویض بدین مستدلّی و نفیسی، ندیده ام. مسلک او در این مسأله، مرام و ممشای اهل الله و محققان از اهل توحید است.

۱۹- دیباچه عرش التقدیس که آن را ملا صدرا بر اثر نفیس استاد بزرگ خود، خاتم الحکماء والمجتهدین میر محمد باقر داماد نوشته است؛ نسخه ای از این اثر او در کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران موجود است (ف ۲۲۹).

۲۰- دیوان شعر که شاگرد عظیم الشأن او علامه محقق، عارف نامدار فیض کاشانی اشعار استاد را جمع کرده است. نسخه ای از آن در کرمانشاه در

کتابخانه جناب آقای آقاضیاء موجود است، برخی از اشعار آن مرحوم را دانشکده معقول و منقول تهران با رساله سه اصل به مناسبت چهارصدمین سال تولد ملاصدرا چاپ کرده است.^۱

صدرالمتألهین با آن همه مقامات عالیه در علم و عمل داشتن ذوق سرشار، اشعارش ناموزون و بی حلاوت است و خیلی با تکلف شعر گفته است، به خصوص این اشعاری که به طبع رسیده، بسیار سست به نظر می‌رسد، به عقیده من انتشار این اشعار موجب وهن مقام اوست، اگر شخصی در فنون علمی تبحر داشت و از نوابع علم به شمار رفت، لازم نیست که شاعر هم باشد؛ اغلب دانشمندان عصر صفوی طبع شعر داشتند و من نمی‌دانم چه سری در این کار است که محققترین فقیه و اصولی و بزرگترین فیلسوف و عارف، آرزو داشته است که بتواند شعر بگوید. این حکایت از عظمت شعر و مطلوبیت ذاتی آن می‌نماید. و در عمر خود ندیدم کسی را که صاحب ذوق سلیم و روح مستقیم باشد و به شعر اظهار علاقه نماید.

ملا صدرا در مطاوی تحقیقات خود در تفسیر، اشعاری دارد که بعضی از آن اشعار لطیف و زیباست.

۲۱ - الرسالة القدسیة فی اسرار النقطة الحسنة «المشيرة إلى اسرار الهوية الغیبية».

از طرز تحریر این رساله معلوم می‌شود که از تصنیفات ملاصدرا نمی‌باشد، این کتاب در حاشیه مبدأ و معاد چاپ سنگی قدیم (ص ۱۵۳ تا ۱۸۳) در تهران چاپ شده است. حقیر این اثر را از آخوند ملاصدرا نمی‌داند.

۲۲ - سریان نور وجود حق، این رساله را بعضی از حکیم محقق و عارف کامل، ملا محسن فیض دانسته‌اند؛ ولی حق آن است که رساله از فیض نیست، چون فیض هیچ وقت قائل به اصالت ماهیت نبوده و این رساله به طریقه ذوق التأله نوشته شده است و صدرالمتألهین در این رساله مبنای محقق دوانی را تمام دانسته است؛ معلوم می‌شود

۱- دوست معظم دانشمند بزرگوار آقای دکتر سید حسین نصر، این اشعار را به انضمام رساله سه اصل با مقدمه ای زیبا و عالی به طبع رسانیده‌اند.

شرح حال مؤلف / ۳۹

آخوند این رساله را در اوائل عمر خود که قائل به اصالت ماهیت بوده، نوشته است؛ این اثر ضمن رسائل (ص ۱۳۲ تا ۱۴۸) در تهران به چاپ رسیده است.

۲۳- رساله سه اصل که به فارسی نوشته شده است، در واقع این رساله ای است در رد منکران حکمت و معارف عقلیه. ملاصدرا از آن جایی که در فشار عجیب واقع بوده اهل ظاهر و قشریون و منکران معارف الهیه سخت او را تعقیب کرده بودند، به همین لحاظ نتوانست در شیراز توقف نماید، لذا در این رساله کسانی را که با وی ستیزه نموده اند و یا با ستیزه کنندگان هم مذاق بوده اند، سخت تعقیب کرده است. در این کتاب در تحقیق مبدأ و معاد به طریقه ریاضت و مجاهدت و وجوب اعراض از اهل اوهام و منمران در دنیا، پرداخته است و الحق از عهده بر آمده است. این رساله را دانشگاه تهران چاپ کرده است.^۱

۲۴- شرح اصول کافی، از ابتدای اصول کافی تا باب: «ان الائمة» و لایه امرالله» را شرح کرده است. از این شرح احاطه او به فنون «رجال» و «درایه» و «حدیث» و احاطه او به اقوال اهل حدیث معلوم می شود؛ این کتاب تحقیقی ترین شرحی است که بر اصول کافی نوشته شده است.

صدر المتألهین در این شرح به بیان و تحقیق معنای خلافت و ولایت کلیه و شؤون مربوط به مقامات و مراتب تجلیات و نحوه ظهور و تجلی ائمه، در اعیان ثابته و مظاهر اسمائیه پرداخته و قسمت مهمی از عقاید حقه اثنا عشریه را مبرهن و مدلل کرده و معانی و حقایق لطیفه ای را از کلمات اهل عصمت استنباط نموده است؛ از این کتاب ظاهر می شود که ملاصدرا نهایت تصلب را در عقاید شیعه داشته و مبانی عامه را

۱- صدر المتألهین از اشخاص مخصوصی که با وی خصومت ورزیده اند، در کتب خود شکوه دارد و در کثیری از موارد بٹ و شکوی نموده است و آنها را تابع اهواء نفسانیه می دانسته، ولی نسبت به مشایخ و بزرگان و مجتهدان با و رع، کمال احترام را قائل است. از مشایخ اجازه و اساتید خود با عظمت اسم می برد و نسبت به اعظم از فقها و محدثان و بزرگان شیعه احترام فوق العاده قائل است، رجوع شود به مقدمه اصول کافی چاپ سنگی تهران، ۱۲۸۲ق و مقدمه این کتاب.

در مسأله ولایت و بسیاری از مسائل مربوط به نبوت ابطال کرده است. در مقدمه این شرح، مشایخ اجازه خود را در حدیث ذکر کرده است.

۲۵- شرح هدایة الاثریه، این کتاب نفیس شرحی است بر هدایة اثیرالدین ابهری که آن را بر سبک^۱ فلسفه مشائین نوشته است و گاهی به طریقه فلسفی خود در آن کتاب اشاره نموده، در معاد جسمانی و حرکت جوهریه و علم باری و بعضی دیگر از مباحث عمیق فلسفی که از تحقیقات خود اومی باشد، سخن نگفته است. البته مبانی و طرز تفکر او در همین کتاب نیز گاهی به نحو صراحت و مفصل و گاهی موجز و گاهی به نحو اشاره و ایهام معلوم و هویدا است. این شرح در سال ۱۳۱۳ قمری در تهران به چاپ سنگی رسیده است. کتاب هدایه را صدر المتألهین تدریس می کرده و بنا به خواش اصحاب بحث خود، بر آن شرحی نوشته است. این شرح محققانه و مورد استفاده اهل تحقیق است.

۲۶- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، این کتاب ملخص آرای صدر المتألهین است و از حیث جامعیت و دربر داشتن مبانی و آرای فلسفی و تحقیقات رشیه، بی نظیر می باشد. شواهد الربوبیه مشتمل است بر خلاصه افکار و آراء فلسفی و عرفانی ملاصدرا. در این کتاب با این وصف، مطالب زیادی را به طور اختصار بیان کرده است.

مرحوم حکیم سبزواری بر تمام این کتاب حاشیه نوشته و آخوند ملا علی نوری نیز بر قسمتهایی از این کتاب تعلیه نوشته است؛ آقا علی حکیم و آقا محمد رضا قمشه ای نیز تعلیقاتی^۲ بر این کتاب دارند، یکی از فضیله عصر قاجاریه

۱- غیر از دانشمندان مذکور، کثیری از افاضل هند بر این کتاب تعلیق و حاشیه نوشته اند. در زمان صفویه برخی از محصلین هندی در اصفهان فلسفه تحصیل نموده و بعد از مراجعت به اوطان خود، در مقام اشاعه فلسفه بر آمده اند، در همان دوران فلسفه استدلالی در هند رواج داشته است و حواشی مفصل و متعدد بر شرح هدایه حکایت از این معنی می نماید.

۲- تعلیقات آقا محمد رضا بر شواهد تحقیقی و نفیس است. آقا محمد رضا در تحریر قواعد عرفانی در اعصار اخیر نظیر ندارد و در عرفانیات بر ملا صدرا و اتباع او ترجیح دارد، سلسله اساتید آقا محمد رضا در ذوقیات به ملا صدرا منتهی نمی شود، استاد آقا محمد رضا، مرحوم آقا سید رضی

شرح حال مؤلف / ۴۱

به اسم میرزا ابوالقاسم بن احمد یزدی به خواہش شاہزادہ محمد ولی میرزا، پسر فتحعلی شاہ قاجار این کتاب را ترجمہ کردہ است کہ نسخہ ای از آن در کتابخانہ آستان قدس (۴۷: ۴) ش ۴۰۴ موجود است.

نگارندہ این سطور شواہد را در سال ۱۳۸۶ هـ. ق با حواشی و مقدمہ ای مبسوط در شرح حال مؤلف و بیان آراء و آثار او بہ انضمام سیر فلسفہ اسلامی در چہار قرن اخیر با ذکر اتباع و تلامذہ و ناشران افکار فلسفی و عرفانی او و در آخر کتاب حواشی حکیم سبزواری جداگانہ با شرح حال و افکار فیلسوف سبزواری جزء سلسلہ انتشارات دانشگاه مشہد بہ طبع رسانیدم.

آخوند در شواہد بین مبانی حکمی بحثی و کشفی ذوقی و تحقیقات عرفانی جمع کردہ است.

بعضی ہا شواہد الربوبیہ دیگری نیز از آخوند جزء آثار و در ردیف مؤلفات او ذکر کردہ اند کہ فہرست آرای فلسفی ملاصدر است، ولی حقیر چنین کتابی سراغ ندارد.

۲۷ - القضاء والقدر کہ مشتمل بر مسائل مختلفہ در جبر و تفویض و کیفیت وجود عوالم غیبی و بیان نحوہ دخول شرّ در قضاء الہی می باشد، این کتاب نیز ضمن رسائل آخوند بعد از رسالہ حرکت و حدوث عالم جسمانی (ص ۱۴۸ تا ۲۳۷) در تہران سنہ ۱۳۰۲ بہ چاپ سنگی رسیدہ است.

۲۸ - کسر الأصنام الجاہلیہ در ذمّ صوفیہ (جہال متصوفہ، قلندران عاری از معرفت

لاریجانی نیز در عرفان تلمیذ آخوند نوری نیست، در حکمت متعالیہ جزء تلامذہ آخوند است. آقا سید رضی در تصوف از تلامذہ عارف متألّہ آقا میرزا عبدالجواد شیرازی است، آقا میرزا عبدالجواد نیز در عرفان از شاگردان آخوند نوری و آقا محمد بیدآبادی محسوب نمی شود. آقا محمد و آخوند نوری در عرفان همان قسمتهایی کہ در اسفار «فصول عرفانیہ» و برخی از موارد دیگر کتب آخوند مثل تفسیر و اسرارالآیات و مفاتیح الغیب است، تقریر می نمودند؛ بر خلاف آقا میرزا ہاشم گیلانی و آقا سید رضی و میرزا عبدالجواد کہ درست مانند اتباع شیخ اکبر در عرفان راسخ و مقتدر بودہ اند و از جہت احاطہ بر مبانی فلسفی و تخصص تام در مشارب حکمی، از حکمت بحثی و فلسفہ ذوقی قدرت خاصی در تحریر عرفان دارند آقا محمدرضا از ملاصدرا تعبیر بہ «قائدا و مَنْ ینتہی الیہ سیلنا، سیدنا فی المعارف» نمودہ است، و قبلاً عبارت او را نقل کردیم.

و حکمت و مدعیان کاذب که راهزنان دین و دنیای مردمند و به عقیده میرفندرسکی: این جماعت در نظام کل، از باب تطبیق بین نظام کل و نظام جزء به منزل موی ظاهرند که در یک مقدمه و چهار مقاله و یک خاتمه است. این گفتار را آخوند ملا صدرا بر رد جماعت عوام صوفیه که در عصر او می زیسته اند، نوشته و فصایح آنها را آشکار کرده است. این کتاب در تهران با مقدمه و تصحیح دانشمند معاصر، آقای محمد تقی دانش پژوه به مناسبت چهارصدمین سال تولد مؤلف با طرزی عالی منتشر شده است.

۲۹- لمية اختصاص المنطقة بموضع معين من الفلك، نسخه ای از آن در کتابخانه آستان قدس موجود است.

۳۰- المبدأ والمعاد، این کتاب مشتمل بر الهیات به معنی اخص، مباحث توحید و صفات کمالی و ... و طبیعیات؛ کیفیت پیدایش جسمانیات از مبادی عالی و تکوین مادیات توسط حقایق ملکوتی و ظهور نفس ناطقه و مقامات و نهایات آن و مباحث نبوات و منامات است. در اول کتاب اشاره اجمالی به مباحث وجود شده است، سبک کتاب به روش اسفار است، ولی در علم باری متعرض طریقه خود نشده و طریقه شیخ الإشراف را بر سایر طرق در علم باری ترجیح داده است و در اسفار علم تفصیلی در ذات حق را قبل از اشیاء، ثابت کرده و به وجوه متعدد طریقه شیخ الإشراف را رد کرده است. بر این کتاب آقا میرزا ابوالحسن جلوه و آخوند ملا اسماعیل اصفهانی و حاج ملاهادی سبزواری حاشیه نوشته اند. یکی از افاضل اواخر صفویه این کتاب را تلخیص نموده است.

نسخه ای از مبدأ و معاد آخوند ملا صدرا به خط مرحوم حکیم محقق آخوند ملا عبدالرزاق لاهیجی، در کتابخانه استاد علامه آقای حاج میرزا محمد حسین طباطبائی تبریزی^۱ روحی فداه که از اساتید و مدرسین بزرگ حوزه علمی قم است و نگارنده

۱- آقای طباطبائی صاحب تفسیر المیزان که از تفاسیر مهم به شمار می رود، از اعلام و بزرگان این عصرند و در احاطه به علوم متداوله از معقول و منقول کم نظیرند و در ترویج معارف اسلامی و احیای کلمه توحید، ساعی و کوشا می باشند. وجود معظم له مصدر برکات و منبع افاضات و انوار است.

مدتی مدید از محضرشان استفاده نموده‌ام، موجود است.

حقیر نسخه‌ای عکسی از این کتاب تهیه نموده و با مقابله چند نسخه قدیمی دیگر شروع به طبع این کتاب نموده که جزو سلسله انتشارات انجمن فلسفه ایران در دسترس اهل معرفت قرار گرفت.

آخوند ملا عبدالرزاق کتاب مزبور را در خدمت استاد خود قراءت کرده و همه کتاب را با نسخه اصل (نسخه آخوند) مقابله نموده و در حواشی کتاب، خط و مهر مبارك صدر المتألهين (رب اشرح لی صدری) که زینت بخش کتاب و موجب نورانیت چشم و دل است، دیده می‌شود. این کتاب قبلاً در سنه ۱۳۱۴ هـ. ق در تهران به چاپ سنگی رسیده و در آخر همین کتاب، طهارة الأعراق حکیم محقق ابن مسکویه و در حواشی چند رساله فلسفی و عرفانی و اخلاقی به طبع رسیده است.

۳۱- المشاعر، این کتاب مشتمل است بر مباحث وجود و اثبات اصالت وجود و اعتباریت ماهیت و اثبات مبدأ و صفات کمالیه او، از علم، قدرت و اراده و بیان حدوث زمانی عالم. صدر المتألهين در این کتاب برای اثبات اتحاد عاقل و معقول به برهان تضایف تمسک جسته است. تاریخ افاضة برهان قویم تضایف از ملکوت وجود بر قلب منور مؤلف در حاشیه نوشته شده است. کتاب مزبور با سلیقه تام وجودت تمام نوشته شده و بهترین کتابی است که در مباحث راجع به وجود تألیف گردیده است.

بر این کتاب حکیم دانا، آقا میرزا احمد اردکانی شیرازی، شاگرد آخوند نوری شرحی به نام وکیل الدوله نوشته است که با کتاب در سنه ۱۳۱۵ ق به چاپ سنگی رسیده است.

حکیم محقق حاج ملا محمد جعفر لنگرودی، شاگرد دیگر حکیم یگانه آخوند نوری به اسم مرحوم حاج میرزا آقاسی صدراعظم معروف، نیز بر مشاعر شرحی نوشته که دو نسخه از آن در کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران جزء کتب اهدائی حضرت آقای مشکوة، استاد معظم دانشگاه و نسخه‌ای در کتابخانه آستان قدس (۴: ۱۹۲) ش

۸۴۶- ف ۲۸۲) موجود است.

آخوند ملا علی نوری و مولی زین العابدین بن محمد جواد نوری و میرزای جلوه بر این کتاب نیز حاشیه و شرح نوشته اند.

بدیع الملک میرزا عمادالدوله دولتشاهی این کتاب را درس می گفته و بر آن شرحی نوشته است به نام عمادالحکمة (مجلس ۴۹: ۲ ش ۱۰۰).

حقیر کتاب مشاعر را با شرح لنگرودی و حواشی مفصل فارسی به انضمام مقدمه ای مبسوط در تاریخ فلسفه اسلامی در چهار قرن اخیر، در سال ۱۳۴۲ هـ. ش در مشهد به طبع رسانیده است. حضرت استاد فاضل کامل آقای همایی مقدمه ای بر این کتاب مرقوم فرموده اند که در باب خود نظیر ندارد. مستشرق بزرگ آقای پروفیسور هانری گُربن، کتاب را با ترجمه فارسی عمادالدوله به انضمام حواشی و شرح و تعلیقات به زبان فرانسه چاپ و منتشر نموده اند. به وسیله این مستشرق عالیقدر بوده که فلسفه ملا صدرا در دنیای غرب منتشر شد.

۳۲- متشابهات القرآن در شش فصل است و صدرالمحققین در این کتاب به روش مخصوص خود در این مسأله گفتگو کرده است.

این رساله که مشتمل است بر عالی ترین تحقیقات در باب متشابهات از قرآن و حدیث، با حواشی و مقدمه نگارنده این فهرست در دسترس اهل معرفت قرار گرفته است.

۳۳- المزاج، صدرالمتألهین در این مسأله رأی خاصی دارد که در مباحث جواهر و اعراض اسفار و بعضی دیگر از کتب خود، از آن بحث نموده است (طوس ۴: ۱۴۳).

۱- نسخه کتابخانه مرکزی دانشگاه حاج ملا محمد جعفر صدر کتاب را به قول خودش مزین به نام حاج میرزا آقاسی نموده است، ولی در نسخه کتابخانه آستان قدس، اسمی از او برده نشده است؛ نگارنده بر متن شرح مشاعر مزبور مقدمه و تعلیقاتی مبسوط و مفصل به فارسی نوشته ام که به طبع رسیده است.

۳۴- المظاهر الإلهية في اسرار العلوم الكمالية، صدرالدين شیرازی^۱ این کتاب را به منظور بیان قسمت مهمی از علوم حقیقی و معارف الهی، تصنیف کرده و آن را مشتمل بر شش مقصد قرار داده است که سه مقصد آن پایه و اساس و سه مقصد دیگر به منزله فروع و لواحق است.

مقصد اول: در بیان معرفت حق اول و صفات و اسمای الهی و مسائل مربوط به آن می باشد.

مقصد دوم: در بیان شناسایی صراط مستقیم و درجات صعود و کیفیت ارتقای به سوی حق و بیان کیفیت سلوک و عروج به سوی مبدأ است.

مقصد سوم: در بیان معرفت معاد و نحوه رجوع به حق و شرح احوال سلاک و مسافران به جانب مبدأ وجود می باشد.

مقصد چهارم: در بیان شناسایی انبیاء و اولیاء و برگزیدگان از جانب حق است.

مقصد پنجم: در بیان اقوال اهل انکار و کشف فضایح اهل کفر و نفاق می باشد.

مقصد ششم: در بیان کیفیت تعلیم عمارت منازل و مراحل و نحوه تهیه زاد و راحله و توشه برای سفر آخرت است که از آن تعبیر به علم اخلاق می شود.

نسخه ای خطی از این رساله در کتابخانه آستان قدس جزء کتب مرحوم آیه الله العظمی آقای سید ابوالحسن اصفهانی - قدس الله روحه - م ۱۳۲۴ هـ . ش موجود است .

این نسخه در سنه ۱۳۱۴ ق در حاشیه مبدأ و معاد و در شوال المکرم ۱۳۸۰ هـ . ق در مشهد با مقدمه و تعلیقه نگارنده به منظور چهارصدمین سال تولد صدر المتألهین جزء انتشارات دانشگاه مشهد چاپ شده است . راقم این سطور بر این رساله شرح مبسوط فارسی نگاشته ام و منتظر فرصت هستم که آن را طبع و منتشر نمایم .

۱- نگارنده این رساله را به تشویق استاد علامه ، مرحوم دکتر علی اکبر فیاض به مناسبت چهارصدمین سال تولد مؤلف و با مقدمه معظم له با حواشی و مقدمه به هزینه دانشگاه مشهد چاپ و منتشر نمود . این رساله اولین اثری است از ملاصدرا که نگارنده منتشر نمود .

۳۵- المسائل القدسیّة، یکی از آثار نفیس ولی ناتمام و ناقصِ آخوند ملا صدرا است. مابه این رساله که اگر به اتمام می رسید، بهترین اثر مؤلف محسوب می شد، بعد از تفحص زیاد دسترسی پیدا نمودیم که در مجموعه رسائل فلسفی ملا صدرا به طبع رسید.

۳۶- رساله در معاد جسمانی، یک نسخه از این رساله در کتابخانه آستان قدس موجود است (۴: ۲۰۱ در دنبال نسخه شفای ش ۸۷۶، گویا همان که در ف ۳۲۲ آمده است)، مطالب آن بدون کم و زیاد مقدماتی است که در شواهد و اسفار و مبدأ و معاد جهت اثبات معاد جسمانی بیان کرده است. بعضی گمان کرده اند این همان رساله حشر ملا صدراست که مطالب آن در اکثر آثار مؤلف آمده است. نگارنده این رساله را همراه با شرح مفصل به چاپ رسانده ام.

۳۷- مفاتیح الغیب، این کتاب با شرح اصول کافی او در تهران به چاپ سنگی رسیده است. مفاتیح را صدر المتألهین در موقعی که مبانی خویش را کاملاً محکم نموده بوده، نوشته است؛ لذا مفاتیح الغیب مورد توجه اهل ذوق قرار گرفته و این کتاب را اهل فن بر بسیاری از کتب دیگر صدرالدین ترجیح می دهند. بیشتر مسائل مربوط به معارف مبدأ و معاد در این رساله مندرج است. مرحوم حکیم سبزواری بر این کتاب حواشی و تعلیقات نوشته است که در هامش کتاب با نشانی «یا هادی المضلّین» طبع شده است، «یا هادی المضلّین» صورت خاتم اوست.

۳۸- نامه صدرالدین شیرازی (ریو ۳/ ۴۱۷ ذیل)

۳۹- نامه صدر المتألهین به استاد خود سید محقق داماد، در این نامه اول از استاد خود اجازه می خواهد که در سفر قم (یا کاشان) ملتزم رکاب باشد، چند مسأله از استاد خود سؤال می نماید و در این سؤال اصالت ماهیت را ابطال کرده است، این نامه ناقص است (طوس ۴: ۱۰۹ جزء نسخه ش ۵۹۰).

۴۰- نامه به میرداماد، حقیر این نامه را در آخر شرح حال و آراء و آثار او منتشر نموده است. نامه ای دیگر از ملا صدرا به میرداماد توسط دانشمند معاصر آقای دانش پژوه

شرح حال مؤلف / ۴۷

در راهنمای کتاب چند سال قبل چاپ شده است. قلم فارسی مؤلف مثل تحریر عربی او روان و جذاب و منشیانه است و نهایت تسلط را در تحریر مطالب علمی به فارسی داشته است. در هر دو نامه استاد خود را نزدیک به حد پرستش تعریف نموده است، از این نامه ها معلوم می شود که نزد استاد، دارای مقامات رفیعه بوده است. آخوند از بی اقبالی مردم به علوم و معارف و نیز از انحطاط مزاج و هجوم ضعف ناشی از پیری و ابتلای به غربت و عدم تجانس او با ابنای زمان بسیار نالیده و بث و شکوی کرده است.

۴۱- الواردات القلیة، این کتاب نیز حاوی مطالب بسیار سودمندی است و با کمال اتقان و استحکام نوشته شده است و جزء کتاب رسائل (ص ۲۳۸ تا ص ۲۷۸) در سال ۱۳۰۲ در تهران به چاپ سنگی رسیده است. در این رساله از علمای ستایشگر و متملق که از حکام جور و استبداد زمان طرفداری می کرده اند، مذمت کرده است.

و چون مرسوم بوده است که بعضی از علمای آن زمان از دولت وقت مستمری می گرفتند و بین اتباع و انصار و اهل درس و بحث خود قسمت می کردند، البته معلوم است گرفتن این قبیل از پولها مقدماتی لازم دارد که نوعاً توأم با کارهای سبک و خودفروشی و التزام به حقارت و کوچکی و وقوع در شرك خفی و احترام به اشخاص فقط به جهت مال و ثروت و ارتکاب خلاف شرع و انجام کارهای مستهجن می باشد. (اشخاصی که این قبیل کارها را انجام می دهند، چه بسا مدعی قصد قربت به حق می شوند و در عین اعانت به ظلم و ستم، خود را مصیب قلمداد می نمایند و به تدریج امر بر آنها مشتبه شده و نعوذ بالله محامل صحیحی هم پیش خود درست می کنند) آخوند گفته است: «والعجب أنه مع البلاء كله والداء جلّه تمنى نفسه العثور وتدلاّه بحبل الغرور ان فیما یفعله مرید وجه الله ومذیع شرع رسول الله وناشر علم دین الله والقائم بكفایة طلاب العلم من عباد الله، ولولم یكن ضحكة للشیطان وسخرة لأعوان السلطان؛ لعلم بآدنی تأمل ان فساد الزمان لاسبب له إلا كثرة امثال اولئك الفقهاء المحدثین فی هذه الاوان، الذین یاكلون ما یجدون من الحلال والحرام ویفسدون عقائد العوام

باستجرائهم على المعاصي اقتداءً بهم واقتفاءً لأثارهم، فنعوذ بالله من الغرور والعمى بأنه الداء الذي ليس له دواء».

۴۲- القواعد الملکوتية، در پاره ای از کتب تراجم این کتاب جزء آثار آخوند ذکر شده است، ولی مسلماً این اثر همان «المسائل القدسية في القواعد الملکوتية» است.

کتبی که ذکر شد غیر از رساله سر النقطة و کتاب «شواهد» دیگر غیر از شواهد ربوبیه، مسلماً از تصنیفات آخوند می باشد؛ ولی پاره ای از کتب و رسائل دیگری را غیر اهل فن بدون تفحص و دقت و پرسش از اهل فن از آثار صدر المتألهین شمرده اند، که ذکر می کنیم:

۱- اثبات الواجب که نگارنده رساله ای در این باب دیده ام که به ملا صدرا نسبت داده اند و بعد از تفحص و رجوع به مطالب رساله معلوم شد که حتماً از میر صدر دشتکی است و نسخه هایی از آن در کتابخانه آستان قدس و سایر کتابخانه ها موجود است که مطالب آن با طریقه و ممشای ملا صدرا سازش ندارد.

۲- حواشی بر شرح تجرید که به واسطه اشتراک اسمی بین صدر المتألهین و صدر الدین دشتکی به ملا صدرا نسبت داده شده است، از نحوه تقریر مطالب و مبانی پُر واضح است که از ملا صدرا نمی باشد.

۳- حواشی بر شرح لمعه که از آقا میرزا ابراهیم^۱ پسر صدر المتألهین است.

۴- شبهة الجذر الأصم که ارباب تراجم آن را از تصنیفات صدر الدین دشتکی شمرده اند و نسخه ای از آن در دست است که چند سال قبل از ظهور ملا صدرا

۱- آقا میرزا ابراهیم فرزند آخوند مذاق کلامی داشته و بر تجرید و حواشی آن حواشی و تعلیقات نوشته است، فرزند کوچک آخوند دارای استعداد و ذوق کامل فلسفی و عرفانی بود که در اوائل جوانی چهره به نقاب تراب پنهان نمود.

چون میرزا ابراهیم به سبک اهل کلام مشی نموده است، برخی از یاهو گویان و منغمران در او هام در مقام تعریض بر ملا صدرا او را مصداق «یخرج الحی من المیت» معرفی کرده اند، «هر کسی بر طینت خود می تند».

نوشته شده است.

۵- حاشیه بر رواشح سماویة میرداماد این کتاب محتمل است از ملاصدرا باشد، چون صدرالمتألهین در علم رجال و حدیث مهارت داشته است. رساله‌های دیگر هم مانند «المباحث الاعتقادیة» و «الکفر والإیمان» و «القواعد الملکوتیة» که همان «المسائل القدسیة فی قواعد الملکوتیة» است و آن را به دو اسم بعضی از ارباب تراجم آخوند در صورت فهرست آثار او ذکر کرده اند.

رموز القرآن و حاشیة انوار التنزیل و تجرید مقالات ارسطو و رساله در امامت، بحث المغالطات و بدء وجود الإنسان و چند رساله دیگر که بیشتر آن رسائل قطعاً از ملاصدرا نیست.

آخوند رساله‌ای در سریان عشق در جمیع موجودات (اثبات عشق هیولی به صورت) تألیف نموده است که نگارنده این سطور آن را ندیده است. در کتاب «الشواهد الربوبیة» چاپ دانشگاه مشهد که با مقدمه مفصل حقیر در سال ۱۳۸۶ هـ. ق منتشر شده است (ص ۷۸) گوید: «ومن هاهنا يعلم وجه صحه ماذهب اليه القدماء من اثبات الشوق للهیولی إلى صورتها، وإن استبعده الشیخ فی الشفاء غایة الاستبعاد... ثم أثبت العشق لها فی رساله، و نحن قد أوردنا كلاماً مبسوطاً فی دفع ما ذكره (فی الأسفار) و عملنا فی بیان رساله منفردة.»

این رساله به منظور توزیع در جشن چهارصدمین سال تولد مصنف علامه بنا به پیشنهاد جناب مستطاب آقای دکتر حسن شهیدی معاون و استاد دانشگاه مشهد و تصویب حضرت مستطاب آقای دکتر حسین سامی راد استاد و رئیس دانشگاه مشهد - که تأسیس و ایجاد دانشگاه مشهد و ترقی و توسعه شایان آن را حقاً بایستی مرهون مجاهدت و کوشش ایشان دانست - با نسخه صحیح مقابله و باتصحیح کامل و بیان مشکلات جهت تجلیل از مقام شامخ مصنف آن، در دسترس دوستداران علم و فضیلت قرار می گیرد. از راهنمائی‌هایی که استاد علامه جامع معقول و منقول آقای دکتر علی اکبر فیاض - مدظله - رئیس دانشکده ادبیات و معقول و منقول مشهد و استاد دانشگاه تهران در تهیه

۵۰ / المظاهر الإلهية

و تنظيم و ترتيب اين كتاب نسبت به نگارنده نموده اند، کمال تشکر را دارم و توفیقات معظم له را از خدای بزرگ خواستارم.

مشهد ۲۸ شهر شوال المکرم ۱۳۸۰

جلال الدین الموسوی «الآشتیانی»

تقریظ استاد محترم جناب مستطاب آقای دکتر علی اکبر فیاض
استاد دانشگاه تهران و رئیس دانشکده ادبیات و معقول و منقول مشهد

با انتشار این کتاب کار خوب و سودمندی انجام یافت و کتاب خوبی که با همه خوبی و نفیسی به علت بدی چاپ قدیم آن، در گوشه فراموشی مهجور و متروک مانده بود، در جامه این چاپ زیبا دردسترس مستفیدان و علاقه مندان قرار گرفت. کوششی که مصحح محترم کتاب، دوست دانشمند آقای سید جلال الدین آشتیانی معلم فلسفه و عرفان دانشگاه مشهد در راه احیای این اثر نفیس مبذول داشته اند، حقاً درخور همه گونه ستایش است، مخصوصاً با ملاحظه آن که کاری بدین ارجمندی در مجال بسیار کم و محدود و با کمبود یا فقدان وسائل و ابزار کار، انجام یافته است.

کتاب «المظاهر الالهیه» یکی از نوشته های نوع کوچک آخوند ملاصدرا است که در قالبی کوچک، تمام رؤوس مسائل فلسفی مندرج در کتابهای بزرگ و متوسط (اسفار، مبدأ و معاد، الشواهد الربوبیه و امثال آنها) را به صورتی البته فشرده و اجمالی درج کرده و در حقیقت پله ای برای صعود به ذرّوه بلندتر فلسفه پیش پای طالبان مبتدی گذاشته است. به همین جهت زبان کتاب را هم بسیار سهل و ساده و روان گرفته است، به طوری که خواننده علاقه مند با لذت آن را می خواند و احساس صعوبت و خستگی نمی کند. بیان مطالب نیز همه جا مزین به آیات و احادیث است به رسمی که

فیلسوف بزرگوار به منظور تطبیق فلسفه با دین در مباحث الهی کتاب های خود به کار می بسته است .

چاپ سابق این کتاب که در حاشیه مبدأ و معاد چاپ سنگی طهران (سال ۱۳۱۴ هجری قمری) انجام شده بود، الحق شایسته آن نبود و این نقیصه اکنون به همت و نشاط دانشمند جوان آقای آشتیانی رفع شد، به طوری که خوانندگان خود می بینند و قدر می دانند. مقدمه و تعلیقات فاضلانه ای که مصحح محترم بر کتاب افزوده اند، نموداری است از مقام علمی و نیز از علاقه ای که ایشان به تکمیل کار خود داشته اند.

این نخستین بار است که دانشمند جوان ما، به کار چاپ انتقادی یک متن فلسفی دست می زند و آشنایان به این کار می دانند که تصحیح و انتقاد متون چه دشواریها دارد و چقدر توانایی وسعه اطلاع می طلبد. من نیز توفیق دوست گرامی خود را در راه خدمت به دانش و معرفت آرزومند و خواستارم و با این همت و نشاطی که از ایشان در راه علم می بینم، یقین دارم که هر بار اثری کاملتر و بهتر به وجود خواهند آورد.

بنا به تقاضای مصحح محترم، این تعلیقه را درباره کلمه «طرطارس» مذکور در صفحه ۱۴۶ کتاب می افزایم: این کلمه با واو به نظر من غلط می آید و باید با راء باشد (طرطارس) و همان Tartaros یونانی است که چیزی شبیه به جهنم از آن اراده می شده است، «گودالی تاریک در زیر دوزخ Hades که فاصله آن با دوزخ چندان است که فاصله زمین با آسمان و زندان دیوها و شیاطین و به طور کلی محل شکنجه و عذاب». این کلمه در اشعار هومر و هزیود دو شاعر قدیم یونانی ذکر شده است و بعدها افلاطون از قول سقراط در کتابهای خود از آن نام می برد. شرحی که فیلسوف شیرازی در این کتاب از طرطاوس (طرطارس) ذکر می کند، خود از ترجمه های افلاطون است؛ چنان که خود می گوید: قال المترجم (ص ۱۴۷ متن)، ولی نام کتاب و نام مترجم را ذکر نکرده است.

علی اکبر فیاض

مقدمة التحقيق

بسمه تعالى

الحمد لله الذي أشرقت أنواره في قلوب أوليائه، وأزال الأغيار عن ضمائر أحبائه، وأذاقهم حلاوة أنسه ومحبه، فأضأت صدورهم بسبحات شمس هويته، جل ذكره وعظم قدسه وتعالى جده، الملك المهيمن، القدوس العزيز الجبار، فسبحانه من إله تجلى بذاته ولذاته، وأظهر الأشياء بمشاهدتها في غيب وجوده وجعلها مظاهر ذاته وأسمائه وتنزه عن مجانسة مخلوقاته. وأصلى وأسلم على من له الاسم الأعظم، الناطق بلسان مرتبته، أنا سيد ولد آدم، مطلع تائثر كل خير وقام، ومفتح فوائح كل فتح ومختتم كل ختم، الشمس الطالع والنور الباهر، وسيلة الفيض والجود وذريعة الخير والوجود محمد ﷺ.

وبعد فهذه تعليقات انيقة وتحقيقات رشيقة علقتها على كتاب المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية، لمصنفه الشيخ الكامل المكمل، قرة عيون الموحدين، الحكيم المحقق والفيلسوف المدقق، نخبة أولياء العرفان وقبلة أصفياء البرهان، استاذنا الأقدم وشيخنا الأعظم، محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي -رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى جنانه موطنه ومثواه.

وهذا الكتاب وإن كان صغيرة الحجم وجيز النظم، لكنه كثير التحقيق، جامع بين غط الاستدلال والحكمة البحثية والمطالب الذوقية والكشفية، وهو بحق نقاوة المسائل العلمية في المبدأ والمعاد، وخلاصة الأذواق الحاصلة من السير والسلوك في البدأ والعود وقد نطق مصنفه

العلامة في هذا الكتاب بتحقيقات رشيقة وتدقيقات أنيقة ورموزات علمية، خلت عنها كتب السابقين وتعدت منها أسفار اللاحقين، ومن شأنه أن يكتب سطور به نور على وجنات الحور ظاهراً، وتنتش معانيه بقلم العقل على صفحات النفس باطناً.

وقد قامت بطبع هذا الكتاب ونشره جامعة مشهد بمناسبة مشاركتها في الاحتفال الذي يقام في هذه السنة، لمضى أربعمئة عام على ميلاد الفيلسوف الجليل - رضي الله عنه - . وقد اعتمدنا في طبع هذه النسخة على نسخة مخطوطة، إضافة على ما بذلناه من جهود في تنقيحها من الالفاظ المتعدرة فهمها محافظين على الأمانة في أداء المعاني، وذلك بمراجعة جملة مؤلفاته - رحمه الله تعالى - .

واعترافاً بفضل مؤلفه ومقامه الشامخ، نقدم هذا الكتاب لطالبيه من ذوي الفضل والكمال .

هذا ولاننسى ما تفضل به الاستاذ العلامة، الدكتور على أكبر فياض - مد ظله - استاذ جامعة طهران ورئيس كليتي الشريعة والأدب في خراسان من إبداء آرائه القيمة حول الكتاب وما احتوى عليه من محسنات جذابة .

وفي الختام نرجو من الله سبحانه أن يثينا على سعيانا هذا إنه الكريم الوهاب .

جلال الدين الموسوي الأشناني

[خطبة الكتاب وبيان أن أفضل الحسنات ورئيس الفضائل اكتساب الحكمة الحقة وتكميل القوة النظرية والعملية]

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم يا مفيض الجود والوجود ويا ولي الفضل والنور، يا شافي أمراض
الصدور ويا منجي النفوس من أغشية الأجسام إلى معدن السرور، اجعلنا من العارفين بنور
قدسك والواقفين بحبك، ونور عقولنا بأنوار معرفتك وإدراك ربوبيتك، وانظرنا بعين عنايتك
ورحمتك، وطهرنا عن الأرجاس والأدناس بقوة عصمتك وصيرنا من مشاهدي أنوارك
ومجاوري مقربك، وصاحبنا للساكنين من ملكوتك، إنك مفيض الخيرات ومنزل البركات
ومفيض النور من الظلمات، وصل اللهم على هادي سبيل النجاة والرشاد، ومرشد عبادك
إلى طريق السداد، وقائدهم وسائقهم إلى المعاد محمد وآله الأطهار الأمجاد.

أما بعد، لما كان أفضل السعادات والوسائل ورئيس الحسنات والفضائل، اكتساب
الحكمة الحقة الإلهية وتكميل^١ القوة النظرية بتحصيل العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية

١- واعلم أن هذا الكتاب مشتمل على علمين شريفيين: أحدهما العلم بالمبدأ ويندرج فيه العلم بصفاته وآثاره
وكيفية صدور الأشياء منه، والثاني العلم بالمعاد ويندرج فيه كيفية ظهور النفس الإنسانية ومبدأ تكونها
من المواد الجسمانية وانتهاء استكمالاتها وترقياتها إلى آخر مقاماتها وفنائها في الله ومباحث النبوات
والمنامات. وليعلم أن القوة النظرية والعملية، متكافئتان في الآثار والأنوار والقوة النظرية تحصل
للسالك علم اليقين والعملية عين اليقين وحق اليقين، وقد عبّر عن القوتين أي النظرية والعملية بالجناحين

واستكمال العقول الهيولانية بالعلم بالله وصفاته وملكوته وملكوته بالعلم باليوم الآخر ومنازله ومقاماته، إذ بها يصير الإنسان سالكاً سبيل العرفان ومتوجهاً شطر كعبة العلم والإيمان، متخلصاً عن سجن الحدثان والخسران إلى جنة السعادة ومجاورة الرحمان، ويحصل بها معرفة الكلمات النورية والذوات الروحانية والشعلة الملكوتية التي هو سبب معرفة الرحمان، كما في الحكمة العتيقة «من عرف ذاته تأله» أي صار عالماً ربانياً فانياً عن ذاته، مستغرقاً في شهود جمال الأول وجلاله؛ كما قال المعلم الأول: «من عجز عن معرفة نفسه فأخلق به أن يعجز عن معرفة خالقه».

فإن معرفتها ذاتاً وصفاتاً مرقاة إلى معرفة باريها ويصير الإنسان باكتسابها من حزب الملائكة المقربين، بعد أن كان من جنس الحيوانات المبعدين، وهي العروة الوثقى والعمدة العظمى في التقرب إلى الله تعالى والفوز بالسعادة الأخروية والجهل بهذه المعارف الإلهية وجحودها مع وجود الاستعداد وقوة التعلم ومكنة التحصيل، رأس الشقاوات والعقوبات ومادة كل نفاق ومرض نفساني ومغرس كل شجرة ملعونة وشجرة خبيثة في الدنيا والآخرة «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون»^١. ولهم العذاب والخسران العظيم والحسرة والندامة يوم القيامة.

ولما كان العلوم الكمالية والمعارف الإلهية مختلفة الأنواع والفنون، متكثرة الشعب والشجون حتى أن النفوس الإنسانية مع إحاطتها بالكليات، يعجز عن إدراك أنواعها وفنونها، سيما في تعلقها بهذه النشأة التعلقية، وتكل عن استحضارها، فرسمت رسالة في تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالمبدأ والمعاد، ليكون معيناً لمن له فضل قوة على تحصيل الكمال وعلى من له زيادة دربة في تحصيل الحال دون القول وسميتها بـ: المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية وجاءت بحمد الله مرتباً على مقدمة وفتن وخاتمة، وأسأل الله التوفيق في رفع حجب الغواية، والتسنن بسنن الهداية فإنه المفيض في البداية والنهاية.

→

والله أشار المولي

موكشائش می کشد تا کوی دوست

پر و بال ما کمند عشق اوست

المقدمة [: في أنّ الحكمة أفضل العلوم ورئيس الحسنات ، وأعظم الكمالات ، وبيان معرفة ذاته تعالى وصفاته وأفعاله ، وكيفية صدور الأشياء منه ورجوعها إليه]

اعلموا رفقاائي المجاهدين وإخواني المؤمنين ، أنّ الحكمة التي هي معرفة ذات الحق الأول ومرتبة وجوده ومعرفة صفاته وأفعاله وأنّها كيف صدرت منه الموجودات في البدو والعود ، ومعرفة النفس وقواه ومراتبه ومعرفة العقل الهولاني ، التي هي مجمع البحرين وملتقى الإقليمين وكيفية حال السعادة والشقاوة ومعرفة النفس الموصل إلى الصعود ، من حضيض السافلين إلى ذروة العالمين ، التي هي مرقاة لمعاينة الجمال الأحدي والفوز بالشهود السرمدي ، ليس المراد منها الحكمة المشهورة عند المتعلقين بالمتفلسفين المجازية المتشبهين بأذيال الأبحاث المتعالية .

بل المراد من الحكمة ، الحكمة التي^١ يستعد النفس بها للارتقاء إلى الملاء الأعلى والغاية

١- ولما خلق الله تعالى الإنسان موجوداً مركباً من الروح والبدن ولكل منهما تأثير في الآخر وللروح أي النفس الإنسانية جهتا تعلّق وتجرّد؛ فيجب عليه تكميل القوتين ، و تكميل القوة النظرية إنّما تحصل بتعقل نظام الوجود على ما هو عليه ، وتصير النفس عند تعقل الأشياء على ما هي عليها بقدر الوسع الإنساني ، عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني ويصير صحيفة النفس كتاباً تاماً يطالع فيه صور الأشياء مجردة وماديها ، فليكنها وعصرها واستكمال النفس بالعلم بالله وصفاته وآثاره والعلم بكيفية رجوع الأشياء إليه تعالى - هي المقصد الأعلى والغاية القصوى للإنسان- فالعلوم الإلهية هي عين الإيمان بالله وصفاته العليا وأسمائه الحسنى .

وإلى هذا الفن من الفلسفة تصريحات وتلويحات في الكتب الإلهية ، وأمّا تكميل القوة العملية أي العقل
←

القصوى وهي عناية ربانية وموهبة إلهية، لا يؤتى بها إلا من قبله تعالى، كما قال تعالى: «يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^١ وهي الحكمة المعبرة عنها تارة بالقرآن، وتارة بالنور، وعند العرفاء بالعقل البسيط، وهي من فضل الله وكمال ذاته ورشحات وجوده، 'أتانا الله لمن اختاره واصطفاه من خواص عباده ومحبيه، لا ينالها أحد من الخلق إلا بعد تجرده عن الدنيا وعن نفسه بالتقوى والورع والزهد الحقيقي والانخراط في سلك المقربين من ملائكته وعباده الصالحين حتى يعلمه الله من لدنه علماً ويؤتيه حكمة وخيراً ويحييه حياة طيبة وجعل له نوراً يمشي به في ظلمات الدنيا «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس»^٢.

واعلموا أن المباحث الإلهية والمعارف الربانية في غاية الغموض، دقيقة المسلك لا يقف على حقيقتها إلا واحد بعد واحد، ولا يهتدي إلى كنهها إلا وارد بعد وارد، فمن أراد الخوض في بحر المعارف الإلهية والتعمق في الحقائق الربانية، فعليه الارتياض بالرياضات العلمية والعملية واكتساب السعادات الأبدية، حتى يتيسر له شروق نور الحق وتحصيل ملكة قلع الأبدان والارتقاء إلى ملكوت السماء، ولذا قال المعلم الأول أرسطاطاليس الفيلسوف: «من أراد أن يشرع في علومنا فليستحدث لنفسه فطرة أخرى»، لأن العلوم الإلهية ماثلة للعقول القدسية، فإذا ركها يحتاج إلى تجرد تام ولطف شديد وهو الفطرة الثانية؛ إذ أذهان الخلق في أول الفطرة جاسية كثيفة أخرجنا الله وإياكم من ظلمة غسق الطبيعة وأدخلنا بشروق نور الحقيقة وأرانا وجوده بهداه، فإنه رب كل شيء ومولاه ومبدأ كل وجود وممتناه.

→

العملي، إنما تحصل بمتابعة الأنبياء وإتيان الواجبات وترك المحرمات وتهذيب الظاهر والباطن. والسالك بعد الشروع إلى تكميل عمارة الباطن، يظهر له النور الإيماني من باطنه ثم يرى عينيه ومظهره الروحاني والنفساني مسجونين في سجن الطبيعة، فيقول: «يا صاحبي السجناء أرباب متفرقون خيرام الله الواحد القهار» ويصير متوجهاً إلى باطنه ويدرك نقصانه وتضييع وقته، ثم يجعل جميع همومه هماً واحداً.

١-البقرة (٢) الآية ٢٦٩.

٢-الانعام (٦) الآية ١٢٢.

الفنّ الأوّل

في الإشارة إلى معرفة المبدأ الأقصى
والغاية القصوى وكيفية أفعاله المترتبة

وفيه مظاهر

في الإشارة إلى عمدة مقاصد الكتاب الإلهي ، التي هي الحكمة الحقة والغاية المطلوبة

اعلم أن المقصد الأقصى واللباب الأصفى من نزول الكتاب الإلهي ، دعوة العباد إلى الملك الأعلى - رب الآخرة والأولى - والغاية المطلوبة فيه تعليم ارتقاء العبد من حضيض النقص والخسران إلى أوج الكمال والعرفان ، وبيان كيفية السفر^١ إليه تعالى ، ففصوله وأبوابه وسوره وآياته ، منحصرة في ستة مقاصد : ثلاثة منها كالدعائم والأصول والأعمدة المهمة ، وثلاثة منها كاللواحق والتمّمات^٢ .

أما الأصول الثلاثة المهمة فالأول منها معرفة الحق الأول وصفاته وآثاره .
والثاني معرفة الصراط المستقيم ودرجات الصعود إلى الله وكيفية السلوك إليه
والثالث معرفة المعاد والمرجع إليه وأحوال الواصلين إليه وإلى دار رحمته وكرامته
وهو علم المعاد والإيمان باليوم الآخر . وأمّا الثلاثة اللاحقة فأحدها معرفة المبعوثين من
عند الله ، لدعوة الخلق ونجاة النفوس وهم قواد سفر الآخرة ورؤساء القوافل ، وثانيها

١- سيأتي في آخر الكتاب معنى السفر على طريقة أهل العرفان إن شاء الله تعالى .

٢- التّمات ، خ. ل .

حكاية أقوال الجاحدين وكشف فضائحهم وتسفيه عقولهم في ضلالهم . والمقصود فيه التحذيرُ عن طريق الباطل ، وثالثها تعليم عمارة المنازل والمراحل إلى الله تعالى والعبودية و كيفية أخذ الزاد والراحلة لسفر الآخرة والاستعداد بريضة المركب و علف الدابة . والمقصود منه كيفية معاملة الإنسان مع أعيان هذه الدنيا ، التي بعضها داخله فيه - كالنفس وقواها الشهوية والغضبية وهذا العلم يسمى تهذيب الأخلاق - وبعضها خارجة ، إمّا مجتمعة في منزل واحد كالأهل والخدم والوالد والولد ويسمى تدبير المنزل ، أو في مدينة واحدة ويسمى علم السياسة وأحكام الشريعة كالديات والقصاص والحكومات ؛ فهذه ستة أقسام من مقاصد الكتاب الإلهي ، ونحن نورد في هذه الرسالة من المسائل الحكمية الإلهية ، ما هو مطابق للأقسام الثلاثة المهمة التي هي بالحقيقة أركان الإيمان وأصول العرفان ، هداانا الله وإياكم طريق البرهان وسبيل الإيقان .

تبصرة

اعلم أنّ معرفة الربّ على ثلاث مراتب : معرفة الذات الإلهية^١ ومعرفة الصفات

١- اعلم أنه قد اتفقت كلمة أرباب الكشف والشهود وأصحاب العقل والدرابة ، على عدم إمكان إدراك ذات الحق الأولى تعالى ولكنه ولا نزاع لأحد من العقلاء في ذلك ؛ لأنه تعالى لغاية إحاطته وسلطته على الأشياء ، لا يمكن إدراكه ؛ لأن إدراك الشيء بكنهه فرع على الإحاطة به والله تعالى لا يصير محاطاً . في الصافي في السورة المباركة طه في تفسير قوله تعالى : « ولا يحيطون به علماً » في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام ، لا يحيط الخلاق بالله عز وجل علماً ، إذ هو تبارك وتعالى جعل على أبصار القلوب الغطاء ، فلا فهم يناله بالكيف ولا قلب يثبت به بالحد فلا تصفه إلا كما وصف نفسه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، الأول والآخر والظاهر والباطن ، الخالق الباري المصور ، خلق الأشياء فليس من الأشياء شيء مثله » ولا يخفى على المتدرب أن المراد من الغطاء في كلامه عليه السلام ، هو الحد الإمكانى وهذا الحد سبب لمحدودية الممكن ومحاطيته للحق الأول ولما لم يكن له تعالى حد وجودي ، بل هو وجود صرف صريح ، يكون له الإحاطة والسلطة على الأشياء ؛ بل الحق في مقام ذاته وغيبه النعوت بالكنز الخفي عار عن التعينات ويعلم من كلامه عليه السلام اللايح منه أنوار الولاية ، أن كنه ذاته لا يدرك لأحد بنحو من أنحاء الإدراك وأقسام العلم حصورياً كان أو حصولياً ، - لا بالقوة العقلية يدرك ولا بالمادرك الحسية ؛ وهو لكمال عزه وسلطانه شاهد على كل شيء ، وبه يعرف الأشياء وهو الموجد للأضداد والأمثال والأشباه والوجود إذ كان

الربانية ومعرفة الأفعال الصمدانية .

أمّا معرفة الذات فهي أضيقتها مجالاً وأرفعها منالاً وأبعدها عن الفكر والذكر، إذ حقيقة الواجب - جل مجده - هوية بسيطة وغير متناهية الشدة في النورية والوجود، وحقيقته عين التشخص والتعين، لا مفهوم له ولا مثل ولا مشابه ولا ضد ولا حد له ولا برهان عليه، بل هو البرهان على كل شيء، ولا أعرف من ذاته ولا شاهد عليه، بل هو الشاهد على الكل «أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»،^١ و«هو قائم على كل نفس بما كسبت»،^٢ «وهو القاهر فوق عباده»^٣، «وعنت الوجوه للحي القيوم»^٤ ويحترق النفس في إدراك أشعة نور وجهه فكيف في نور وجهه، فلا يمكن الوصول إلى معرفة ذاته إلا باندكاك جبل إنية السالك^٥، حتى شهد ذاته تعالى؛ كما قال

→

تعينه وتشخصه عين ذاته، مع أنه الشاهد على كل شيء وبه يعرف كل مجهول، لا يمكن إدراكه لغاية ظهوره وكمال نوره وسعته .

١- فصلت (٤١) الآية ٥٣ .

٢- الرعد (١٣) الآية ٣٣ .

٣- الانعام (٦) الآية ١٨ .

٤- طه (٢٠) الآية ١١١ .

٥- قد عرفت أن إدراك ذات الحق بالكنه، لا يحصل لأحد وإن سَكَنَ المَلَأَ الأعلى يطلبونه، كما نحن نطلبه وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «ما عرفناك حق معرفتك» وأما إدراكه بالوجه ممكن بالعلم الحسولي والحضوري معاً، أما الأول وهو أن يحصل للإنسان صورة علمية حاكية عن الحق الأول، بمشاهدة المعاليل الإمكانية وجعلها دليلاً على وجوده؛ وأمّا الثاني فهو الحق تعالى باعتبار ظهوره في مراتب الأعيان وحظائر الإمكان وتجليه في كل شيء معلوم، ومشهود لكل شيء، وهذا العلم لغاية ظهوره قد يصير مخفياً، فإن الخفاء لغاية الظهور ولما كان وجوده مقوماً لكل موجود وكان ظهور كل موجود بوجوده، فهو أظهر من كل شيء «ألا أنه بكل شيء محيط» فهو دليل على كل شيء واستبان أن الوجود الإمكانية محتاج إلى الدليل، دون الوجود الواجبي وأنه غني عن الإثبات والاستدلال، بل إنكار الواجب خروج عن الفطرة . ولما كانت إضافة الحق إلى الأشياء، إضافة إشراقية والإضافة الإشراقية عين الإيجاد والعلة متقدمة بالوجود على المعلول، فعلمنا مبدئاً عبارة عن وجود مبدئاً مع إضافة إيجاده إياناً ولذا كان علمنا مبدئاً وجودنا مقدماً على علمنا بذاتنا، نحن ندركه مقدماً على إدراكنا لذاتنا إدراكاً حضورياً وعلماً شهودياً، لكون وجوده مقدماً بالإيجاد علينا، ويكون سبب خفاء هذا العلم كثرة ظهوره، وهذا العلم الشريف في غاية البساطة والسذاجة

←

بعض العارفين: «عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي» وليس للعقل سبيل إلى إدراك ذاته، ولهذا ورد النهي عن التفكير في ذات الله تعالى لقوله ﷺ «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته» ولقول أمير المؤمنين عليه السلام «من تفكر في ذات الله، أخطأ، ومن تفكر في صفاته أُرشد» ولهذا لا يشتمل القرآن من معرفة الذات في الأغلب إلا على تقديسات محضة وتنزيهات صرفة كقوله تعالى: «لا اله إلا هو»^١ وكقوله: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون»^٢، وكقوله: «بديع السماوات والأرض»^٣ وكقوله: «فسبح باسم ربك العظيم»^٤.

وأما معرفة الصفات^٥ فالمجال للتفكير فيها أفسح، ونطاق النطق فيها أوسع، لأنها مفهومات عقلية يقع فيها الاشتراك، إلا أنها في الأول تعالى مصداقها ذاته بذاته، وفي غيره ليس كذلك، ولذا اشتمل القرآن على تفاصيلها في كثير من الآيات، كما في قوله:

ولكن الظهور والوجود، إنما هو بقدر المفاض لا المفيض. وفي مصباح الأنس ص ٥٩ عن الشيخ الكامل، صدر الدين في تفسير الفاتحة «لا خلاف في استحالة معرفة ذاته تعالى من حيث حقيقتها، لا باعتبار اسم أو حكم أو نسبة أو مرتبة» ثم قال: «والتحقيق الائم أفاد أنه متى شَمَّ أحد من معرفتها رائحة، ذلك بعد فناء رسمه وانحاء حكمه وتعبينه واسمه واستهلاكه تحت سطوات أنوار الحق وسبحات وجهه الكريم». أقول: هذه هي المشاهدة الحضورية والشهود العيني (لا العلمي) الحاصلة للأولياء والكمل، بعد الرياضات وهذه المشاهدة أعلى وأجل من كل عرفان وإن أعلى درجات العلم بالشيء، إنما يحصل باتحاد العالم والعلوم، وسبب الجهل ليس إلا الغيرية وكلما كان الاتحاد أتم، كانت المشاهدة أكمل والعلم الكامل إنما يحصل بعد محو رسوم التعينات الإمكانية.

گويدم إنا إليه راجعون

پس عدم گردم چون ارغنون

وهذا هو المراد من قوله «إلا باندكاك جبل إنته».

١- البقرة (٢) الآية ٢٥٥.

٢- الصافات (٣٧) الآية ١٨٠.

٣- البقرة (٢) الآية ١١٧.

٤- الواقعة (٥٦) الآيتان ٧٤ و ٩٦.

٥- وسبائتي في آخر الكتاب بيان كيفية إدراك الصفات والأفعال إن شاء الله تعالى ونقول: إن تعقل صفات الحق في عرصة الفكر الإنساني، من حيث الإطلاق الحقيقي من أمحل المحالات ولا فرق بين الذات والصفات من هذه الجهة، لأن الوجود في الأحدية عين العلم والقدرة وسائر الصفات.

«وهو العزيز الحكيم»^١ وقوله: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر»^٢ وفي معرفة الصفات أيضاً غموض شديد، لأنه لا يمكن معرفة بعض الصفات كالكلام إلا لأهل البصائر الثاقبة، وكالسمع والبصر والاستواء على العرش والابتلاء والمماكرة وغير ذلك مما لا يعرفه إلا الراسخون في العلم^٣.

وأما معرفة الأفعال، فبحر يتسع أطرافه ولكل أن يخوض فيه ويسبح في غمراتها بقدر قوة سباحته، لكن لا ينال بالاستقصاء لأنها مرتبطة بالصفات كالصفات بالذات وليس في الوجود إلا ذاته وصفاته وأفعاله، التي هو صور أسمائه ومظاهر صفاته. فما كان من صفاته جلياً في عالم الشهود، فالقرآن مشتمل عليها تصريحاً وتفصيلاً، تلويحاً وإجمالاً، فالأول كذكر السماء والأرض والكواكب والشمس والقمر وغير ذلك مما يعرفه الناظرون القائلون: «ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فكنا عذاب النار»^٤ والثاني كذكر الملائكة والروحانيات والروح والعقل والنفس واللوح والقلم، بل العرش والكرسي عند بعض والملائكة العمالة الموكلة بعالم الأرضين، التي هي أدنى عالم الملكوت وكتبة الأعمال وملائكة جانب الشمال وكرام الكاتبين وأعوان ملك الموت وسدنة النيران والساكنين في البراري والجبال والجن والشياطين المسلطين على جنس الإنس، الذين امتنعوا عن السجود لآدم عليه السلام والملائكة السماويون التي هي أعلى عالم الملكوت؛ فإن هذه كلها خارجة عن عالم الملك والشهادة «ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته

١- الحشر (٥٩) الآية ٢٤.

٢- الحشر (٥٩) الآية ٢٣.

٣- وأما معرفة أفعاله تعالى بالعلم الحصولي لا يمكن إلا بالوجه، لأن ما ندركه من الأشياء ليس إلا المفاهيم المنتزعة، ومعرفة الشيء بالكنه يرجع إلى معرفة وجوده الخاص، وإدراك الوجود لا يحصل لأحد إلا بالمشاهدة الحضورية والاتصال بعلته، لأن ذوات الأسباب لا تعرف إلا بأسبابها، والمشاهدة الحضورية لا تحصل إلا لبعض المتجربين عن جلباب البشرية، الذين ساعدتهم العناية الإلهية، فدخلوا حريم الشهود وشهدوا الحق وعرفوا بالحق أسمائه الحسنى ورأوا أفعاله تعالى وجعلوا الحق على كل شيء شهيداً.

٤- آل عمران (٣) الآية ١٩١.

ويسبحونه وله يسجدون^١ وأعلى منهم حملة العرش والكروبيون والملائكة المهيمون^٢ وهم العاكفون في حظيرة القدس، لالتفات لهم إلى هذا العالم؛ بل لالتفات لهم إلى غير الله والذين هم ساكنون في الأرض البيضاء، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ «إن لله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فلها ثلاثون يوماً هي مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة مشحونة خلقاً، لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض ولا يعلمون أن الله خلق آدم وإبليس» واولئك هم المستغرقون في شهود حضرة الإلهية وهم من أهل الفناء في التوحيد، جعلنا الله وإياكم في الدارين من أهل التوحيد.

١- الأعراف (٧) الآية ٢٠٦.

٢- المهيمون هم الملائكة المهمة المستغرقة في شهود جمال الحق، الذين لا يعلمون أن الله خلق آدم لشدة اشتغالهم بمشاهدة الحق وهيمانهم وهم العالون الذين لم يكلفوا بالسجود لغيتهم عما سوى الحق ولهم بنور الجمال، فلا يسعون شيئاً عما سواه وهم الكروبيون؛ وقد صرح بعض أهل التوحيد (ره): أن الملائكة المهمة لشدة هيمانهم ليست لهم وساطة التسطير والترقيم مع أنهم خلقوا في عرض عقل الأول، الوساطة بين الحق والأشياء وقد تجلّى لهم الحق في جلال جماله، فهاجوا فيه وغابوا عن أنفسهم، فلا يعرفون غير الحق وغلب على خلقيتهم حقيقة التجلي، فاستغرقهم وأهلكهم. وفيه إشكال ذكره استاذ مشايخنا -الفيلسوف الماهر والعارف الكامل آقا ميرزا هاشم رشتي- في تعليقاته المباركة على كتاب مصباح الانس وأجاب عنه وأجود ما قيل في الواجب عن هذا الإشكال ما ذكره بعض الأكابر -وهو الحكيم المحقق والعارف الكامل الحاج ميرزا مهدي الآشتياني (قده)- في كتاب أساس التوحيد.

في إثبات وجوده تعالى [بطرق مختلفة]

«شهد الله انه لا إله إلا هو»^١، اعلم أن السالكين الذين يستدلون بوجود الآثار على الصفات و من الصفات على الذات، لهم طرق كثيرة أجودها طريقان : أحدهما معرفة النفس^٢ الإنسانية^٣ «وفي انفسكم أفلا تبصرون»، هذا أجود الطرق

١- آل عمران (٣) الآية ١٨ .

٢- بان يعرف أن النفس من مبدأ تكونها الجسماني إلى منتهى كمالها العقلاني، دائماً في التحولات والاستحالات الذاتية، والانقلاب والتبدلات والحركات الجوهرية، فتارة تكون قوة جسمانية وطوراً تكون صورة طبيعية وأخرى تكون نفساً حساسة على درجاتها، ثم مصورة، ثم مفكرة ذاكرة، ثم ناطقة، ثم يحصل له العقل النظري بعد العملي على درجاته من حدّ العقل بالقوة إلى حدّ العقل بالفعل والعقل الفعال المعبر عنه بالروح الأمرى في قوله تعالى «قل الروح من امر ربي»، ولا شك أن المخرج لها من القوة إلى الفعل ومن حدّ النقص إلى درجة الكمال لا بد وأن يكون موجوداً مفارق الذات عمّاً بالقوة مبرراً للحقيقة عن النقايس، دفعاً للتسلسل المستحيل، وذلك الموجود إمّا واجب الوجود وإمّا ملك من الملائكة العقلية الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وإثبات وجود المفارق العقلي لا ينفك ولا يتصور إلا بإثبات الواجب تعالى . وأمّا كون هذا الطريقة أجود الطرق بعد طريق الصديقين، فالجمال لا يسع بيانه تفصيلاً، والإشارة إليه إجمالاً أنه كما أن في طريقة الصديقين يحصل معرفته تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً، كذلك في هذه الطريقة كما ورد عنه ﷺ : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فتعرف . ميرزا حسن نوري .

٣- وتقريره : أن النفس الناطقة الإنسانية مجردة عن المادة وحدوثها إنما تكون بحدوث البدن وكل حادث فله علة سبب وجودها لا تكون إلا موجوداً مجرداً عن المادة، لأنّ التأثير والتأثر في الجسمانيات مفترق إلى

بعد طريق الصديقين .

وثانيهما النظر في الآفاق والأنفس ، كما أشار إليه بقوله : «سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»^١ وفي القرآن آيات كثيرة في هذا المنهج ولهذا مدح الله على الناظرين في خلق السماوات والأرض ، وأثنى على المتفكرين في آثار صنعه ووجوده . ولإثبات هذا المطلب منهج آخر ، وهو الاستدلال على ذاته بذاته^٢ وذلك لأن أظهر الأشياء هو طبيعة الوجود المطلق^٣ بما هو وجود مطلق ، وهو نفس حقيقة

→
الوضع والمحاذات ولا وضع للمجرد بالنسبة إلى المادي . وبعبارة أوضح أن النفس لمكان تجردها وتنزهها عن المادة ، تكون أشرف من الجسم والجسمانيات ، ولا يمكن أن يكون الأخص علة وجود الأشرف ، فعلتها لابد أن يكون أشرف منها ، فيجب أن تكون علتها الفياضة موجوداً مستغنياً عن المادة ذاتاً وفعلاً .
١- فصلت (٤١) الآية ٥٣ .

٢- وطريق هذا الاستدلال على الإجمال ، هو أن يقال بعد ما ثبت عينية الوجود وكونه ذا الحقيقة عينية ، إن الوجود الذي ثبت بالبرهان تحققه في الأعيان إما حقيقة الوجود أو غير حقيقة الوجود ونعني بحقيقة الوجود ما لا يشوبه غير الوجود من عدم وقصور ونقص أو مهية ، ولا شك أن الوجود الذي لا يشوبه غير الوجود ، يكون صرف الوجود وتام الوجود وتامه الوجود ، وما هو كذلك يكون واجب الوجود بالضرورة ، إذ لا نغني بواجب الوجود إلا ما يكون نظراً إلى ذاته مع قطع النظر عن جميع الأمور الخارجة عن حاق ذاته وعزل الالتفات عن كافة الحشيات الخارجة عن حقيقته ، تعليلية كانت أو تقييدية ، حقيقة أو اعتبارية مصداقاً لحمل الموجود عليه وحقيقة الوجود الذي قلنا هكذا ونقول لولم يتحقق حقيقة الوجود ، لم يتحقق شيء أصلاً . بيان الملازمة إن غير حقيقة الوجود إما مهية من المهيات أو وجود مشوب بالعدم والقصور ، وكل مهية فهي بالوجود موجودة لانفسها ، وذلك الوجود إن كان غير حقيقة الوجود ، ففيه تركيب من الوجود بما هو وجود وخصوصية أخرى ، وكل خصوصية غير الوجود ، فهو عدم أو عديمي وكل مركب متأخر عن بسيطه مفتقر إليه ، والعدم لا تأثير له في موجودية الشيء ونحصله والعديمي لامحالة ثابت لذلك الوجود محمول عليه وثبوت كل مفهوم لشيء وحمله عليه ، سواء كان مهية أو صفة أخرى ثبوتية أو سلبية ، فرع على وجود ذلك الشيء ونقل الكلام إلى ذلك الوجود والمفروض أنه غير حقيقة الوجود ويعود الكلام جزعاً أو ينتهي إلى وجود بحث لا يشوبه شيء ، هذا خلاصة ما ذكره المصنف - قدس سره - في رسالته العرشية بأدنى تصرف ، فتدبر . ميرزا حسن نوري .

٣- البحث الذي لا يشوبه غير الوجود ، من العدم والقصور والمهية فافهم . ميرزا حسن نوري .

٤- وبيان ذلك على وجه التلخيص هو أن الوجود بحسب نفس ذاته ، لا يكون من سنخ الماهيات الجوهرية والعرضية ولا يتصف بالإمكان ونفس ذاته بذاته طارد للعدم ومناقض له ؛ والتعينات الجوهرية ←

الواجب^١ تعالى وليس شيء من الأشياء^٢ غير الحق الأول نفس حقيقة الوجود؛ فيثبت من ذلك إثبات المبدأ الأعلى والغاية القصوى. والحق أن وجود الواجب أمر فطري^٣ لا يحتاج إلى برهان وبيان؛ فإن العبد عند الوقوع في الأهوال وصعاب الأحوال يتوكل بحسب الجبلة على الله تعالى ويتوجه توجهاً غريزياً إلى مسبب الأسباب ومسهّل الأمور الصعاب، وإن لم يتفطن لذلك ولذلك ترى أكثر العرفاء مستدلين على إثبات وجوده وتدبيره للمخلوقات بالحالة المشاهدة عند الوقوع في الأمور الهائلة، كالغرق

→

والعرضية لا اعتباريتهما خارجتان عن حيطه الوجود من حيث هو وعارضتان عليه بنحو خاص من العروض. ولما كان الوجود من حيث هو عارياً عن الانصاف بالماهية، يكون واجباً بذاته من دون لحاظ أمر وجهه، وهو بذاته يقتضي الصرافة وينفي الغيرية، وباعتبار ظهوره في مراتب الأكوان وتحليله في الذهن والعين ينبعث منه الماهيات وبفسه يقتضي أن يكون مجعاً للأسماء الحسنى ومنه يظهر المفاهيم والأعيان الثابتة، وهو الذي به يظهر كل شيء وهو أظهر من كل شيء، لأن ظهور كل شيء منه. ويظهر مما ذكرناه أن الحق الأول يكون عند العقل أظهر وأعرف من الممكن، ويرى العقل الحق شاهداً على كل شيء، والمحققون من أهل التوحيد يرون الحق شاهداً على كل شيء ويستدلون من وجوده على أسمائه ومن أسمائه على خلقه - والحق ظاهر ما غاب قط والعالم غيب لم يظهر قط - لأن الظهور من الوجود، وكلما كان الوجود أكمل كان ظهوره وتحليله وأشراقه أتم؛ وإذا نظرت إلى الموجودات جمعاً وتفصيلاً وجدت التوحيد يصاحبها ولا يفارقها، والحق أن الباري بحسب الفعل والظهور عين كل شيء. عن علي عليه السلام: «ظاهر في غيب وغيب في ظهور، ظهر فبطن، بطن فعلم» وقال أيضاً: «اعرفوا الله بالله». هذه خلاصة طريقة الصديقين بحسب البرهان والعرفان.

١- لأنه بحيث إذا لوحظ ذاته بذاته مع قطع النظر عن جميع ما هو خارج عن حاق ذاته، يكون مصداقاً لحمل الموجود وصدقه عليه ولا نعتي بواجب الوجود إلا ما هو كذلك فتدبر. ميرزا حسن نوري.

٢- إشارة إلى بيان الملازمة في الشرطية التي ذكرناها في الحاشية بقولنا: لو لم يتحقق حقيقة الوجود لم يتحقق شيء من الأشياء، يظهر بالتأمل فيه فتأمل. ميرزا حسن نوري.

٣- لأن المعلول عند النظر الدقيق والكشف الصريح، ليس إلا طوراً من أطوار وجود علته الفياضة، الوجود والظهور متحدان بالذات وكلما كان الوجود أوسع وأقوى، يكون ظهوره أتم، نسبة الوجود إلى الحق الأول بالوجوب وإلى الماهيات بالإمكان، فالوجوب مقدم على الإمكان، فالوجود الواجبي لكونه مقوماً لكل شيء وكل معلول، يدرك ذاته بالعلم البسيط بواسطة وجود علته الفياضة، يكون علمه بذاته مسبب عن علمه بعلمته وهذا العلم علم فطري غير كسبي.

٤- وفي تفسير مولانا العسكري عليه السلام أنه مثل مولانا الصادق عليه السلام عن الله فقال للسائل: يا عبد الله هل ركب

والحرق وفي الكلام الإلهي أيضاً إشارة إلى هذا؛ فما أضلت الدهرية والطباعية والبختية وإخوان الشياطين الذين يتشبهون بالعلماء ويكذبون أنبياء الله ويزعمون أن العالم قديم ولا قيم له فمثواهم الجحيم وجزاهم البعد عن النعيم .

توضيح عقلي

اعلم أن إنيتة تعالى، ماهيته، ووجوده تعالى وجود كل شيء، ووجوده عين حقيقة الوجود، من غير شوب عدم وكثرة، لأن كل ماهية يعرض لها الوجود ففي اتصافها بالوجود وكونها مصداقاً للحكم به عليها، يحتاج إلى جاعل يجعلها ولما ثبت امتناع تأثير شيء في وجوده من جهة أن العلة تجب أن تكون مقدمة على المعلول

→

سفينة قط قال : بلى قال : فهل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تعينك ، قال : بلى ، قال : فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ، قال : بلى ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجى وعلى الإغاثة حين لا مغيث . الحديث . نقل من الصافي لمولانا محسن قاساني (ره) . ميرزا حسن نوري .

١- سيأتي في آخر الكتاب ما في هذا البرهان من الإشكال .

٢- قوله : «وجود كل شيء» مراده كما ورد عن معادن العصمة والطهارة وصدر من مخازن الوحي والرسالة ، أن وجود الأشياء بما هو وجود غير مزابل عن وجوده تعالى وغير منعزل عنه ، كما روي عنهم عليه السلام : «خارج عن الأشياء لا يخرج شيء عن شيء ، داخل في الأشياء لا يدخل شيء في شيء» خارج عن الأشياء لا بالمزيلة داخل في الأشياء لا بالممازجة وعن مولانا ومولى الكونين - روي فداه - «توحيد تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة ، لا بينونة عزلة» ؛ فوجودات الأشياء بما هي وجودات غير منعزل عن وجوده تعالى ، بل وجوده تعالى محيط بها قاهر لها ، كل شيء بشيء محيط والمحيط بما أحاط هو الله «والله من ورائهم محيط» ، كإحاطة النور بالظلال واللمعات واشتمل الأصل بالشئون والحشيات والذات بالعكوس والتجليات ، كما نبه عليه (قدس سره) فيما يأتيك من الكلام . وليس مراده (قدس سره) ما يترأى من ظاهر هذه العبارة ، بسيطة الحقيقة كل الأشياء بوجه أرفع وأعلى وبرهن عليه وكشف قناع الخفاء والاستتار عن وجهه بما لا مزيد عليه ، فثبت ولا تخط . واعلم أن بهذا المطلب الشريف والمقصد اللطيف يتضح أحديته تعالى وصمديته وبرائته عن النقائص التي هي من ضروريات الدين ويجب اعتقادها إجمالاً أو تحقيقاً وتفصيلاً على كل المكلفين ، كل بحسبه كل ميسراً لما خلق له على قدر طاقته ، فتدبر وتثبت في المقام فإنه من مزال الأقدام والسلام خير ختام . ميرزا حسن نوري .

بالوجود^١، وتقدم الماهية على وجودها بالوجود غير معقول، فوجوده تعالى ماهيته وماهيته وجوده، ولأنه لولم يكن وجود^٢ كل شيء لم يكن بسيط الذات ولا محض الوجود بل يكون وجوداً لبعض الأشياء وعدمياً للبعض، فلزم فيه تركيب من عدم وخلط بين إمكان ووجوب وهو محال.

فوجوده وجود جميع الموجودات لكونه صرف حقيقة الوجود «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها»^٣، فهو الأصل والحقيقة في الوجودية، وماسواه شؤونه وحيثياته، وهو الذات وما عداه أسمائه وتجلياته ومظاهره وهو النور، وما عداه أظلاله ولُمعاته وهو

١- قد صرح الشيخ في التعليقات والإشارات والشفاء بأن الوجود مطلقاً لا يكون معلولاً للمهية، لأنها بنفسها لا تكون موجودة، فعلة الوجود وجود، وسبب الماهية، ماهية، وسبب العدم عدم.

٢- هذه الكلمة النورية القدسية قد وردت عن الأقدمين ومرادهم ليس ما توهمه الجهلة، ولب لباب مرادهم من هذا الكلام (بسيط الحقيقة كل الأشياء) أنه تعالى فرداني الذات، غير مركب من الأجزاء، لا يشذ عن حيطه وجوده وقدرته وعلمه وإرادته شيء من الأشياء؛ هذه القاعدة بعينها موافقة لكلامه تعالى: «وهو القاهر فوق عباده» «إلا إنه بكل شيء محيط» وعن بعض الكُمل: «هو الظاهر والمظهر» موافقاً لقوله تعالى: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» وعن علي عليه السلام: «داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عن الأشياء لا بالمباينة» والمراد من البسيط في قولهم هو الوجود الصرف، وتقرير البرهان أنه تعالى لولم يكن بحسب ذاته منتصفاً بصفة من الصفات الكمالية، بحيث كان مصداقاً لسلب كمال وثبوت كمال آخر، يلزم تركبه من الوجدان والفقدان، والتركيب ملازم للإمكان الذاتي، فحقيقته تعالى يجب أن تكون واجبة بذاتها وقبوماً بنفس حقيقتها ولما كان ذاته منبع كل كمال، فكل كمال رشح وفيض منه وعنده خزائن كل شيء وإليه أشار في كتابه الذي لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه: «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم» وكان ذاته صرف الوجود، وصرف الشيء لا يتكرر، فكل ما فرض من الكمال كان ظهوره لا أنه شيء بحياله، وإلى هذا يؤول قول من قال: «إن العلية والمعلولية ترجعان إلى وجود واحد ظاهر في صورتين» وبالجمل للتحقيقة الوجودية ظهور وبطون، أولية وآخرية، وله مقام إجمال وقرآن وجمع وتنزيه، ومقام تفصيل وفرقان وتشبيه؛ فمقام إجمالها وقرآنها وجمعها وتنزيهها حق، ومقام تفصيلها وفرقانها وتشبيهها خلق، وحقيقته تعالى مع كونه ظاهراً بذاته ومظهوراً لغيره ووسع كل شيء علماً وقدره ووجوداً، غيب محض ومجهول مطلق.

در کمال عز خود مستغرق است

کی رسد عقل وجود آن جا که اوست

دائماً او پادشاه مطلق است

او بسرنايد ز خود آن جا که اوست

٣- الكهف (١٨) الآية ٤٩.

الحق وما خلا وجهه الكريم باطل، «كل شيء هالك إلا وجهه»^١، «ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق»^٢، فالوجود الحقيقي هو وجود الواجب، المسمى بوجوب الوجود، ووجود ما سواه وجود مجازي، مسمى بوجوب بالغير وقد يعبر عنهما بالسكون^٣ والحركة، بخلاف الواجب بالذات، فإنه موجود بجميع الاعتبارات في جميع المراتب، فكانه استقر على ما هو عليه فتحدّس من ذلك معنى الوجود وعدمه.

تنبيه

لاتظنّ بأن الوجود أمر اعتباري - كما توهمه المحجوبون عن شهوده - بل هو أمر متحقق في الأعيان، لأنه أحق الأشياء^٤ بالتحقق^٥؛ لأن غيره به يكون متحققاً وكأنّاً في الأعيان أو في الأذهان، فهو الذي به ينال كل ذي حق حقيقته فكيف يكون أمراً؟! اعتبارياً ولا يمكن تعريفه، لأنه بسيط ولا شيء أعرف منه ولا يمكن تصوّره، لأن تصور الشيء عبارة عن حصول معناه وانتقاله من حد العين إلى حد الذهن، فهذا يجري في غير الوجود؛ أمّا في الوجود، فلا يمكن ذلك إلا بصريح المشاهدة^٦

١- القصص (٢٨) الآية ٨٨.

٢- الأحقاف (٤٦) الآية ٣.

٣- في «المبدأ والمعاد» ص ١١: «قد عبر المعلم الأول عن الوجوب بالذات بالسكون، وعن الوجوب بالغير بالحركة، ووجه واضح».

٤- وقد بين المصنف في كتبها صالة الوجود وقد ذكرنا تفصيل هذه المسألة في رسالة صنفناها حول المشاعر.

٥- بكل مهية من المهيئات، إذا لاحظها العقل يجدها خلواً من الوجود والعدم، فهي محتاجة في تحققها ووجودها إلى أمر آخر، وذلك الآخر إن لم يكن متحققاً بذاته متحصلاً في حد نفسه، فهو أيضاً محتاج إلى غيره فيتسلسل أو ينتهي إلى ما هو متحقق بذاته؛ لأن كل ما بالعرض يجب أن ينتهي إلى مابالذات وذلك المتحقق بنفسه المتحصل بذاته هو الوجود وهذا هو المراد بقوله لأنه أحق الأشياء بالتحقق الخ. ميرزا حسن نوري.

٦- لأنه يستلزم الانقلاب المحال. ميرزا حسن نوري.

٧- كعلمنا بأنفسنا وقواها وعلم المبادي بمعلوماتها وعلم البارئ تعالى بمعلولاته في مرتبة المعلولات. ميرزا حسن نوري.

والعيان^١ دون الحد والبرهان .

واعلم أنّ شمول الوجود للأشياء ليس كشمول الكلي للجزئيات ، بل شموله من باب الانبساط والسرّيان^٢ على هياكل الماهيات ، سرّيانا مجهول التصور وهو في ذاته ليس بجوهر ولا عرض ؛ لأنّ كلّاً منهما عنوان لماهية كلية وقد ثبت أنّ الوجود متشخص بنفسه ، متحصل بذاته ، ولو كان تحت الجوهر الذي هو معنى جنسي أو تحت معنى جنسي من الأعراض ، لكان مفتقراً إلى ما يحصل وجوداً كالفصل وما يجري مجراه من سائر المحصلات للوجود ، فلم يكن الوجود وجوداً هذا خلف . فتأمل فيما سردنا عليك من التحقيق ، لأنّ التأمل في الحق حقيق .

١- شمول حقيقة الوجود للأشياء وبسط نور الحق على المهيّات ، ليس مثل شمول المفاهيم والماهيات الكلية للجزئيات الخاصة الخارجية (نحو شمول الاجناس للانواع والانواع للأفراد) بيان هذا : إنّ الكلية والعموم والإطلاق ، تارة تكون في المفاهيم نظير صدق كل مهية كلية على الأفراد الخارجية وأخرى تكون في الوجود بحسب الخارج ، وشمول حقيقة الوجود للماهيات بحسب الخارج عبارة عن سرّيانها وانبساطها على الماهيات وينبعث هذا الانبساط والشمول والسرّيان عن التجلي الأحدي وظهور الحق في مرآة كل شيء و خفائه في كل شيء (وهو نهاية الاستجلاء) .

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر على صيغ التلوين في كل برزة وكل شيء نسب إليه تعالى ليس إلا أنوار تجليات ذاته وصفاته الأزلية ، وإنّ الإطلاق والكلية والعموم في الماهيات ، ناشية عن الضعف والقصور وبُعدها عن الوجود ، وكلما كان الإطلاق والكلية والعموم أوسع يكون عن التشخص والوجود أبعد ومنشأ الكلية والإبهام ليس إلا البعد عن الوجود ، بخلاف الكلية والعموم في الوجود ؛ فإنها ناشية عن التمامية والسعة والإحاطة ، والعرفاء يطلقون على الوجود المنبسط باعتبار ظهوره وسرّيانه في الأشياء لفظ الكلي والعام والمطلق ، ويعبرون عن الوجود المحدود بالخاص والمقيد الجزئي وهذا الفيض العام والرحمة الواسعة ، لا يمكن أن يُشار إليه وأن يُحكم عليه بحكم ، لانه ربط صرف وتعلق محض .

٢- كسرّيان النفس الإنساني في هياكل الحروف والكلمات ، وهذا الوجود المنبسط الباري ، إنّما هو فعل الله الإطلافي ولهذا يسمى في لسان العرفاء بالنفس الرحماني ، تشبيها له بالنفس الإنساني في انبساطه وسرّيانه فثبت ولا تخبط . ميرزا حسن نوري .

المظهر الثالث

في توحيده تعالى في وجوب الوجود

قال الله تعالى : «والهكم إله واحد لا إله إلا هو»^١ ، إله العالم واحد لا شريك له في الإلهية ، فبراهينه كثيرة ؛ فمن جملة البراهين النظر في وحدة العالم بأن العالم كله شخص واحد ، وحدة طبيعية ، بعض أجزائه أشرف وأعلى من بعض فالكل حيوان واحد ناطق مسمى بالإنسان الكبير ، وعالم الأجسام بمنزلة بدنه وظاهره ، وعالم الأرواح بمنزلة روحه وباطنه ، والمجموع منتظم في سلك واحد^٢ وإذا كان العالم واحداً ، كان إله العالم وصانعه واحداً لا شريك له في الإلهية ، كما لا شريك له في

١- البقرة (٢) الآية ١٦٣ .

٢- وقد بين أهل التحقيق كيفية التطابق بين العالم المسمى بالإنسان الكبير والشخص الإنساني المسمى بالإنسان الصغير في مسفوراتهم بما لا مزيد عليه ، وبالجمله كما أن كل واحد من أجزاء الشخص الإنساني مرتبط بالآخر ، ارتباطاً طبعياً ومتعلق بالآخر تعلقاً عقلياً بحيث لا يمكن ولا يتصور وجود جزء منه ولا حصوله وبلوغه إلى كماله وغايته ومآله الذي خلق لأجله ، إلا بالجزء الآخر ولا يقدح كثرة أجزائه وتباين أعضائه في وحدته الشخصية وشخصية الطبيعة ، فكذلك الحال بعينه في العالم وأجزائه حذو النعل بالنعل وإذا ثبت وتقرر الوحدة الشخصية في العالم والإنسان الأكبر فيمتنع استناده إلا إلى واحد وصانع فارد ، ولما تقرر في مقره من امتناع استناده المعلول الواحد الشخصي إلى علتين مستقلتين لاستلزامه إما تحصيل الحاصل أو كون أحد علتين معطلاً والكل محال وباطل فتدبر . ميرزا حسن نوري .

ذاته، كما قال: «أفي الله شك فاطر السماوات والأرض»^١ وقال: «وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون»^٢.

ولذلك المطلب طريق آخر، هو أن تشخص المعلول بتشخص فاعله^٣ المفيض لوجوده؛ إذ الوجود في كل شيء عين تشخصه وتشخصه عين وجوده، فمفيض وجوده مفيض تشخصه؛ فكما لا يكون لشيء واحد شخصي وجودان ولا تشخصان، فكذا لا يكون له موجودان مشخصان، لأن أنحاء الوجود والتشخص متبائنة متنافية والاتصاف بكل منها يقتضي نفي الاتصاف بغيره، فكذا الحال في الاتصاف بمبدأ وجوده وتشخصه؛ فإذا فرض لشيء واحد وجودان، فهما متفاسدان؛ إذ لا ترجيح لأحدهما على الآخر، وهذا البرهان هو معنى قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»^٤ لا المعنى الذي توهمه بعضهم من وقوع العريضة والنزاع بين إلهين مفروضين، لأنه كلام خطابي - بل شعري - جلّ جناب القرآن عن أمثال هذا التقصان، ويؤيد ذلك قوله تعالى: «ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه^٥ فتشابه الخلق عليهم قل الله

١- إبراهيم (١٤) الآية ١٠.

٢- المؤمنون (٢٣) الآيتان ٩١ و ٩٢.

٣- سرّ كون تشخص المعلول بتشخص علته الفاعلة، هو كون وجود المعلول بما هو معلول غير مباين لوجود علته ومتحداً معه، ضرباً من الاتحاد يعرفه من كان من أهله. قال مولانا ومولى الكونين عليه السلام: «توحيده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونه صفة، لا بينونة عزلة» فتدبر. ميرزا حسن نوري.

٤- الأنبياء (٢١) الآية ٢٢.

٥- تقدير الكلام لو كان فيهما آلهة إلا الله لكان لهما وجودان وتشخصان ولو كان لهما وجودان لفسدتا، أمّا الملازمة الأولى فلأن تشخص المعلول بتشخص علته وأمّا الثانية، فلأن أنحاء الوجود والتشخص متبائنة متنافية، فالاتصاف بكل منهما يقتضي نفي الاتصاف بالآخر فهما متفاسدان فتدبر. ميرزا حسن نوري.

٦- يحتمل أن يكون وجه التأييد قوله تعالى: «خلقوا كخلقه» ولم يقل خلقوا خلقه، إشارة إلى تلك الدقيقة وهي أن الخلق الواحد لا يتصور أن يكون من خالقين والمعلول الواحد لا يستند إلى علتين فافهم. ميرزا حسن نوري.

خالق كل شيء وهو الواحد القهار^١

تكملة في واحديته وأحدثه تعالى^٢

اعلم أن الآيات الواردة في توحيده كثيرة، منها قوله: «ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو»^٣ وقوله «قل إنما يوحى إليّ أنما إلهمك إله واحد»^٤ وقوله: «لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد»^٥ وأما البرهان العقلي^٦ على وحدانيته، فهو أيضاً ذاته؛ فإنك قد

١- الرعد (١٣) الآية ١٦.

٢- الفرق بين الأحد والواحد: أن الأحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها، أي الحقيقة المحضة التي لا يعتبر فيها اسم وصفة وتعين، بل هي صرف الوجود ووجود محض بلا قيد، لأن القيد منبع التغير والاختلاف والكثرة، وقولنا: «أنه وجود» إنما هو للتفهيم، كما قال رئيس الموحدين على عليه السلام: «كمال التوحيد نفى الصفات عنه» وبالجملّة الأحد عبارة عن الحقيقة المحضة التي هي منبع الكافوري، بل العين الكافوري نفسه وهو الوجود المطلق بلا قيد «حقيقة الوجود حق والمطلق فعله والمقيد أثره».

والواحد هو الذات مع اعتبار الكثرة الأسمائية والصفاتية والمظاهر الخلقية. والفرق بين الواحد والأحد اعتباري، لأن الكثرة الاعتبارية لا يقدح في الوحدة الصرفة الحقيقية، بل الحضرة الواحدية هي بعينها الحضرة الأحدية وقوله تعالى: «قل هو الله أحد» خطاب أمري من عين الجمع والأحدية الذاتية وإراد على مظهر التفصيل وهو من أسماء الذات و«الله» إشارة إلى الحضرة الواحدية. ولما كان الفرق بين الأحدية والواحدية بالاعتبار قال: «هو الله أحد، الله الصمد»، و«الصمد» هو الله، لأن اسم الله وضع للذات باعتبار كونها جامعة لجميع الكمالات الأسمائية والصفاتية والصمد أيضاً هي الذات في الحضرة الواحدية باعتبار افتقار كل ممكن إليها، وهي باعتبار جامعيتها للأسماء الحسنى تكون مستند الكل، ولما كانت الصمدية المطلقة ملازمة لصرافة الوجود وغير قابلة للكثرة والتعدد - إذ ليس في الوجود شيء إلا وهو داخل في صرف الوجود وصرف الشيء لا يتثنى - قال: «ولم يكن له كفواً أحد». فوجوب الوجود يقتضي الصرافة المحضة والصرافة المحضة ملازمة للوحدة وكل ما فرض من الكثرات فهو متأخر عن الذات الصرفة

غير ترش غير در میان نگذاشت زين سبب اصل جمله اشياء شد

٣- القصص (٢٨) الآية ٨٨.

٤- الأنبياء (٢١) الآية ١٠٨.

٥- النحل (١٦) الآية ٥١.

٦- تسميم هذا البرهان والذي بعده بناءً على عينية الوجود وكونه ذا حقيقة عينية على ما ثبت وتقرر في محله

علمت أنه حقيقة الوجود وصرفة، و حقيقة الوجود أمرٌ بسيط لا ماهية له ولا فصل له ولا تركيب فيه أصلاً، فثبت أنه أحد صمد وكل ما كان أحداً صمداً، فهو واحد فرد لا شريك له ولا تعدد فيه .

ومن البراهين الدالة على الوجدانية والأحادية، قوله تعالى: «قل هو الله أحد الله الصمد» وهذا دليل على أنه إحدى الذات، لأنه لو كان له جزء لكان مفتقراً إلى غيره، فلم يكن غنياً وقد فرض غنياً هذا خلف . أمّا فرضه غنياً، لأنه فرض الله صمد، والصمد هو الغني الذي يحتاج إليه كل شيء ولو كان واحداً يكون فردانياً لا شريك له، لأنه لو كان له شريك في معنى ذاته، لكان مركباً مما يمتاز وما به يشترك؛ فيكون مركباً ولو كان له شريك في ملكه، لم يكن غنياً يفتقر إليه غيره، فصمديته دليل أحديته وأحديته دليل فردانيته .

برهان عقلي

اعلم أن كل اثنين فائيتيهما، إمّا من جهة الذات والحقيقة كالسواد والحركة وإمّا من جهة جزء الحقيقة خارجاً كالإنسان والفرس أو ذهناً كالسواد والبياض أو من جهة كمالية ونقص في نفس الحقيقة المشتركة كالسواد الشديد والسواد الضعيف، أو بسبب أمر زائد عارض كالكتاب والأميّ وشيءٍ من هذه الوجوه لا يتصور أن يكون منشأ لتعدد الواجب، أمّا الأول فلاتحاد حقيقة الوجود، وأمّا الثاني فلبساطتها، وأمّا الثالث فلتمامية الذات الواجبية وكون كل ناقص محدود معلولاً لغيره، وأمّا الرابع فلاستحالة كون الواجب متأخراً عن مخصص خارجي، بل كل ما فرض مخصصاً من كم أو كيف أو غير ذلك، يجب أن يكون متأخر الوجود عن حقيقة الوجود؛ فإذا ذات الواجب يجب أن يكون متعينة بذاتها، فذاته شاهدة على وحدانيته، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه هو الباطل إن الله هو العلي الكبير .

→

تحقيق عرشي في توحيد صفاته الكمالية^١

اعلم أن صفات^٢ الله مجردة غير عارضة لماهيته أصلاً وكل صفة منه حق صمد فرد، يجب أن يكون قد حصل فيه جميع كمالاته إلى الفعل، لم يبق منها شيء في مكنن القوة والإمكان؛ فكما أن وجوده تعالى حقيقة الوجود، فيكون كل الوجود وكله الوجود^٣؛ ف كذلك جميع صفاته الكمالية من ذاته، فعلمه حقيقة العلم وقدرته، حقيقة القدرة وما هذا شأنه يستحيل فيه التعدد، فعلمه علم بكل شيء وقدرته قدرة بكل

١- صفاته الكمالية عين ذاته تعالى وإذا ثبت توحيد ذاته، ثبت توحيده صفاته؛ إذ لو كان له تعالى شريك في صفاته، لكان له شريك في ذاته لمكان العينية، فكل الذوات من لمعات ذاته وكل الصفات من شؤون صفاته وكل الكمالات من ظلال كمالاته تعالى شأنه وتقدس أسمائه وبهر برهانه،

غير ترش غیر در جهان نگذاشت زین سبب عین اشیا شد

فتدبر . میرزا حسن نوری .

٢- اعلم أن توحيد صفاته يعلم من وحدة ذاته، لأن ذاته كل الوجود وما وجد في غيره من الكمالات، كان منه، وجميع الصفات الكمالية من العلم والقدرة والإرادة في السعة والاطلاق، تدور مع الوجود حيثما دار وكما أنه تعالى يكون صرف الوجود، يكون صرف العلم والقدرة والإرادة، فالوجود والعلم والقدرة والإرادة في ذاته الاحدية، واحدة بالذات واختلافها إنما يكون في المفهوم فقط وتعدد هذه المفاهيم، لا يوجب اتصافه تعالى بصفات ومعانٍ متميزة نفس الأمرية؛ وأن علوه ومجده تعالى بنفس حقيقته المقدسة، لا بشيء قائم به وكما أن كل واحد من الموجودات الإمكانية معلول ومقدورة ومرادة له تعالى باختلاف جهة وحشية خارجية، كذلك موجد الممكنات ومفيض الإنيات عالم وقادر، وموجد وموجود مع كونه فرداً واحداً ذاتاً وصفة.

٣- كل ما هو حقيقة الشيء لا يشوبه غير ذلك الشيء وإلا لما كان حقيقة ذلك الشيء وهو ظاهر، فما هو حقيقة الوجود لا يشوبه غير الوجود، فيكون كل الوجود وكله الوجود وهكذا في جميع الصفات، فكل ما كان حقيقة العلم لا يشوبه غير العلم فهو كل العلم وكله العلم، وكذا الكلام في القدرة والحياة والإرادة وسائر الصفات الكمالية والله تعالى حقيقة الحقائق فلا يعزب عن حقيقته حقيقة من الحقائق وما هذا شأنه يستحيل التعدد فيه، إذ لو كان له شريك في الوجود أو في شيء من كمالات الوجود، لكان فاقداً لنحو من الوجود أو كمال الوجود، فلم يكن ما فرض حقيقة الوجود حقيقة الوجود، بسيط الحقيقة كل الأشياء ولكن بوجه أعلى فتدبر . میرزا حسن نوری .

شيء وإرادته إرادة لكل شيء «والله على كل شيء قدير»^١ «له ما في السماوات وما في الأرض ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» فعلمه قدرته وقدرته علمه وإرادته كلاهما ، فلاتغاير بين الصفات إلا في المفهوم ونعم ما قال بهمنيار في التحصيل : «واجب الوجود كله علم ، كله قدرة ، كله إرادة» وقول أمير المؤمنين عليه السلام : «كمال التوحيد نفي الصفات» ليس المراد نفي معانيها عن ذاته وإلا يلزم التعطيل وهو كفر فضيح ، بل معناه نفي صفات زائدة على ذاته بحسب الوجود والحقيقة ؛ فعلى هذا صح قول من قال : «إن صفاته عينه» كما هو مذهب الحكماء والمحققين ، وصح قول من قال : «إنها غيره» ، وصح قول من قال : «إنها لا عينه ولا غيره» كما هو مذهب الأشعرين ؛ لو علم ما حققناه . فكن على بصيرة في هذا الأمر ولا تكن من الغافلين .

المظهر الرابع

في تحقيق أسمائه وصفاته [وبيان صفاته الحقيقية والإضافية والسلبية]

اعلم أن العلم بالأسماء الإلهية، علم شريف دقيق في غاية الغموض^١ وفاق به

١- قد اتفقت كلمة أرباب التحقيق: أن حقيقة الوجود هو الحق وليس في الدار إلا هو وتجلياته الذاتية والصفاتية وأنه باعتبار ذاته المتعالية، غني عن العالمين، ولكن أسمائه الرابط بينه وبين الخلائق تقتضي مظهراً خارجياً، والمظاهر هي الماهيات؛ وقد حقق أن بين كل اسم ومظهر، مناسبة ذاتية غير مجعولة بلا مجعولة ذاته المقدسة الأحدية، فكل اسم يظهر أثره في ذلك المظهر وكل مظهر يستدعي اسماً متجلياً ظاهراً فيه؛ فالاسم على مشربهم عبارة عن الذات باعتبار صفة من الصفات، فالاسم والمسمى متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار؛ فالأسماء الملقوطة أسماء الأسماء وهو الموجد الباري المصور المدبر للعالم بأسمائه؛ فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والأخبار الولوية مشحونة بما ذكرنا.

فالأسماء الحاكبة عن اللطف والرحمة والأنس والهيبة، تسمى بالجمالية والأسماء الحاكبة عن القهر والغضب، سميت بالجلالية وأن تحت كل جلال جمال، كالهيمان الحاصل من الجمال الأحدي وهو عبارة عن انتقار العقل منه وتحيره فيه ولكل جلال جمال، وهو اللطف المستور في القهر الإلهي: «وفي القصص حيوة يا أولى الألباب»، «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وعن أمير المؤمنين ورئيس الموحدين: «سبحان من اتسعت رحمته لأولياته في شدة نعمته واشتدت نعمته لأعدائه في سعة رحمته» فالمظاهر الخلقية كالمرايا الشفافة تحكي عن الحق

أبونا على الملائكة، حيث قال الله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها» ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون^٢ والمراد من الاسم هو المعنى المحمول على الذات عند العرفاء، والفرق بين الاسم والصفة كالفرق بين المركب والبسيط بوجه؛ فإن الاسم كالأبيض والصفة كالبياض، فالسمي قديكون واحداً والأسماء كثيرة وهي محمولات عقلية وليس المراد بها الألفاظ، لأنها غير محمولة حملاً اتحادياً وأما تلك المحمولات، فهي بالحقيقة علامات^٣ ومعرفة للذات الموسومة

→

فالخ في ظهوره يقتضي المظاهر والاستدعاء من الطرفين، والسعيد يستدعي السعادة والشقي يستدعي الشقاوة بلسان الاستعداد أحدهما لا يخيب حالاً ومقالاً، وثانيهما يخيب قولاً ولكن يستجيب حالاً «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال».

سايه معشوق اگر افتاد بر عاشق چه شد
ما به او محتاج بودیم او به ما مشتاق بود
فالأسماء كلها داخلية تحت حيلة اسم الله الأعظم الجامع لكل اسم، والمحيط به ومظهر هذا الاسم يكون أكمل المظاهر الجامع لجميع المظاهر وله السيادة على الكل وهو نبينا محمد ﷺ وهو أفصح عن هذا بقوله: «آدم ومن دونه تحت لوائى»:

بود نور نبی خورشید اعظم
گه از موسی پدید و گه ز آدم
١- قد اختلف الروايات الواردة عن معادن العلم ﷺ في تفسير الكريمة، ففي بعض الروايات أن المراد بالأسماء، أسماء الحسنی وفي بعضها أن المراد بها أسماء الأشياء إلى حقایقها ومهیاتها المعبر عنها في لسان العرفاء بالأعيان الثابتة وفي بعضها أن المراد بها أسماء الأئمة - صلوات الله عليهم - إلى غير ذلك ولا اختلاف بين الروايات بحسب الحقيقة عند العارف البصير، إذ مآل الكل واحد؛ لأن حقایق الأشياء ومهیاتها صور أسماء الله الحسنی على ما تقرر في مفرقه وكذا حقایقهم الروحانية النورانية ﷺ هي المظاهر التامة والمجالي الكاملة للأسماء المقدسة، فالعلم التام بحقائق الأسماء المقدسة، لا يتصور بدون العلم بحقائق الأشياء ويستلزم العلم بمظاهرها ومجاليها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فتبصر وتدبر. ميرزا حسن نوری.

٢- البقرة (٢) الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣.

٣- أي عنوانات لمعرفة الذات الأقدس، إذ لا سبيل لنا إلى معرفة الذات إلا من جهة تلك المفاهيم والعنوانات، فهي بهذا الوجه مفاتيح غيب الهوية ومعالم سر الأحدىة فتبصر. ميرزا حسن نوری.

(الموصوفة - خ. ل) بها وقد يعبر عن الصفة بالاسم، وبهذا المعنى يحمل الاختلاف^١ في أن الاسم عين المسمى أم لا «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه^٢» وإذا تحققت هذا، فاعلم أن أسماء الله تعالى بالحقيقة هي المحمولات العقلية المستملة عليها ذاته الأحدية، لا يتعلق بها جعل وتأثير؛ بل هو موجودة باللاجعل^٣ الثابت للذات؛ واليق المجعولات بأن يعرف بها ذاته تعالى ويكون مظاهر لأسمائه وصفاته - هي كلمات الله التامات والأرواح العاليات - التي هي بمنزلة أشعة نور وجهه وكماله ومعرفات جلاله وجماله، فهي الأسماء الحسنى^٤.

١- يرجع الاختلاف المذكور إلى الاختلاف في أن الصفة عين الذات أم لا، والمراد أن الاختلاف المذكور يأول ويصطلح هذا أي من قال إن الاسم عين المسمى، مراده من الاسم المحمولات العقلية، ومن قال الاسم غير المسمى، مراده من الاسم الالفاظ التي هي الأسماء فتأمل. ميرزا حسن نوري.

٢- الأعراف (٧) الآية ١٨.

٣- وكما لا يتعلق الجعل بالأسماء، بل هي لامجعولة بالتبع وبعين لامجعولية الذات، كذلك لا يتعلق الجعل بالأعيان الثابتة التي هي من لوازم الأسماء وموجودة بعين وجود الأسماء؛ فالأعيان الثابتة أيضاً لامجعولة بالتبع وبعين لامجعولية الذات الأقدس، فالأسماء المعنوية ولوازمها التي هي الأعيان الثابتة، كما أنها موجودة بتبعية وجود الذات، كذلك هي لامجعولة بتبعية لامجعولية وجود الذات ولا يلزم منه المحذور الذي توهمه بعض من لأدربة له في الفن الذي تصدى لتحقيق المعارف، مع عدم البضاعة وذلك المحذور هو الذي ذكره في مؤلفاته تعريضاً وتشجيعاً على المصنف - قدس سره - وتلميذه العارف المحقق وجعله سنداً لتعيرهما ومستنداً لتكفيرهما وهولوزوم تعدد القدماء وهذا المحذور إنما يلزم لو كانت الأعيان لامجعولة في الثبوت العلمي وأنها موجودات بالأصالة والاستقلال وغير مجعولات ذلك الوجود ولم يعلم أن الشيئية المعنوية مطلقاً تابعة للوجود في أصل التقرر والتحصل وفي لوازمه الذاتية من المجمعولية واللامجمعولية وسائر لوازم الوجود بما هو وجود، فالشيئية المعنوية المفهومية إذا وجدت بالوجود المجمعول، فكما أنها تابعة لذلك الوجود في أصل الموجودية والتحصل فكذلك تابعة له في المجمعولية، فهي متحصلة بعين تحصيل ذلك الوجود ومجمعولة بعين جعله، لا يتحصل آخر وجعل آخر وإذا وجدت بالوجود اللامجمعول، فكذلك بعينه وقد تقرر في مقره أن المعاني والمهيات قابلة لأنحاء من الوجود وأطوار من الكون والشهود، فتارة توجد بالوجود الإمكانى على نشأته ودرجته وأخرى توجد بالوجود الواجبى القيومى بتبعية معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، فتدبر وثبت في المقام فإنه من مزال الأقدام. ميرزا حسن نوري.

٤- فلله تعالى شأنه وتقدس أسماؤه قبيلتين من الأسماء، أسماء معنوية لامجعولة بعين اللاجعل الثابت للذات الأقدس، لأنها عينه وأسماء وجودية مجعولة هي الذوات التامة والكلمات الروحية المجردة المعبر

تحقيق

اعلم أن صفاته تعالى :

منها حقيقية كمالية كالجود والقدرة والعلم ، وهي لا تزيد على ذاته ، بل هي عين ذاته بمعنى أن ذاته من حيث حقيقته مبدأ لانتزاعها عنه ومصدق لحملها عليه .
ومنها سلبية محضة كالقدوسية والفردية والأزلية وغيرها ؛ والاتصاف بها يرجع إلى سلب الاتصاف بصفات النقص .

ومنها إضافية محضة كالمبدئية والمبدعية والخالقية وأمثالها وهي زائدة على ذاته ، متأخرة عنه واما أضيف بها إليه ولا يخلّ بوحديته زيادة هذه الصفات ، فإن الواجب ليس علوه ومجده بنفس هذه الصفات الإضافية ؛ بل بكونه في ذاته بحيث ينشأ منه هذه الصفات ولا يخفي أن صفاته الحقيقية لا يتكرر ولا يتعدد ولا اختلاف فيها ، إلا بحسب التسمية ؛ كما قال الشيخ الرئيس في التعليقات : «إن الأول لا يتكرر لأجل تكثر صفاته ، لأن كل واحدة من صفاته إذا حققت تكون الصفة الأخرى بالقياس إليه ، فيكون قدرته ، حياته وحياته قدرته ، فتكونان واحدة ، فهو حي من حيث هو قادر وقادر

→

عنها في بعض العبارات بالعقول والأرواح المقدسة والكل معرفات جماله ودلائل كماله وجلاله فتبصر .
ميرزا حسن نوري .

١- قال الشيخ في الهيات الشفاء : «ولا نبالي بأن يكون ذاته تعالى مأخوذة مع إضافة ما يمكنه الوجود فإنها من حيث هي علة لوجود زيد ليست بواجبة بل من حيث ذاته» وما ذكره الشيخ في التعليقات مناف لما ذكره في الشفاء والحق مع مصنف هذا الكتاب ولعمري أن التحقيق في المسائل الحكمية والغوامض الالهية كان حقه (ره) في الدورة الاسلامية ، والواجب بالذات كما علمت واجب من جميع الجهات وليس فيه جهة إمكانية أصلاً بوجه من الوجوه ويطل هذا قول المعتزلة القائلين بنفي الصفات وقول بعض الغاغة من المتكلمين القائلين بحدوث الصفات وقول جمع من المقلدين القائلين بجواز انفكاك الصنع عن الصانع الحقيقي وقد ذكرنا أن جميع صفاته عين ذاته ، وفضائله عين فوائضه ، وجميع صفاته ترجع إلى أصل واحد ومصدق فارد فصفاته الوجودية ترجع إلى وجوب وجوده وصفاته السلبية مرجعها سلب الإمكان وصفاته الإضافية ترجع إلى الإضافة الإشرافية وهي ظهوره ووجهه تعالى ونوره وما هو من صقعه ثابت والخلق زائل متغير .

من حيث هو حي» وكما قال أبوطالب المكي: «مشيته تعالى قدرته» وكذلك صفاته الإضافية لا يتكرر معناها ولا يختلف مقتضاها وكذا الصفات السلبية، فإن إضافاته إلى الأشياء وإن تعددت أساميها واختلفت، لكنها كلها يرجع إلى معنى واحد وإضافة واحدة هي قيويمته الإيجابية للأشياء^١ ومن ههنا يظهر معنى كلام الشيخ الرئيس في التعليقات: «الأشياء كلها عند الأوائل واجبات ليس هناك إمكان البتة، فإذا كان شيء لم يكن في وقت، فإنما يكون من جهة القابل لامن جهة الفاعل؛ فإنه كلما حدث استعداد من المادة، حدث فيها صورة من هناك؛ إذ ليس هناك منع ولا بخل، فالأشياء كلها هناك واجبات لا تحدث وقتاً وتمتنع وقتاً ولا تكون هناك، كما تكون عندنا».

واعلم أنه لا يتغير ذاته بتغير جزئيات ما أضيف إليه وإن تغيرت إضافته إليه (إليها - خ. ل) كما نقل عن الشيخ الإلهي شهاب الدين السهروردي: «إن مما يجب أن تعلمه وتحققه أنه لا يجوز أن يلحق الواجب إضافات مختلفة، توجب اختلاف حيثيات فيه، بل له إضافة واحدة هي المبدئية، ليس عند ربك صباح ولا مساء».

تبصرة

اعلم أن الله اسم للذات الإلهية باعتبار جامعته لجميع النعوت الكمالية وصورته^٢

١- وهذه الإضافة باعتبار استنادها إلى الحق واحدة وإن كانت بحسب القوابل متعددة، وقد ورد في الصحيفة الملكوية «وما أمرنا إلا واحدة» وليس المراد من الأمر، الأمر التشريعي لأنه متعدد بالبداية، بل هو أمر تكويني؛ قال لسان العرفاء وناظم جواهر الأولياء:

ابن همه عكس می و رنگ مخالف که نمود يك فروغ رخ ساقيست كه در جام افتاد

٢- قد بينا قبلاً أن الاسم الله مشتمل على جميع الأسماء، لأن هذا الاسم يحكي عن الذات الأحدية الجامعة لكل الأسماء والصفات، ويتجلي في جميع الأسماء بحسب المظاهر الإلهية، وبحسب الرتبة مقدم على جميع الأسماء، فمظهر هذا الاسم مقدم على جميع المظاهر وله السيادة التامة عليها وهذا الاسم الجمعي الإلهي، باعتبار ظهوره في كل واحد من الأسماء، تكون جميع المظاهر مظهر لهذا الاسم وباعتبار اشتماله على الأسماء كلها تكون جميع الأسماء من شعبه وفروعه، وأجزائه. ويعلم من هذا أن جميع ما في الكون في جميع النشآت الوجودية، تكون من ظهورات حقيقة المحمدية وأن العالم صورة حقيقتها الجامعة وجميع

الإنسان الكامل وإليه أشير بقوله ﷺ «أوتيت جوامع الكلم» والرحمان^١ هو المقتضي

→

المظاهر من العقل الأول والروح الأعظم وإلى الهيولى الأولى، رقائق لهذه الحقيقة، وبهذه الجامعة استحققت الخلافة. ولما كانت للإنسان الكامل الظاهر في كل شيء، ظهورات وتجليات وتجليات في كل شيء، يكون أول ظهوره في العقل الأول ولذا قال: أول ما خلق الله نوري وإضافته ﷺ النور الأول إلى نفسه، إشارة دقيقة يعرفها مَنْ ذاق من المشرب المحمدي ﷺ إلى أن العقل حسنة من حسناته. وبالجمله هذا الانسان يسرى في جميع الموجودات ولذا قال علي عليه السلام: «أنا القلم وأنا اللوح» وقال في موضع آخر: «كنت مع الانبياء سرّاً ومع محمد جهرًا». وسرّ معيته ﷺ مع الانبياء سرّاً، ومع محمد ﷺ جهرًا هو أن جميع الانبياء كانوا من مظاهر وجوده وكانت ولايتهم من شعوب ولايته وفروعه وهو الظاهر في وجودهم والظاهر مستور في المظهر وإن كانت نفسه الزكية من مظاهر ولاية خاتم الانبياء ولذا قال: «مع محمد سرّاً».

ألا أي طوطى گویای اسرار	مبادا خالیت شکر ز منقار
سرت سبز و دلت خوش باد جاوید	که خوش نقشی نمودی از رخ یار
سخن سر بسته گفתי با حریفان	خدایا زین معما پرده بردار
خرد هر چند نقد کائنات است	چه سنجد پیش عشق کیمیا کار
بیبا و حال اهل درد بشنو	به لفظ اندک و معنی بسیار

صفات منقسم می شوند به صفاتی که دارای حیطه کامله هستند، مثل حیات، علم، قدرت، سمع، بصر، کلام. و صفاتی که دارای حیطه کامله نیستند؛ اول را اسمای محیطه و دوم را اسمای محاطه نامیده اند. اسماء به تقسیم دیگر منقسم می شوند به اسمای ذات و اسمای صفات و اسمای افعال اگر چه در حقیقت همه اسماء، اسمای ذات اند؛ ولی به اعتبار ظهور ذات در آنها اسمای ذات و به اعتبار ظهور صفات اسمای صفات و به اعتبار ظهور افعال، اسمای افعال نامیده شده اند.

١- الذات الاحدية بحسب مبدئیه الذاتیه، مقتضی للرحمة المبدئیه الامتنانیه وهی الوجود المنبسط علی الكل فی کل بحسبه، أي بحسب ما یقبله ذاته بالقابلیة الذاتیه وإمكانه الذاتی وبحسب غایتیه الذاتیه مقتضی للرحمة المنتهائیه الاستحقاقیه وهی الکمال المعنوی للأشیاء بحسب النهایه، فرحمته واسعه لكل شیء وسعت رحمته کل شیء، لأن مبدئیه وغایتیه شاملة لكل شیء هو الأول والآخر مبدء کل شیء وغایه کل وحی هو الله الخالق الباری، «الا إلی الله تصیر الأمور» فکما أنّ وجود الاشقیاء المطرودین فی البدایه لا ینافی سعة رحمته الابتدائیه، بل یؤكدھا فکذلک خلودهم فی النهایه فی دار الشفاء لا ینافی سعة رحمته المنتهائیه، بل یؤیدھا ویؤكدھا؛ کما قال: سبقت رحمته غضبی، فالدنیا لسعیده وشقیه مقتضی الرحمة الرحمانیه الامتنانیه والآخرة بنعیمه وجحیمه مقتضی الرحمة الرحیمیه الاستحقاقیه یارحمین الدنیا ورحیم الآخرة والدنیا لا ینحصر فی السعدها، فکذا الآخرة فتلطف وتدبر فی المقام فإنه حرّی بذلك، نعم والسلام علی تابع الهدی. میرزا حسن نوری.

لوجود المنبسط على الكل بحسب ما يقتضيه الحكمة، والرحيم هو المقتضي لكمال المعنوي للأشياء، بحسب النهاية، ولذلك قيل: «يارحمان الدنيا ورحيم الآخرة»، فمعنى بسم الله الرحمن الرحيم: بالصورة الكاملة الجامعة للرحمة الخاصة والعامّة، التي هي مظهر الذات الإلهية وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، لأنّ مكارم الأخلاق محصورة في الحقيقة الجامعة للإنسانية.

لمعة

اعلم أن جميع الموجودات مظهر لصفات الله تعالى وآثاره على سبيل الاختلاف، في الخفاء والجلاء ويؤيد ذلك ما روي أبو يزيد: «إنّ الكل في الكل» ورسول الله ﷺ مظهر لجميع الصفات الإلهية على سبيل الاستواء، فإذا كان مظهره مستوياً، فيكون كخط الاستواء في أقاليم الوجود؛ فإذا لمع وأشرق نور الحق من سماء الحقيقة، فلا يكون له عند وصول نور الحقيقة من وسط السماء الدنيا ظل، فتحدّس من ذلك معنى قولهم: إن النبي ﷺ والوصي ﷺ يرى من خلفه، كما يرى قدامه. فتبصر في ذلك وكن متأملاً في هذا المقال، ليظهر لك جليلة الحال.

تكلمة

لا شك أن الاسم الأعظم، ينبغي أن يكون معناه شتملاً على جميع معاني الأسماء الإلهية على الإجمال وكذا مظهره يجب أن يكون حقيقة شتملة على مجموع حقايق الممكنات، التي هي مظاهر ولا يصلح من الأسماء لهذه الجمعية إلا الاسم الله وكذلك الحي القيوم، لكن الأول يصلح بحسب الوضع العلمي والثاني بحسب اللقبى «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، إن اشتمال الحي القيوم على جميع الصفات الكمالية، لأن حبيته يدل على وجوب الوجود وهو منبع الصفات وقيوميته مبالغة في القيام لإدامة الموجودات على وجه التمام، عدة ومدة وشدة؛ فهو مشتمل على جميع الأسماء الفعلية، فهذان الإسمان هما الاسم الأعظم لمن تجلّى له، فمن ذكرهما بلسان العيان،

لابلسان البيان، فقد ذكر الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

واعلم أن الاسم الأعظم الذي روي أنه مخفي، خفائه لأجل أن لكل سائل ليس له لسان حال، فإنه إن كان له لسان حال فكل اسم دعي به ربه يكون الاسم الأعظم ولذلك لما سئل أبو يزيد عن الاسم الأعظم، فقال: «ليس له حد محدود ولكن فرغ بيت قلبك لوحدايته، فإذا كل اسم هو الاسم الأعظم» ولا يخفى عليك أن من الأسماء ما هي حروف مركبة ومنها ما هي كلمات مركبة مثل الرحمن الرحيم، فلها خواص بتركيبها وخواص أخرى بانفرادها كالعقاقير بالنسبة إلى المعاجين، «قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً»^١.

المظهر الخامس

في علمه [تعالى] بذاته وبغيره [وبيان أقسام العلم ومراتبه]

كل وجود^١ لا يشوبه عدم ولا يغطيه حجاب وغشاوة ولا التباس ولا يغشاه الظلمات، فهو مكشوف لذاته، حاضر غير غائب من ذاته؛ فيكون ذاته علماً وعالمًا بذاته ومعلومًا لذاته، إذ الوجود والنور شيء واحد «الله نور السماوات والأرض»^٢ ولا حجاب له إلا العدم والقصور، فكل وجود بحسب سنخه، يصلح أن يكون معلومًا والمانع له عن ذلك إما العدم والعدمي كالهولى الأولى، لتوغلها في الإبهام والواجب

١- اعلم أن العلم مطلقاً على طريقة أهل الحق، يرجع إلى نحو من الوجود الخاص الخالص الغير المشوب بالعدم، وبيانه أن الجسم والجسمانيات لكونها حقيقة افتراقية في الوجود، لاتصلح لتعلق العلم بها، لأن الجسم مركب من المادة والصورة الحائلة فيها والهولى أمر مبهم غاية الإبهام، ليس له تحصيل وفعلية وتعين، بل هو غير موجود بالفعل وتعيته إنما يكون بالصورة الحائلة فيه وكل صورة جسمانية لتركيبتها من الأجزاء، ليست لها ذات صريحة صالحة للمعلومية، لأن كل جزء من الجسم غائب عن جزئه الآخر، بل إن سئلت الحق، كل صورة جسمانية حالة في الهولى لكونها متحركة على الدوام في وجودها، قوة عدمها وكل هوية تدريجية الوجود، لاتوجد بتمام ذاتها لذاتها وليست لها هوية صريحة في الأعيان وإذا لم يكن للشيء ثبوتاً لذاته ووجوداً في نفسه، فلاينال ذاته ولايمكن إدراكه إلا لقوة جماعة قاهرة ولامانع له عن سريانه في الكل لتقوم الكل به. ألاإنه بكل شيء محيط ونحن في مرية من معرفته.

جلّ ذكره لكونه بريء الذات عن شوب العدم والجسمية والتركيب والإمكان، فهو في أعلى مرتبة المدركية والمدركية والعاقلية والمعقولية «الاي علم من خلق وهو اللطيف الخبير»^١، «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»^٢ وتحقيق^٣ حقيقة العلم مرتبط بتمهيد مقدمات ذات تبين، لا يسعها هذه الرسالة فتركنا إيرادها، فمن كان ذابصيرة قلبية يكفيه ما أوردناه وسنورد في مراتبه، لأن يتنور باطنه بنور الحق فيشاهد أنه العالم الحقيقي والمعلوم الحقيقي والعلم الحقيقي، وإشكال تفهم حقيقة العلم من التعلقات الحسية والقاذورات الجسدانية «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى»^٤ ولذلك قال بعض المحققين: «من أراد أن يتنور بيته بإدراك حقائق الأشياء، فعليه أن يسد الروازن الخمس».

إشراق

اعلم أن العلم قد يطلق على المعلوم بالذات، الذي هو الصورة الحاضرة عند المدرك حضوراً حقيقياً أو حكماً؛ فالعلم والمعلوم على هذا الإطلاق متحدان ذاتاً ومختلفان اعتباراً، وقد يطلق العلم على نفس حصول شيء عند القوة المدركة أو ارتسامه فيها وهو المعنى الإضافي الانتزاعي، الذي يشتق منه العالم والمعلوم وأمثالهما، والواجب تعالى عالم بالمعنى الأول؛ قال الشيخ في التعليقات: «إذا قلت إني أعقل الشيء فالمعنى أن أثراً منه موجود في ذاتي، فيكون لذلك الأثر وجود ولذا في وجود ذلك الأثر، فإذا كان

١- الملك (٦٧) الآية ١٤.

٢- يونس (١٠) الآية ٦١.

٣- اعلم أن العلم مثل الوجود لا يدخل تحت مقولة من المقولات وهو حقيقة واحدة وله درجات متفاوتة متفاضلة، في مرتبة يكون علماً بكل شيء غير مشوب بالعدم، في مرتبة يكون علماً بشيء وجهلاً بشيء آخر ولما كان ذاته تعالى وجود كل شيء على النحو الأتم، فهو علم بكل شيء من دون شوبه بالجهل وكان ذاته علماً تفصيلاً بكل شيء على نحو لا يشذ عن حيطة علمه ذرة، فحضور ذاته لذاته علم إجمالي في عين الكشف التفصيلي.

٤- الاسراء (١٧) الآية ٧٢.

وجود ذلك الأثر لا في غيره بل فيه، لكان أيضاً يدرك ذاته، كما أنه لما كان وجوده لغيره أدركه الغير؛ ومن توهم أن كون المجرد عالماً بذاته وصف زائد على ذاته يستدعي مصداقاً، لزمه القول بعدم كون الواجب الحق عالماً بذاته، إلا بعد تحقق أمر زائد على ذاته تعالى وهو قول فضيح وظلم قبيح جداً عند المحققين» فاطرد عنك ظلمة هذا الوهم وتبصر، لأن العلم إذا كان حصول شيءٍ معرّى عما يلابسه لأمر مجرد مستقل في الوجود بنفسه أو بصورته حصولاً حقيقياً أو حكيمياً، فواجب الوجود لماً كان في أعلى غايات التجرد عن المواد والتقدس عن الغواشي الهيولانية، كان عاقلاً لذاته وعالماً به، فعلمه أتم العلوم وأشدها نورية وأقدسها، بل لانسبة لعلمه إلى علوم ماسواه بذاتها، كما لا نسبة بين وجوده الحقيقي وبين وجودات الأشياء «لا تدركه الأبصار وهويدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»^١ ولا تمثله الأفكار ولا تنفذ فيه الأوهام ولا يصل إلى إداركه عقول الأنام.

حكمة مشرقية

اعلم أن مراتب علمه تعالى بالأشياء - بالاجمال والتفصيل - كثيرة^٢، فمنها

١- الانعام (٦) الآية ١٠٣.

٢- العلم إنما هو حصول الصورة المعلومة وهي مثال مطابق للأمر الخارجي وذلك يطرد في العلم القديم والحادث، وعلم الباري تعالى فعليّ متقدم على العلوم الخارجي، وصورة المعلومات حاصلة له قبل وجودها ولا يجوز أن يكون تلك الصورة حاصلة عنده في موضوع آخر، فإنه يلزم الدور والتسلسل وأن لا يكون علماً له وليست صور معلقة افلاطونية لأننا أبطلنا ذلك ولا من الموجودات الخارجية، إذ العلم لا يكون إلا صورة، فلم يبق من الاحتمالات إلا أن يكون في صقع من الربوبية وإن كان لم تدرك كيفية هذا، فلا بأس لأن خطر العلم أضيق من ذلك وليس إلى هذا المطلب العالي مطمح وسيما في دار الغرور، فلا تلتبس من نفسك شيئاً عجزت الملائكة المقربون والأنبياء والأولياء العارفون عن الوصول إليه، إلا من فضله الله تعالى تفضيلاً، فإن أردت لمعة من ذلك فجاهد نفسك وتفكر في خلواتك وفرغ زوايا قلبك لتحدث لك حادث يطمئن به. انتهى هذا ما قاله الشيخ الرئيس في رسالته التي وضعها لتحقيق علم الباري تعالى، أقاميرزا حسن نوري عبارات معجز نظام راز ابن سينا نقل كرده است.

العناية^۱ وهي العلم بالأشياء التي هو عين ذاته المقدسة وهو العقل البسيط، لاتفصيل

۱- عنایت بنابر طریقه مصنف علامه که قائل به علم تفصیلی در موطن ذات است، عبارت از علم ذاتی حضوری کاشف از جمیع اشیاء به نحو تفصیل در مرتبه ذات قبل از وجود موجودات می باشد؛ برهان بر این مطلب عظیم که از مبتکرات مصنف علامه است، توقف بر بیان مقدماتی دارد که در کتب خود آن مقدمات را به طور کامل بیان فرموده و آن مقدمات هم از مطالبی است که در غیر کتب این حکیم متبحر شیعی اثنا عشری موجود نمی باشد.

مقدمه اول آنکه موجوداتی که دارای ماهیت کلیه اند، در مصداق بردن از برای مفاهیم مختلفند؛ برخی به حسب وجود خارجی بسیطند، اگر چه در موطن عقل ترکیب دارند، بعضی از موجودات مرکب از ماده و صورت خارجی اند و هر ماده و صورت خارجی هم به نحوی از انحاء اتحاد، متحدند و آن چیزی که منشأ و مبدأ انتزاع جنس و فصل است وجود واحدی است که دارای دو جهت است یا بیشتر از دو جهت دارد، ولی همه جهات به یک وجود موجودند؛ مرکبات موجوده در عالم طبیعت اختلاف دارند. ممکن است یک وجود به حسب قوت جامع همه مفاهیم مختلفه موجوده در عالم طبیعت باشد و همه مفاهیم متفرقه موجوده به وجودات منحازه در یک وجود موجود باشد؛ هر هویت وجودیه ای که به حسب نحوه وجود کاملتر باشد، اکثر حیطه است نسبت به مفاهیم مختلفه نظیر وجود انسان که جمیع مفاهیم متفرقه از قبیل جماد و نبات و حیوان با جمیع ذاتیات و عرضیات در او جمعند.

من کل شیء کنهه ولطفه مستودع في هذه المجموعة

مقدمه دوم، وجود خاص از هر نوعی از انواع آن وجودی است که به حسب وجود خارجی متمیز از غیر خودش باشد؛ مثلاً انسان اگر چه در طور وجود و نحوه تحقق مشتمل بر جماد و جسم نامی و حساس و متحرک بالاراده است ولیکن از تجمع این معانی در انسان لازم نمی آید که وجود انسان همان وجود جماد و نبات و حیوان باشد، به نحوی که انسان از افراد این معانی گردد. معنای اشتغال انسان بر این معانی آن است که انسان در درجه وجود و هستی فعلیتی را دارد که همه معانی متفرقه در این وجود واحد جمع است و این معانی ناشی از استکمالانی است که از مرتبه جمادیت شروع و به مرتبه عقل بالفعل و عقل بالمستفاد، بلکه نسبت به بعضی از افراد تا فناء فی الله ختم می شود.

مقدمه سوم، در فن حکمت متعالیه؛ اساطین فن - خصوصاً مصنف علامه (قده) بیان کرده اند که علت مفید وجود باید از معلول خود به حسب ذات اشرف و اکمل باشد، چه تساوی در مرتبه منافی با علیت و معلولیت است، علت اصل و معلول فرع و قائم به علت است.

وقتی این مقدمات را به طور کامل بررسی کردی، معلوم خواهد شد که حقیقت بسیطه حق باید جامع جمیع نشأت وجودیه باشد، به نحوی که آنچه از کمال در متن اعیان فرض شود، آن حقیقت همه آن کمالات را به نحو اعلا و اتم واجد باشد و آنچه از کمالات به طور تفرق در اشیاء دیده می شود، ←

فيه ولا إجمال فوقه؛ والعناية علم تفصيلي متكرر؛ فهي على ما يراه المشاؤون ومن يحذو حذوهم كالمعلم الثاني والشيخ الرئيس وتلميذه بهمنيار نقش زائد على ذاته لها محل هو ذاته، وعلى رأى من لم يثبت صوراً في ذاته تعالى زائدة عليه كالرواقين وأصحابهم سيما الشيخ الإلهي في حكمة الإشراق كون ذاته تعالى بحيث يفيض عنه صور الأشياء فليس لها محل، بل هو علم بسيط محيط بجميع الأشياء، خلاق للعلوم التفصيلية التي بعده وهي ذوات الأشياء الصادرة عنه بطبايعها على أنها عنه لا على أنها فيه وإليه الإشارة بقوله: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو»^١.

ومنها القلم واللوح، فالقلم موجود عقلي متوسط بين الله وبين خلقه فيه جميع صور الأشياء على الوجه العقلي وهو أيضاً عقل بسيط، إلا أن الحق الأول واحد حقيقي بسيط وذلك الأقلام متعددة ليس في غاية البساطة وإلى هذا أشار بقوله «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه»^٢ وقوله: «ولله خزائن السماوات والأرض»^٣ والعقول الفعالة أقلام، لأن شأنها تصوير الحقائق في ألواح النفوس وصحائف القلوب، كما ينتقش بالأقلام الصحائف والألواح.

وأما اللوح فهو جوهر نفساني وملك روحاني يقبل العلوم من القلم ويسمع كلام الله منها وقد يعبر عن هاتين المرتبتين بالقلم الأعلى والعقل الأول والروح الأعظم والملك المقرب والممكن الأشرف، ومعلوم أن صور جميع ما أوجده الله تعالى من ابتداء العالم إلى آخره حاصلة فيها على وجه بسيط مقدس عن كثرة تفصيلية وهي صورة القضاء الإلهي، فمحله عالم الجبروت وهو المسمى بأمر الكتاب بهذه الاعتبار، كما قال الله تعالى «وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم»^٤ وبالقلم باعتبار إفاضة الصور

به نحو صرافات وعدم محدوديت در آن وجود جمع است و لا يشذ عن حيطه علمه شيء من الأشياء.

١- الانعام (٦) الآية ٥٩.

٢- الحجر (١٥) الآية ٢١.

٣- المنافقون (٦٣) الآية ٧.

٤- الزخرف (٤٣) الآية ٤.

منه على النفوس الكلية والفلكية ، قال تعالى : « إقرء وربك الاكرم الذي علم بالقلم »^١ ، أما تسمية هذا العالم بعالم الجبروت ، لأنه كما يفيض منها صور الأشياء وحقائقها بإفاضة الحق سبحانه ، فكذلك يفيض منها صفاتها وكمالاتها الثانوية التي بها تجبر نقصاناتها ، فبهذا الاعتبار أو اعتبار أنها تجبرها على كمالاتها تسمى بعالم الجبروت وهي صفة صورة جبارية الله تعالى « ولا حجة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . »^٢

ومنها القضاء والقدر^٣ فالقضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات بحقائقها الكلية والصور العقلية في العالم العقلي ، على الوجه الكلي لا على سبيل الإبداء وتلك مرتبطة بالحق الأول ، موجودة في صقع إلهية لا ينبغي عدها من جملة العالم بمعنى ما سوى الله ؛ بل إنها معدودة من لوازم ذاته الغير المجعولة ، فهو خزائن الله تعالى التي هي سرادقات نورية ولمعات جمالية وجلالية .

وأما القدر فهو قدران : قدر علمي ، وقدر خارجي .

أما القدر العلمي فهو عبارة عن ثبوت صور جميع الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي ، مطابقة لما في موادها الخارجية مستندة إلى أسبابها وعللها ، واجبة لازمة لأوقاتها ، منطبعة في قوة إدراكية ونفس انطباعية .

وأما القدر الخارجي فهو عبارة عن وجودها في موادها الخارجية مفصلة واحداً بعد

١-العلق (٩٦) الآيتان ٣-٤ .

٢-الانعام (٦) الآية ٥٩ .

٣-ذهب بعض أهل الحكمة إلى أن تلك الصور الجزئية الموجودة في الخارج ، أخيرة مراتب علمه تعالى وقد مر أن كل وجود جسماني فهو متبدل الذات والوجود ، والوجود مادام كونه واقعاً في سلسلة الحركات ، لا يمكن إدراكه إلا بألة جسمانية ، وما قيل إن الموجودات الجسمانية بالقياس إلى العلل العالية ثابتة غير متغيرة ، ولا مختلفة بالتجدد والانقضاء ، قول فاسد ؛ لأن المادي ، مادي أبداً ولأن المقارنة للمادة والتجرد عنها ليست من باب المضاف ؛ نعم لو قيل إنها معلومة بالعرض بواسطة الصورة الإدراكية ، لكان له وجه . فكل موجود مادي لا بد من إدراكه من وجود إدراكي ، متحد مع الصورة الجسمانية اتحاد الحاكي بالحكي عنه .

واحد، مرهونة بأوقاتها وأزمنتها موقوفة على موادها واستعدادها متسلسلة من غير انقطاع ولا زوال «وما ننزله إلا بقدر معلوم»^١ وأشار إلى القدر العلمي بقوله: «إنا كل شيء خلقناه بقدر»^٢، «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»^٣.

واعلم أنه كما أن العالم العقلي المعبر عنه بالقلم محل القضاء، فالعالم النفساني السماوي محل قدره تعالى ولوح قضائه؛ إذ كل ما جرى في العالم أو سيجري مكتوب مثبت في النفوس الفلكية، فإنها عالمة بلوازم حركاتها. فكما ينتسخ بالقلم في اللوح نقوش حسية، كذلك ارتسمت من عالم العقل في عالم النفوس الكلية صور معلومة مضبوطة بعلمها وأسبابها على وجه كلي، فتلك الصور هي قدره تعالى ومحلها -وهو عالم النفوس الكلية التي بين قلب العالم الكلي عند الصوفية- محل القدر ولوح القضاء؛ ثم ينتقش منه في القوى المنطبعة الفلكية نقش جزئي، وهذا العالم هو عالم الخيال الكلي وعالم المثال وهو لوح القدر، كما أن ذلك العالم الذي هو عالم النفوس الناطقة الكلية، لوح القضاء وكل منهما كتاب مبین إلا أن الأول لوح محفوظ هو أم الكتاب والثاني كتاب المحو والإثبات وهذا العالم أي عالم لوح القدر، عالم الملكوت العمالة.

وبالجملة فهذه العوالم كليتها وجزئيتها كلها كتب إلهية ودفاتر سبحانه لإحاطته بكلمات الله التامات؛ فعالم العقول والنفوس كتابان إلهيان وقد يعبر عنهما بأم الكتاب والكتاب المبين لإحاطتهما بالأشياء إجمالاً، ولظهورهما فيها تفصيلاً ويقال للنفس المنطبعة كتاب المحو والإثبات^٤ والإنسان الكامل المسمى بعالم الكبير، كتاب جامع

١- الحجر (١٥) الآية ٢١.

٢- القمر (٥٤) الآية ٤٩.

٣- الرعد (١٣) الآية ٣٩.

٤- لإثبات الحركة الجوهرية في النفوس المنطبعة، فهي دائماً في المحو والإثبات والتجرد والثبات، بخلاف الكتاب الإلهي والأم الكتاب، فهو عام الثبات والقرار وليس من عالم الحدوث والحركة، لأنه ليس من عالم ما سوى الله؛ بل هو داخل في أصقاع الألوهية وعالم الربوبية قديم بقدم الله ولا مجمول بعين لا مجمولية الذات، لأنه من لوازم الذات الغير المجعولة وليس قدمه استقلالية حتى يلزم تعدد القدماء، كما فهم هكذا

لهذه الكتب^١ كما قال العالم الرباني حكيم العرب والعجم عليه السلام :

الشيخ احمد الاحساني وجعله سنداً لتكفير المصنف - قدس سره - ، حاشاه من هذا الاعتقاد الباطل ، لأن المصنف قال في كثير من رسائله وكتبه بأن العقول أنوار إلهية وأضواء قيومية داخله في صقع العالم الألوهية والحضرة الربوبية ليست من عالم . ميرزا حسن نوری .

١- مصنف علامه - أعلى الله مقامه - جميع مراتب امكانيه را كلام و كتاب حق تعالى قرار داده است ؛ ما برای توضیح كلام او و بیان مطلب دقیقتری ناچاریم از بیان تحقیقی که از غوامض مباحث الهیه است : در نزد اهل معرفت الفاظ موضوع از برای معانی عامه است ، و الكلام ما يعرب عن ضمير المتكلم ، اعم از این که متكلم خلق یا حق باشد ، كلام امری غیبی و یا شهودی باشد ، و الكتاب وضع لكل ما يكتب فيه الشيء أو يتنقش فيه الشيء سواء كان من القراطس والألواح الظاهرية أو الواحاً معنوية . بنابراین جميع صفحات وجود كتاب تكويني حق است که به قلم قدرت خود نوشته

چو قاف قدرتش دم از رقم زد هزاران نقش بر لوح عـدم زد
و چنانچه كلام و كتاب حاکی از ضمير متكلم و كاتب می باشند ، همچنین جميع مراتب آفاق و انفس و درجات وجود حاکی از علم و ضمير حق اند ، و جميع مراتب وجودی در نزد او مشهود و معلوم و بلکه او در مرتبه ذات خود جميع اشياست ، این کلمات وجودیه حق از مقارعه نفس رحمانی با مخارج ماهیات سماوات ارواح و اراضی اشباح حاصل شده است و ما سواي حق کلمات و علوم و كتاب اویند قال بعض اهل التحقيق : «الكلام الذي هو نسبة بين الظاهر والمظهر (لانه عبارة عن اجتماع الحقائق البسيطة منفردة أو معتبرة ، مع توابعها ليفيد صورة جمعية يفهم منها وبها احكام تلك الحقائق ؛ وذلك الاجتماع ، كما أنه نكاح باعتبار انتاج نشأة ، فهو ايجاد باعتبار تحصيل الوجود الإضافي وكتابة باعتبار تحصيل نقش التعین ، كلام باعتبار الافهام اللايق بكل مرتبة على التفصيل) من حيث اطلاقه واصلاته صورة علم المتكلم بنفسه أو بغيره والمعلومات حروفه وكلماته ولكل منها مرتبة معنوية» . از آنچه که ذکر شد معلوم می شود که فرق بین كلام و كتاب اعتباری است و جميع صفحات وجود كتاب و كلام و قرآن و فرقان الهیه است که حاصل شده است از کلمات تامات و محکمات و آخر متشابهات . متكلم به این کلمات وجودیه حق است و اوست که به قلم قدرت خود ، این كتاب تكويني آفاقي و انفسی را که در آن نقص و فتوری دیده نمی شود ، به وجود آورده ، از برای كتاب قرآنی و فرقانی حق ظاهر و بطن و حد و مطلع و از برای بطن آن بطون متعدده است . اگر ما جميع صفحات وجودیه را كتاب حق قرار دهیم ، مطلع این كتاب كلام ذاتی و تجلی اعرابی در مرتبه احدیت است ؛ این مرتبه به اعتباری اصل جميع كتب الهیه و مطلع و مبدأ آن می باشد و این كلام غیبی و كتاب الهی مقدم بر همه تعینات است ؛ حد آن عبارت از مرتبه عماثیه و فیض فاصل بین مظاهر خارجیه و کونیه و حقیقت مطلقه است . بطن عبارت از عوالم غیبیه و عقول مجردة و مثل معلقه منفصله و ظهر آن عالم شهادت و صور کونیه حاله در ماده و هیولی است ؛ حق تعالى در مرتبه احدیت و تعین اول جميع

دواؤك فيك ولا تشعر دأؤك منك ولا تبصر
و أنت الكتاب المبين الذي بآياته يظهر المضممر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.

ويؤيد ذلك ما قال أبو يزيد: «لو أن العرش وما في حواه، دخل ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب أبي يزيد لما أحسَّ به». فمن حيث عقله كتاب عقلي يسمى بأَمَّ الكتاب، ومن حيث نفسه لوح محفوظ ومن حيث روحه النفسانية التي في فلك دماغه، كتاب المحو والإثبات، فهي الصحف المكرمة المطهرة التي لا يمسه إلا المطهرون، فتحدس مما سردنا عليك معنى قول بعض اليونانيين من أن النفس جوهر شريف يشبهه (يشبه - خ ل) دائرة لأبعد لها ومركزها هو العقل وذلك العقل دائرة استدارت على مركزها وهو الخير المطلق الأول فكل المجردات قد استدارت عليه

→

موجودات و تعينات و مجالى وجوديه و مظاهر خارجيه و اسماء الهيه از جلاله و جماليه را به نحو رؤيه المفصل مجملا، شهود مى نمايد. در اين مرتبه تعين و تكثر و تمايزى نيست، وراى اين مرتبه وجود صرف مطلق عارى از جميع تعينات است كه

نه اشارت مى پذيرد نه عيان نه كسى زو نام دارد نه نشان

در مرتبه احديت اگرچه كثرى بالفعل وجود ندارد ولكن يشم منها رائحة الكثرة، تجلى حق در اين مرتبه تجلى واحدى است كه مبدأ و اصل آن حب الهى است و به همين معنى اشاره شده است در حديث قدسى: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف»، اين ميل اصلى و حب ذاتى واسطه بين خفاى ذات و ظهور خارجى است كه مبدأ نكاح سارى در جميع اشياست؛ اين مرتبه به اصطلاح اهل توحيد، مطلع صفحه وجودات است كه از آن به تجلى اعرابى تعبير نموده اند. مرتبه دوّم از تعينات مقام واحديت و اسماء و صفات و حضرت علم است. اين مرتبه نيز كتاب الهى است كه در آن شهود مى نمايد ذات خود را در كسوت صفات و اسماء و مظاهر خلقى شهودى تفصيلى فرقانى (شهود المجمل مفصلاً) بعد از اين مرتبه، مراتب كونه و خلقه اند كه مصنف به طور تفصيل بيان كرده است.

بعضى در فرق بين كلام و كتاب گفته اند كه كتاب از عالم فرق و كلام از عالم جمع است و ما بيان كرديم كه مرتبه احديت و واحديت به اعتبارى كتاب حق مى باشند؛ جمعى ديگر گفته اند عوالم وجوديه را اگر به حق نسبت دهيم، كلام و اگر به خلق نسبت دهيم، كتابند؛ جمعى فرق بين كلام و كتاب را به اجمال و تفصيل دانسته اند و لكل واحد من هذه الاقوال وجه وإن شئت تفصيل هذه العريضة فليكن بالمرجعة إلى كتب أهل العرفان. لاسيما كتاب مصباح الانس، فإن فيه ما يشفي العليل ويروي الغليل.

وهو مركزها لتساوي نسبتها إليه . ويؤيد ما قلنا ما قيل في الفارسية .

از حق چو رسد به عقل کل راز	از عقل به نفس کل رسد باز
از نفس رود به خانه نور	بر لوح خیال جمله مسطور
فکرت ز خیال یابد الهام	در حال کند به حفظ پیغام
حفظش چو به نطق کرد اشارت	آورد کتاب در عبارت

فاحفظ ما سردنا عليك ولاندعها إلا لمن له قلب سليم أو القى السمع وهو شهيد
جعلنا الله وإياكم من المتفكرين ورزقنا سبيل السالكين .

في دوام إلهيته [وبيان كلامه ، وتحقيق الفرق بين الكتاب والكلام على نحو التفصيل]

اعلم أن جماعة من المتكاسين الخائضين فيما لا يعينهم ، زعموا أن إله العالم كان في أزل الأزال ممسكا عن جوده وإنعامه ، واقفاً عن فيضه وإحسانه ، ثم سنع له أن يفعل ، فشرع في الفعل والتكوين والتقويم ، فخلق هذا الخلق العظيم ، الذي بعضه مكشوف بالحس والعيان وبعضه معلوم بالقياس والبرهان وهذا الرأي من سخياف الآراء ومن قبيح الأهواء .

فإن صفات الحق عين ذاته وكمالاته الفعلية التي هي مبادي أفعاله - كالقدرة والعلم والإرادة والرحمة والجود - كلها غير زائدة على ذاته ، فهو بنفسه قادر مريد خالق لما يشاء - كيف يشاء فاعل لما يريد - كيف يريد ، فكان خالقاً لم يزل ولا يزال فاعلاً للعالم ، كما يعلم في الآباد والأزال ، فالخلق قديم والمخلوق حادث والعلم قديم والمعلوم متجدد وكذا الإرادة والإفاضة مستمرة أزلية ، والمراد والمفاض حادث متجدد «ولن نجد لسنة الله تبديلاً» لعدم تغييره في ذاته وكمالات ذاته ولا محول لفيضه و «لا مبدل

لكلماته^١ و «لأنّ تبديل خلق الله ذلك الدين القيم^٢ فقوله إبداعه وأمره كلمته وتكوينه «ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره»^٣ وأمره دائم، ولا تشبّه عليك مقايضة هذا الكلام بكلام الأشعري من أن العلم قديم والتعلق حادث، لأنّ بين الكلامين بوناً بعيداً وبقاً شديداً والذي دعاهم إلى هذا الظن القبيح المستنكر ما توهموا أنّ العالم حادث حسبما اتفق عليه أهل الشرائع من اليهود والنصارى والمسلمين، تبعاً لإجماع الأنبياء ﷺ ولم يتبصروا بأن العالم بكله وجزئه وكلّيته وجزئيته حادث زمني وذلك لا ينافي كونه قائماً بالقسط والعدل والجود والكرم أزلاً وأبداً «وما كان عطاء ربك محظوراً»^٤.

تحقيق

اعلم أن حقائق الأشياء كلّها وصورها العلمية الأصلية، موجودة عند الله تعالى واجبة بوجوبه الذاتي، باقية ببقاء الله لا ببقاء أنفسها وهي واحدة من حيث الوجود بحيث لا كثرة في وجودها وإن كانت كثيرة من حيث معانيها وأعيانها التي هي صور أسماء الله وصفاته، كما قال سبحانه: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» وبهذا يندفع الشبهة الواردة في قوله ﷺ: «كان الله عالماً ولا معلوم» وإلى الصورة العلمية أشار بقوله: «وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين»^٥ وقوله تعالى: «وان كلّ لما جميع لدينا محضرون»^٦ «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور»^٧. واعلم أن الباري تعالى تام القدرة والقوة لا يلحقه عجز ولا قصور في ذاته ولا دثور

١- الانعام (٦) الآية ١١٥ .

٢- الروم (٣٠) الآية ٣٠ .

٣- الروم (٣٠) الآية ٢٥ .

٤- الاسراء (١٧) الآية ٢٠ .

٥- الانعام (٦) الآية ٥٩ .

٦- النمل (٢٧) الآية ٧٥ .

٧- يس (٣٦) الآية ٣٢ .

٨- الشورى (٤٢) الآية ٢٤ .

ولا فتور في فعله وفاعل بالاختيار لا بالطبع، تعالى الله عما يقوله الملحدون وهو قيوم الكل، مفيض الخير أزلاً وأبداً وناشر لواء القدرة بإظهار الممكنات وإيجاد المكونات وخلق الخلائق وتسخير الأمور وتدبيرها، فالكل منظوية مطموسة تحت سلطان نوره وسطوة كبريائه. «إلا إلى الله تصير الأمور»^١.

[في بيان أقسام الفاعل وتحقيق كيفية فاعليته للأشياء]

الفاعل على ستة أصناف: فاعل بالطبع وهو الذي يصدر عنه فعل بلا شعور منه وفاعل بالقسر وهو الذي يصدر عنه فعل بلا شعور ولا إرادة، والفرق بينهما أن في الأول فعله ملائم لطبعه وفي الثاني على خلاف مقتضى طبعه. وفاعل بالجبر وهو الذي يصدر عنه فعله بلا اختيار، بعد أن يكون من شأنه اختيار ذلك الفعل وعدمه، وهذه الثلاثة مشتركة في كونها غير مختارة في فعلها. وفاعل بالقصد وهو الذي يصدر عنه الفعل مسبوقاً بإرادته المسبوقة بعلمه، المتعلق بغرضه من ذلك الفعل ويكون نسبة أصل قدرته وقوته من دون انضمام الدواعي أو الصوارف إلى فعله وتركه في درجة واحدة. وفاعل بالعناية وهو الذي يتبع فعله علمه بوجه الخير فيه، بحسب نفس الأمر

١- والدليل على ما ذكره المصنف العظيم: أن فاعلية الحق الأول لوجوب وجوده وتامة ذاته وحقيقته، يستحيل أن يكون من أمر خارج عن ذاته، وكل ماله دخل في فاعليته يجب أن يكون عين ذاته وذاته تعالى تكون غاية الغايات وكل موجود لا تكون جهات الفاعلية عين ذاته ووجوده لا يكون مستقلاً في الإيجاد ولا يكون مختاراً تاماً وخلاصة الكلام أن الواجب لذاته لتامة ذاته وحقيقته، يجب أن يكون فياضاً ووهاباً دائماً، فيضه لا ينقطع ونوره لا يافئ ولو كان فعله متوقفاً على شرط أو صفة أو إرادة أو مصلحة أو أمر آخر (كما ذكره أهل الجدال) لكان الفاعل مجموع هذه الأمور وتنقل الكلام إليها فيجب انتهائها إلى واجب بالذات، والحاصل أن فيضه دائم قديم ولا مانع من أن يكون فيضه وما هو من صقه قديم والمفاض حادث، فهذه جادة سبيل الحق ومسلك أهل الإيقان من الحكماء الراسخين وأما المتكلفون كبعض المعتزلة من القائلين بإرادة متجددة في ذاته وبعض المتفلسفين كأبي البركات البغدادي وبعض الآخر منهما القائلون بإرادة قديمة زائدة على ذاته (وهؤلاء من كثرة الجهل، جعلوا لعدم الصريح قبل وجود العلم تقدراً امتداً من دون أن يكون له بداية، بل أثبتوا للمهيمن القدوس خواص الزمانيات من التقدير والتكتم والأوقات والحدود والجهات) ففي كل واد يهيمن وفي كل تيه يتيهون.

الفن الأول: في الإشارة إلى معرفة المبدأ... / ١٠١

ويكون علمه بوجه الخير في الفعل كافياً لصدوره عنه، من غير قصد زائد على العلم. وفاعل بالرضا وهو الذي يكون علمه بذاته الذي هو عين ذاته سبباً لوجود الأشياء ونفس معلومية الأشياء له، نفس وجودها عنه بلا اختلاف، وإضافة عالميته بالأشياء هي بعينها إضافة فاعليته لها بلا تفاوت وتعدد. وهذه الثلاثة الأخيرة مشتركة في كونها تفعل بالاختيار.

ولا يخفى أن اتصافه تعالى بالفاعلية بالوجه الثلاثة الأول غير جائز وذاته أرفع أيضاً من أن يكون فاعلاً بالمعنى الرابع لاستلزامه - مع قطع النظر عن الاضطرار - التكثير المستلزم للتجسيم؛ فهو فاعل إما بالعناية أو بالرضا، لكن الحق أنه فاعل بالأول منهما؛ لأنه تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها بعلم هو عين ذاته فيكون علمه بالأشياء الذي هو عين ذاته منشأ لوجودها فيكون فاعلاً بالعناية، ولا تصغ إلى قول الطباعية والدهرية - خذ لهم الله - من أن الواجب فاعل بالطبع وإلى قول جمهور الكلامين من أنه فاعل بالقصد، وقول الشيخ الرئيس ومتابعيه من أن فاعليته للأشياء الخارجية بالعناية وللصورة العلمية الحاصلة في ذاته بالرضا وكن موقناً فيما سردنا عليك من تحقيق المقام وارفع عن بصيرتك غشاوة الجهل وحجب الظلام وكن من الذين هدى الله فيبهدهم اقتده. «ذلك هدى الله يهدي به من يشاء»^١.

توضيح

إن أردت تحقيق كلماته فاعلم أن بين الباري تعالى وبين العالم وسائط نورية^٢

١- الزمر (٣٩) الآية ٢٣.

٢- واعلم أيها السالك أن هذه الأنوار العقلية والوسائط النورية والأشعة الربانية، عند جمهور الفلاسفة يسمى بالعقول الفعالة وعند المشاء بالصور العلمية وعند الافلاطونيين بالمثل النورية وعند الصوفية بالاضواء القيومية والأسماء الإلهية، فهم المراحل الإلهية والحجب النورية والسرقات القدسية باقية ببقاء الله، موجودة بوجوده. فافهم ما سردنا عليك ولا تكن جاحداً لما يقرع سمعك ولا تسمع ساكنوا ملكوتك. منه رحمه الله.

وأَسباب أفعاله، هي فوق الخلق ودون الخالق وهم الحجب^١ الإلهية والسرايق النورية والاضواء القيومية، كاضواء هذه الشمس المحسوسة؛ كأنها برزخ بين الذات النيرة وبين الأشياء المستنيرة وتلك الوسائط قد يعبر عنها بكلمات الله^٢ وبكلمات التامات، التي لا يجاوزهن برُّ ولا فاجر من شرِّ كل شيطان وهي من عالم الأمر وهي خير كله لا شرَّ فيها ولذلك وقع الاستعاذة من الشرور بكلمات الله وكلُّ ما في عالم الخلق مملوء بالشرور والنقائص والآفات وأشار بتوسط الكلمات للإفاضة بقوله «لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً»^٣.

١- اعلم أن قاعدة «امكان الاشرف» يقتضي أن يكون أول الصوادر عن الحق الأول، موجوداً تاماً أبدياً وعقلاً مجرداً غير معروض للتجدد والزوال ويجب أن يكون بين العقول المجردة والواجب وكذا بين كل عقل وتاليه اتصالاً معنوياً واتحاداً وجودياً (اتحاد الحقيقة والرقية) وإن كانت للعقول جهات متكثرة عقلية غير متناهية ولو لم يكن بين المراتب اتحاداً معنوياً، يلزم (بناءً على قاعدة إمكان الاشرف) وجود أنوار غير متناهية بين كل مرتبة وتاليها ولا يمكن التخلص عن الإشكال، إلا بأن يقال: جميع سلسلة العقول موجودة بوجود واحد وحيّة بحياة واحدة، بل إن سئلت الحق أن العقول طرأ من مراتب وجوده تعالى، لأنه رفيع الدرجات وله شؤونات وسرايق نورية وحجب إلهية وهذه الحجب النورية، أضواء لوجوده ورفائق لحقيقته «الحقيقة كشف سباحات الجلال من غير إشارة» وكثرة العقول لا يقدح في وحدتها واتحادها مع الحق القيوم لها، لأن كثرة الجهات والاعتبارات وتعدد الحثيات غير قاذحة في وحدة أصل حقيقة الوجود وجميع العقول داخلية في سلك وجود واحد بل إن نظرت بعين الجمع بين الوحدة والكثرة تجد أن التجسم والتقدير والظهور بصورة الاكوان، بل الأكل والشارب لاتنافي وحدة أصل الحقيقة الموجودة بالوحدة الإطلاقيه وللوجود ظهور وخفاء وغيب وشهادة وسرّو علن، ظهوره يرجع إلى بطونه وشهوته إلى غيبه وعلنه إلى سرّه وانظر إلى نفسك مع وحدة ذاتها واحدية وجودها، لها درجات من الوجود والفعلية ولوجودك مقام تنزيه وتشبيه تجرده لا ينافي تجسّمه وتعقله غير قاذح في تخيله وهكذا فعل سائر القوى والسريّة أن الوجود الجمعي الكامل جامع بين التجرد والتجسم، فطالع نفسك ثم ارجع إلى ربك واجمع بين التنزيه والتشبيه ونعم ما قيل:

وان قلت بالتنزيه كنت مقيداً وان قلت بالتشبيه كنت محدداً
وان قلت بالأمرين كنت مسدداً وكنت اماماً في المعارف سيداً
واياك والتشبيه ان كنت ثانياً واياك والتنزيه ان كنت مفرداً

٢- وبهذا سمى الأئمة بكلمات الله، لأنهم وسائط دوجهتين بين الباري عزّاسمه وبين المخلوقات فتدبر .
منه رحمه الله .

فالكلمات إشارة^١ إلى ذوات نورية بها يصل فيض الوجود إلى الأجسام والجسمانيات والبحر إشارة إلى هيولى الأجسام، التي شأنها القبول والتجدد وشأن الكلمات الإفاضة بعد الإفاضة، ولا شك أن الوسائط هويات وجودية بسيطة وذوات مجردة عن المواد الجسمية وكل مجرد أمر روحاني وجوده عين العلم والإدراك، فهي لا محالة عقول قدسية وأرواح عالية متصلة بالحق الأول، اتصال الشعاع بالشمس ولهذا أضيفت إليه تعالى بقوله «ومت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته»^٢ وقد يعبر عن هذه الكلمات بعالم الأمر وقد يعبر عنها بقول الله، كما قال الله: «إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»^٣ وقال تعالى: «لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون»^٤ وبالجملية كلمات الله أمر موجود روحاني، مؤيد للأنبياء ﷺ بالوحي «كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا»^٥ وهذا هو الروح العلوي، الذي قيل إنه لم يقع تحت ظل (قول - خ. ل) «كن»، لأنه نفس كلمة «كن» وهو بعينه نفس الأمر وكلمة الله هي العليا ومن حيث هي يكون بها حياة الموجودات يقال لها روح الله «قل الروح من امر ربي»^٦، «وما امرنا إلا واحدة»^{٧. ٨}

١- لا يقال تفسير الآية بهذا المعنى منافر لما ورد عن حاملي العلم والحكمة أرباب العصم ﷺ من أن المراد بكلمات الرب فضائل أمير المؤمنين ﷺ والبحر على معناه اللغوي وهو بحر جميع العالم، لأن تفسيرهم ﷺ من البطون وللآية الكريمة بطون آخر، فتحقق وكن متاملاً في الحق، لأن التدبر في الحق أحق. منه رحمه الله.

٢- الانعام (٦) الآية ١١٥.

٣- النحل (١٦) الآية ٤٠.

٤- يس (٣٦) الآية ٧.

٥- الشورى (٤٢) الآية ٥٢.

٦- الاسراء (١٧) الآية ٨٥.

٧- القمر (٥٤) الآية ٥٠.

٨- من القواعد المقررة عند أهل التحقيق من العلماء الراسخين، وجوب السخية بين كل علة مفيضة لوجود المعلول ومعلولها المفاض منها والعلة إذا كانت واجبة بذاتها وغير مركبة من الأجزاء وكانت وجوداً صرفاً بسيطاً في غاية البساطة، لا تكون علة لشيئين في رتبة واحدة؛ لأن لكل معلول خصوصية في ذات علة

إشراق عقلي

لاشك أن إرادته أزلية وتخصيص بعض الأشياء بتعلق الإرادة في أوقاتها المعينة الجزئية عند حضور استعداداتها، إنما هو لأجل قصور قابلياتها عن القبول الأتم؛ فإذا كانت الإرادة دائمة فالقول واحد والخطاب دائم «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»^١ وأن المقول له والمخاطب حادث متجدد، فكلامه الذي هو أمره متعلق بجميع المكونات، أمر التكوين وهو خطاب بكلمة «كن» وهي كلمة وجودية فسمعت أعيان المكونات خطابه ودخلت^٢ في باب الوجود، «وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر»^٣ فمن كان له سمع حقيقي، يسمع كلام الحق وخطابه وقد ورد عن النبي ﷺ «أن في امتي محدثين مكلمين وليس هؤلاء المكلمين أنبياء تشريع ورسالة»، لأن الرسالة قد انقطعت وأبوابها قد غلقت بعد نبينا ﷺ وأيضاً ورد عنه ﷺ: «إن لله عبداً ليسوا بأنبياء يغبطهم

→

الفياضة بها يصدر عن العلة والالزم الترجيح بلامرجح لتساوي وجود جميع الأشياء بالنسبة إليها ولازمه جواز صدور كل شيء عن كل شيء ويجب أن تكون تلك الخصوصية، مخصوصة بهما (أي العلة والمعلول) وقد يعبر عن هذه الخصوصية بالوجوب السابق على وجود المعلول وهذه الخصوصية هي التي بها يتعين وجود المعلول وبها ينسد أنحاء عدمه ويخرج عن حد الاستواء. والحاصل أن العلة الفياضة لكل شيء، يجب أن يكون في ذاتها جهة اقتضاء تام بها يتعين وجود المعلول، ووجود المعلول في مرتبة وجود علته أقوى وأتم من وجوده الخاص، وقد ذكرنا أن علم جاعله بنفسه عبارة عن علمه به على نحو أشرف وإذا عرفت ما تلونا عليك، نقول: لو صدر عن الحق الأول أكثر من معلول واحد يجب أن يكون لكل واحد من المعلولين خصوصية متميزة عن الآخر في ذات مبدئه ويلزم من هذا عدم كون المبدأ واحداً حقيقياً بسيطاً، بل موجوداً متكثرًا وإن فرض وحدة العلة وبساطتها ومع بساطتها صدرت عنه المتكثرات، يلزم أن يكون الواحد عين الكثير فيجب أن يكون أول الصوادر موجوداً تاماً جامعاً لجميع النشآت وأن يكون بوحده كل الأشياء وهو عند المحققين من الحكماء عبارة عن العقل الأول وعند أهل العرفان الوجود المنبسط، والمصنف جمع بين هذين القولين ويقول: إن الفرق بين العقل الأول والوجود المنبسط إنما تكون بالإجمال والتفصيل والحق معه - أعلى الله قدره - .

١- يس (٣٦) الآية ٧٢.

٢- وهي أول كلام شق أسماع الممكنات وكلمة وجودية وقعت المقارنة بينها وبين الأعيان.

٣- القمر (٥٤) الآية ٥٠.

الفن الأول: في الإشارة إلى معرفة المبدأ ... / ١٠٥

النبيون»، أي ليسوا بأنبياء تشريع هم في الشريعة تابعون لمحمد ﷺ .
واعلم أن الكلم الحقيقي ليس من شرطه أن يكون بكسوة الألفاظ والحروف ولا تمثل
المتكلم بصورة شخصية، بل إلقاء كلام معنوي إلى قلب مستمع من الله «ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ان شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون، ولو
علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون»^١.

هداية

اعلم أن كلامه تعالى ليس كما زعمته الأشاعرة من أنه معانٍ نفسية (صفة نفسية
قائمة بذاته - خ . ل) قائمة بذاته تعالى وسموها الكلام النفسي، ولا كما ذهبت إليه
المعتزلة من أنه خلق أصوات وحروف، دالة على المعاني في جسم من الأجسام وإلا
لكان كل كلام، كلام الله؛ بل حقيقة التكلم إنشاء كلمات تامات^٢ وإنزال آيات
محكمات وآخر متشابهات في كسوة الألفاظ والعبارات، والكلام قرآن وهو العقل
البسيط والعلم الاجمالي وفرقان وهو المعقولات التفصيلية وهما جميعاً غير الكتاب،
لأنهما من عالم الأمر وعالم القضاء وحاملها اللوح المحفوظ والقلم والكتاب من عالم
الخلق والتقدير ومظهره عالم القدر الذهني والقدر العيني والأولان غير قابلين
لنسخ والتبديل، لأنهما فوق الزمان بخلاف الثالث؛ لأنه موجود زمني ومحلّه
لوح قدرى نفساني هو لوح المحو والإثبات والكتاب، يدركه كل أحد والقرآن «لا يمسه
إلا المطهرون»^٣.

واعلم أن الكلام المنزل من عند رب العالمين له منازل: الأول القلم الرباني،
والثاني اللوح المحفوظ، والثالث لوح القدر والسماء الدنيا، والرابع لسان جبرئيل عليه السلام

١- الانفال (٨) الآيات ٢١-٢٣.

٢- يقول - لمن اراد كونه -: «كن فيكون»، لا بصوت يقرع ولا ببدء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه وإنشاء
(نقلته من نهج البلاغة).

٣- الواقعة (٥٦) الآية ٧٩.

تلقيه الرسول الأمين ﷺ في جميع المقامات، تارة أخذه من الله بلا واسطة ملك، كما قال تعالى: «ثم دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فاوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى»^١، وتارة بواسطة جبرئيل ﷺ «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى»، وتارة في مقام غير ذلك المقام الشامخ الإلهي «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى» ومن هذا المقام ما كان في أول البعثة في جبل حرا أو في جبل فاران، فاتاه جبرئيل ﷺ بصورة محسوسة وسمع منه «اقرأ باسم ربك

١- النجم (٥٣) الآيات ١ - ١١ - ترتيب الآيات: «والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذمرة فاستوى، وهو بالافق الأعلى، ثم دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى الآية». قوله «ثم دنى»، أي رسول الله ﷺ إلى الله تعالى ترقى عن مرتبة الجبرئيل واتصل بالرفيق الأعلى ولذا قال جبرئيل: «لودنوت أنملة لا احترقت».

گفت جبرئیل پیراندر یم گفت روروم حریف تو نیم
احمدار بگشاید آن پر جلیل تا ابد مدهوش گردد جبرئیل

قوله «فتدلى»، أي مال رسول الله إلى الجهة الانسية والخلق وهذا مقام الصحو بعد المحو والتمكين بعد التلوين والفوز بالحسين والرجوع إلى الخلق بالوجود الحقاني.

قوله «فكان قاب قوسين»، أي كان ﷺ مقدار دائرة الوجود الشامل لكل المتقسمة بخط موهوم، القاسم للدائرة إلى نصفين؛ فباختبار البداية والتداني يكون الخلق هو القوس الأول الحاجب للهوية في أعيان المخلوقات وصورها والحق هو النصف الأخير، الذي يقرب منه شيئاً فشيئاً هكذا ذكره بعض أهل التحقيق.

قوله «أو أدنى» إشارة إلى ارتفاع الاثنينية والفناء في التوحيد والبقاء به وإلى هذا أشار ابن فارص:

وفي الصحو بعد المحو لم اك غيره وذاتى بذاتى إذ تجملت تجملت
وكيف باسم الحق ظل تحققتى تكون أراجيف الظنون مخيفتى

فاوحى إلى عبده من الأسرار الإلهية في مقام الأحذية بلا واسطة جبرئيل ﷺ وإلى هذا المقام أشار ﷺ «لى مع الله وقت لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

فرشته گر چه دارد قرب درگاه ننگجد در مقسام لى مع الله

وما كذب الفؤاد ما رأى في مقام عين الجمع والأحذية والتعين الأول من الحقائق الإلهية والفؤاد باصطلاح أهل التوحيد، هو القلب المترقي إلى مقام الروح في الشهود المشاهد للذات مع جميع الصفات الموجودة بالصفات الحقاني وهذا الجمع هو جمع الوجود، لاجمع الوحدة الذي لانفوذ فيه ولا عبد لفناء الكل فيها المسمى عندهم عين جمع الذات «تاويلات العارف الكامل الكاشي».

القرن الأول: في الإشارة إلى معرفة المبدأ... / ١٠٧

الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرء وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم^١ كما سمع موسى ﷺ في طور سينا «إذ رأى ناراً... فلما أتاها نودي يا موسى أتني انا ربك فاخضع نعليك... فاستمع لما يوحى إني انا الله لا إله إلا انا فاعبدني»^٢ ومن منازل كلام الله ما يدون في القراطيس يبدو لكل أحد ويتكلم به كل متكلم ويسمعه كل مستمع «وانه لتنزيل رب العالمين... وإنه لفي زبر الأولين»^٣.

١- المعلق (٩٦) الآيات ١-٥.

٢- طه (٢٠) الآيات ١٠-١٤.

٣- الشعراء (٢٦) الآيات ١٩٢-١٩٦.

في تحقيق حدوث العالم وكون وجوده ووجود كل
مافيه مسبقاً بالعدم الزماني [وبيان الحركة الجوهرية
وتحقيق دثور العالم وزواله]

اعلم أن الكتب الإلهية والآيات الكلامية قائلة ناطقة بأن العالم بأسره حادث زماني، لأن الغرض من خلق العالم ليس نفسه؛ بل ماهو أشرف منه فإن الغرض من خلق السماوات والأرض وما فيهما، تبليغ الأشياء إلى غاياتها الذاتية وخيراتها الأصلية وإزالة شرورها ونقائصها عنها، ليكون العالم كله خيراً محضاً لأشرف فيه، ونوراً محضاً لاظلمة فيه وتاماً لانقص فيه (معه - خ. ل) ويكون الدين كله لله. فالغرض من أصل الإبداع، وجود الباري وفيضه أن يصل كل ناقص إلى كماله وتبليغ المادة إلى صورتها والصورة إلى معناها ونفسها والنفس إلى درجة العقل ومقام الروح وهناك الراحة والطمأنينة والسعادة القصوى والخير الأعلى والمقصد الأقصى واللباب الأصفى في بناء الأرض والسماوات وجرى سفينة الهيولى في طوفان الدنيا، «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»^١ ولأجل هذا جيء الأنبياء والرسل والكتاب والدعاة التي هي

كالمعلم لهذه السفينة، حتى تقطع السفينة طريق الشروينقطع الشرو يصل الجالسون فيها إلى مقارهم ويزول الدنيا ويقوم القيامة وينمحق الشر وأهله؛ فاحفظ يا أخي هذا العلم المخزون والسر المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون.

برهان عقلي

اعلم أن الحادث بعد مالم يكن لا بد له من مرجح، لاستحالة حدوث شيء لاعتنا سبب، وذلك المرجح لا بد أن يكون حادثاً كله أو شيء من تمامه وإلا لدام الترجيح فدام الأثر، فلم يكن حادثاً وقد فرض حادثاً هذا خلف. ثم يعود الكلام إلى مرجح فإما أن يتسلسل علل حادثه مجتمعة لا إلى نهاية وهو باطل، لما علمت أن الباري جل اسمه مبدأ سلسلة الممكنات كلها وهو أزلي غير حادث أو يكون أسباباً متعاقبة كل منها سبب للاحقه، فيجب أن ينتهي السلسلة إلى سبب هو علة العلل كلها، فإذا قد ثبت أن العالم الجسماني حادث بجميع ما فيه.

واعلم أن مسألة 'حدوث العالم مع إثبات الصانع وتوحيده وتوحيد صفاته،

١-واعلم أن هذه المسألة أيضاً من المسائل التي لم يتيسر تحقيقها وإدراك كنهها لأحد من الفلاسفة والعرفاء من السابقين واللاحقين إلا لمصنف هذا الكتاب - أعلى الله مقامه - وهو ممن تفرد بين الحكماء في الجمع بين الشريعة والحكمة، وقد أثبت أن العالم بشارش وجوده، متجدد الوجود والهوية وأن حقيقته عين التغيير والاستحالة وكل موجود زماني مسبق بالعدم الصريح الزماني بحسب ذاته وجوهره، وكل هوية مادية، كائنة فاسدة لبقاء لها آئين ولا شأن لها إلا التجدد، ثباتها عين التجدد وكل وجود وتعين يتبدل وجوده وتعينه في كل آن. إن الله تعالى يتجلى في كل موجود بأسمائه الجلالية والجمالية، وكل تجل يقتضي خلقاً حادثاً جديداً وكل يوم هو في شأن. ولما كان هذا التجلي ثابتاً مستمراً، يزعم الغافل أن الأشياء كلها ثابتة «بل هم في لبس من خلق جديد» والحق لا يمنع عن الفيض والإيجاد، بل فطرته الإفاضة وسجيته الكرم ولولم يكن الإمداد من الحق، لانعدمت الكائنات كلها ويدها مبسوطان يعطي خلقاً ويذهب بخلق آخر.

واعلم أن إثبات حدوث العالم بطريق أهل البحث على نحو الاختصار هو أن التغيير لا يختص بالأعراض من الكم والكيف والوضع والأين، لأن مبدأ الحركة والفاعل المباشر للتغيير لا يجوز أن يكون أمراً ثابت الذات، غير متغير الوجود وعلة التغيير يجب أن تكون أمراً متغيراً سبباً. ولا يخفى أن الشيخ وأتباعه - قدس الله أرواحهم - أذعنوا بأن علة التغيير يجب أن يكون أمراً متغيراً وقالوا إن الطبيعة من جهة الثبات، لاتكون علة

إحدى المسائل الشريفة التي منَّ الله على محققيه وفضَّله على كثير من خلقه تفضيلاً
«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» .^١

تكملة

اعلم أن في الكتاب الإلهي آيات كثيرة دالة على دثور العالم وخرابه واضمحلال وجوده مع بقاء صورها العلمية عند الله القديم ، حسبما رآه كبراء الحكماء وأساطينهم الأقدمين ما خلا أصحاب أرسطو ومن لحقهم . فمن الآيات قوله تعالى «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه»^٢ ومنها قوله : «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض»^٣ وقوله «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء»^٤ وقوله «ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد»^٥ وقوله : «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات»^٦ فكل هذه الآيات تدل على أن كل ما في السموات والأرض يفني ويزول بالنفخ الاسرافيلي في الصور ، ومن الآيات الدالة

→

للحركة ؛ بل لابد من لحوق التغير لها من الخارج كتجدد مراتب القرب والبعد من الغاية المطلوبة في الحركات الطبيعية وتجدد احوال آخر في الحركات القسرية ، كتجدد الإرادات المنبثقة عن النفس حسب تجدد الاحوال الباعثة للحركة ، وان في كل حركة سلسلتان : احديهما سلسلة أصل الحركة ، والأخرى سلسلة منتظمة من الاحوال المتواردة ، فالثابت كالطبيعة مع كل شطر من احديهما علة شرط من الأخرى وبالعكس لا على سبيل الدور المستحيل ، ولكن هذا الجواب غير مرضي عند المتدرب في الحكمة وان تلقاه جمع بالقبول ، لأن الكلام في العلة الموجبة للحركة والتغير لا في العلة المعدة وجميع التغيرات العرضية والاعدادية لابد أن ينبعث عن الطبيعة الجوهرية ، لأن فاعل جميع الحركات هي الطبيعة الجسمانية والطبيعة الثابتة لاتصير علة المتجدد والتغير ، وإن شئت تفصيل هذا الكلام فليكن بالمراجعة إلى الأسفار وسائر كتب المصنف .

١-الأعراف (٧) الآية ٤٣ .

٢-الزمر (٣٩) الآية ٦٧ .

٣-الزمر (٣٩) الآية ٦٨ .

٤-النمل (٢٧) الآية ٨٨ .

٥-ابراهيم (١٤) الآية ١٩ .

٦-ابراهيم (١٤) الآية ٤٨ .

على حدوث العالم قوله تعالى «هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام^١ ثم استوى على العرش»^٢ فالله سبحانه أخبر عن خلق المكونات في هذه المدة، وذلك لأن الحادث التدريجي الوجود، زمانٌ حدوثه بعينه زمانُ ثبوته واستمراره، إذ لبقاء له إلا الحدوث التجديدي؛ فعلم بالبرهان والقرآن جميعاً أن هذا العالم الجسماني بأكمله حادث مسبق بالعدم الزماني ولا بقاء للجسم الطبيعي، لأنه في ذاته لا يخلو عن الحدوث، وما لا يخلو في ذاته عن الحدوث، فهو حادث الهوية، تدريجي الذات، متغير الكون؛ لكن الحقائق النوعية ثابتة الوجود في علم الله تعالى، فعلمه تعالى بالأشياء ثابت غير متغير والمعلومات متغيرة متغيرة، كما أن قدرته أزلية والمقدورات حادثة «ما عندكم ينفد وما عند الله باق»^٣.

تحقيق عرشي

اعلم أن هذه الأيام التي وقع خلقة المكونات فيها، ليست من أيام الدنيا التي كل يوم منها في دورة الشمس بحركة الفلك الأقصى، بل من أيام الربوبية التي كل يوم منها موازٍ لآلف سنة مما تعدون؛ «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون»^٤. وإن يوماً عند ربك كآلف سنة^٥ فهذه الأيام الستة ستة آلاف سنة من زمان آدم ﷺ مبدأ خلق الكائنات بحسب ما يعده أهل التواريخ ويضبطه المنجمون إلى بعثة الرسول الخاتم ﷺ فأخبر سبحانه عن خلق المكونات في هذه المدة باعتبار تكميلها، لأن تكميل المكونات بوجوده ﷺ ورسالته.

١- وقيل المراد من ستة أيام هي عدد لفظ كن بحساب الجمل، فإن عددها مع عدد الحرفين المتلفظين بهما اثنان وسبعون وهي عدد ساعات ستة أيام فتأمل . منه رحمة الله .

٢- الحديد (٥٧) الآية ٤.

٣- النحل (١٦) الآية ٩٦.

٤- السجدة (٣٢) الآية ٥.

٥- الحج (٢٢) الآية ٤٧.

اعلم أن أيام الإلهية غير أيام الربوبية، لأن اليوم الإلهي هي يوم ذي المعارج مقداره خمسين ألف سنة... ليس له دافع من الله ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فاصبر صبراً جميلاً.^١

استبصار عقلي

اعلم أن سبب وقوع النفس الإنسانية في هذا العالم^٢ وإبتلائه بهذه البليات الدنيوية التي أحاطت بهم فيها، هو الخطيئة^٣ التي اكتسبها لنقص إمكان (إمكانى-خ.ل) في جوهره وقصور طبيععي في ذاته، من أبيهم آدم عليه السلام لما ذاق الشجرة وبدت

١- المعارج (٧٠) الآيات ٢-٥.

٢- وبهذا يحمل قول استاد الحكماء، المعلم الأول في أثولوجيا من أن سبب وقوع النفوس الإنسانية بهذا العالم أن النفوس كانت مرتاشة كالطير، فلما سقطت ريشها بسبب جنابة نفس الأب سقطت كالطير من الهواء إلى عالم الدنيا، فإذا ارتاشت صورت إلى عالمه الأصلي.

٣- واعلم أن للنفوس قبل هذا الوجود الجسماني المادي، وجوداً في عالم العقل لا على نحو التكثر والتعدد، لأن التعدد والتكثر من خواص المادة الجسمانية، والنفوس في هذه النشأة باعتبار تعلقها بالبدن وحدوثها في المادة الجسمانية متعددة متكررة، ولكل نشأة خواص ولوازم مخصوصة بها. واعلم أن مسألة حكاية هبوط النفس من العالم القدس وموطن أبيها المقدس مما كثرت ذكرها في الآيات القرآنية والكتب السماوية ومسفورات الأقدمين من الحكماء وسبب هبوطها ونزولها إنما هو سيئة وقعت لها وصارت سبب نزولها وهبوطها ولا يمكن إدراك هذا التحقيق إلا لمن كان له قدم راسخ في المعارف الحكمية وعرف أن لكل شيء درجات من الوجود، وعلم أن للإنسان وجوداً عقلياً ووجوداً مثالياً ووجوداً مادياً وأذعن بوجوب رجوع النهايات إلى البدايات «انالله وانا إليه راجعون»:

راجع آن باشد که باز آید به شهر سوى وحدت آید از تفريق دهر
وقد قرر في محله أن سلوك الأشياء في استكمالها وبلوغها إلى غاياتها الصورية ورجوعها إلى بداياتها ومباديها الفاعلية هي غاية إيجاد الحق وأن لكل شيء غاية يصل إليها:

هر کسی کودور ماند از اصل خویش باز جوید روزگار وصل خویش
واعلم أن هذه السیئة التي صدرت من ابنا المقدس، خطیئة تكوينیة وهي عبارة عن الجهات والحيثیات الموجودة في العقل المجرد والنفوس قبل الأبدان، موجودة بجهات وحيثیات عقلیة متقدمة على أطوارها المادية ولكل عقل قوة وجود النفوس المتفرقة في الأبدان ونعم ما قيل:

پیش از بنای مدرسه و دیر و سومات ما بوده ایم در اطوار کائنات

سوءاته^١ وهي الشجرة المنهية عن أكلها، ثم لما تمت حيلة إبليس على آدم ﷺ ونال بُغْيَتَهُ بإيصال الأذية إليه وبلغ أُمْنِيَّتَهُ بإيقاع الوسوسة عليه، سأل ربه الإنظار إلى يوم يبعثون، فلماً أُجيب إلى يوم الوقت المعلوم، اتخذ لنفسه جنة غرس فيها أشجاراً وأجري فيها أنهاراً مشاكلاً بالجنة التي أسكنها آدم ﷺ وقاس عليها وهندس على مثالها ليجعل مسكن امامه وذريته واولاده وأتباعه وأشياعه، وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمئان ماءً حتى إذا جاءته لم يجده شيئاً، وذلك أنه من الجنّ وقياسه كالقياس المغالطي السفسطي، وغرضه من ذلك الهندسة والقياس إبعاد الخلائق عن سنن الحق والصراط المستقيم والطريق القويم. فاجتهد أيّها السالك إلى الله تعالى والطائر بجناحي العلم والعمل لعلك توفق للخروج من جنة إبليس، فترجع إلى جنة أبيك آدم ﷺ وتتخلص من أدناس أجناس ذرية إبليس وهم المعتكفون في زوايا الأمور الدنيوية من الكفرة المتمردين والضلال المنافقين- أعاذنا الله من اتباع إبليس وجنوده ورزقنا الاجتناب من محاسن أمور الدنيا وزخارفها ومثالاتها الهولانية- فإن من ركن إليها وغرق في بحار شهواتها وتناول محرّماتها وانهمك في لذاتها فقد طالت بليته وعظمت رزيتة وحيل بينه وبين جنة أبيه آدم ﷺ.

١- الأعراف (٧) الآية ٢٢ والآية الشريفة : «فلما ذاقا الشجرة بدت لهما ...» .

في كيفية البدء والإعادة والإشارة إلى سلسلتي الهبوط والصعود

اعلم أن الله تعالى مدبر في الخلق بإخراجهم عن ممكن الإمكان إلى عالم الأرواح، ثم أهبطهم من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح، عابرين على الملكوت الأعلى والأسفل من النفوس السماوية والأرضية مارين على الأفلاك والنجم والأثير والهواء والماء والأرض إلى أن يبلغوا إلى أسفل السافلين والهاوية المظلمة أعنى الهولى والبحر المظلم، فالقرية الظالم أهلها وهي نهاية تدبير الأمر على ما قال: «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض»^١، ثم يقع الإعادة في باب الإنسانية بجذبات العناية الحاضرة الإلهية من حيث وقع النزول ماراً على المنازل والمقامات، حتى يصل إلى الإنسان الكامل الذي هو روح العالم ومظهر اسم الله وخليفته وبهذا المعنى يشير ما قيل:

ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
«ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»^٢ والله خالق الظلمات والنور.

١- السجدة (٣٢) الآية ٥.

٢- النور (٢٤) الآية ٤٠.

كشف وإضاءة

اعلم أن الحقيقة المحمدية ﷺ 'مظهر اسم الله الأعظم، وقد تقرر في العلوم الإلهية أن الحق تعالى برهان على كل شيء، كما قال: «ولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد»^٢

١- عند المحقق البصير أن اسم الله الأعظم وتجلياته وظهوراته، ينشأ من الأحدية والأحادية الذاتية بعينها مرتبة الإنسان الكامل الختمي وأوصيائه، لأن الولاية الكلية المحمدية ﷺ تكون باطن الالهية والدليل على ذلك أنه ﷺ مظهر للتجلي الذاتي وليس هذا المنصب لغيره من الأنبياء وأن سائر الأنبياء مظاهر للتجليات الاسمائية والصفاتية ولذا قال «آدم ومن دونه تحت لوائى»، وعنهم: «نحن الآخرون السابقون»، واعلم أنه ﷺ بعد ما وصل إلى مرتبة الواحدية ومظهرية الأسماء الالهية والبرزخية الثانية، بقيت له ﷺ مرتبة أخرى من المظهرية وهو مقام أودنى وعرش الهوية والبرزخية الأولى وأن توجه الحبي الذي أشار إليه بقوله: «فاحببت ان أعرف» الذي هو أصل النكاح الساري في الأشياء والحافظ لجميع الكثرات، صار سبباً لاجتماع الأسماء الذاتية و مفاتيح الغيب الأولية الاسمائية في الأحدية والأسماء الكلية الأصلية في الواحدية ومن تحقق الاجتماع والامتزاج والتناكح بين الأسماء الذاتية في الأحدية والأسماء الكلية في الواحدية، تولد قلب تقي نقي احدي احمدي جمعي جامع بين الكمالات الذاتية والاسمائية وهو صورة تعين الاول ومظهر الأحدية ويعبر عن هذا المقام بمقام جمع الجمع ولانهاية لحسنات صاحب هذا المقام وختم بوجوده جميع مدارج الولاية.

إن هذا المقام مختص به ﷺ وأوصيائه ﷺ ومنهم يتولد جميع المظاهر الكونية، وقال على ﷺ: «نزلونا عن الربوبية ثم قولوا في حقنا ما شئتم»، وقال ﷺ: «نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية»، وعن أبي محمد العسكري - عليه وعلى ابنه أفضل صلوات رب العباد - : «قد سعد ناذري الحقايق بأقدام النبوة والولاية إلى أن قال فالكليم اليس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء؛ روح القدس في جنان الصاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة» وهذا سر الولاية المطلقة المحمدية.

بهشت دیده آمد روی ایشان	دماغ آسوده دارد بوی ایشان
شود مشکین نسیم صبحگاهی	گر آمیزد به خاک کوی ایشان
چو خضرت گرسر آب حیات است	بخور یک شربت آب از جوی ایشان
به گفتاری از ایشان خوشدل من	خوشا ایشان و گفتگوی ایشان

هم العروة الوثقى لمعتصم بها	مناقبهم جانت بوحي وانزال
مناب في الشورى وسورة هل أتى	وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي

أيضاً أن المبدأ عين الغاية والبداية عين النهاية وأن الله فاعل كل شيء، وأن الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه غاية المخلوقات «لولاك لما خلقت الأفلاك»، فإذا يجب أن يكون هو البرهان على سائر الأشياء، كما قال: «قد جائكم برهان من ربكم»^١ وقال «وجئنا بك على هؤلاء شهيداً»^٢، واعلم أن الله تعالى قد جعل نفس النبي ﷺ برهاناً لا كمثل الأنبياء التي كان برهانهم في أشياء غير أنفسهم، كبرهان موسى ﷺ في عصاه وفي يده وفي الحجر الذي «انجست منه اثنتي عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم»^٣ وإذا كان نفس النبي ﷺ برهاناً بالكلية، فيكون كل عضو من أعضائه الظاهرة والباطنة برهاناً؛ فبرهان قوة علمه ما قال على ﷺ: «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فاستبنت من كل باب ألف باب» وإذا كان حال الوصي هكذا فكيف حال النبي ﷺ المعلم له. وأما برهان عقله العملي فقوله تعالى: «وانك لعلى خلق عظيم»^٤ وقس عليهما سائر براهين

١- النساء (٤) الآية ١٧٤.

٢- النساء (٤) الآية ٤١، والسرف فيه أن له مرتبة «أو أدنى» وجمع الجمع وهو متجل في جميع المظاهر ويكون وجود سائر الأنبياء بمنزلة فروعه وأغصانه وله مقام الختمية المطلقة وليس وراء هذه المرتبة إلا الغيب المطلق ولصاحبها من الفتوح، الفتح المطلق ومن البطون، البطن السابع ومن المقام، مقام «أو أدنى» ومن اللطائف، اللطيفة السابعة الانسانية وهو ﷺ قد ظهر وتجلّى في مظاهر جميع الأنبياء والاولياء، من لدن آدم إلى زماننا هذا وإنّ لأوصيائه ﷺ أيضاً من الفتوح، الفتح المطلق ولكن هذا المقام لهم ورائه، فلهم أيضاً ظهور وسريان في جميع الأشياء. وللحقيقة الأحمدية والولاية الكلية المحمدية، ظهورات وتجليات تارة تظهر بصورة النبوة المطلقة الجامعة بين التشريع والتعريف وأخرى بصورة الولاية الكلية من دون كساء النبوة، لأن الولاية باطن النبوة والولي باطن اسم الله والولاية باطن الالهية والفرق بينهما بالظهور والخفاء وسراً فضلية نبينا محمد ﷺ من غيره إنما هو سعة دائرة ولايته والنبوة يتحقق من اشتداد جهة الولاية ومن عرف هذا، عرف سرّ أفضلية ائمتنا الطاهرين عن الأنبياء المرسلين واولوا العزم منهم وعن مولانا العسكري: «وفينا النبوة والولاية والكرم ونحن منار الهدى والأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا وسيظهر حجة الله على الخلق»

كه زانفاس خوشش بوى كسى مى آيد
زده ام فالى و فرياد رسى مى آيد.

مژده اى دل كه مسيحاً نفسى مى آيد
از غم هجر مكن ناله و فرياد كه من

٣- الأعراف (٧) الآية ١٦٠.

٤- القلم (٦٨) الآية ٤.

أعضائه وهو قواه الظاهرية والباطنية «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»^١.

تنبيه

لا تظن أن النبي ﷺ لم يكن عالماً بالروح، فكيف يكون برهاناً ومظهراً لجميع الصفات، كما توهمه جماعة من أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه، حتى قالوا لفرط جهلهم بمنصب النبوة: إن النبي ﷺ لم يكن عالماً به. جلّ منصب حبيب الله عن أن يكون جاهلاً بالروح، وقد منّ الله عليه بقوله «علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً»^٢ واعلم أن سكوته عن جواب السؤال عن الروح وتوقفه انتظار الرّوح حين سأله اليهود، فقد كان لغموضه، فيرى في معرّز^٣ الجواب دقة، إذ لا يفهمها اليهود لبلادة طباعهم وقساوة قلوبهم وفساد عقائدهم؛ فإن المدرك لا يدرك شيئاً ليس من جنسه، فالخس لا يدرك إلا المحسوسات، والخيال لا يدرك إلا المتخيلات، والوهم لا يدرك إلا المعقولات؛ قال تعالى: «وما يعقلها إلا العالمون»^٤ الذين فنوا بسطوات الجلال عن إنانية وجودهم ووصلوا إلى لجة بحر الحقيقة، فعرفوا الله بالله ووحدوه وقدسوه، فبالله يسمعون وبه يبصرون وبه ينطقون وبه يبطشون، فكيف تبقى لمعرفة الروح خطر عند من له هذه المقامات العلية والدرجات الرفيعة «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^٥.

تحقيق

اعلم أن الغرض من هذه الموجودات وقواها الطبيعية والنباتية والحيوانية كلها،

١- النجم (٥٣) الآيتان ٣ و ٤.

٢- النساء (٤) الآية ١١٣.

٣- في بعض النسخ: «معرض»، فارجع إلى «المنجد» مادة: «غرز».

٤- العنكبوت (٢٩) الآية ٤٣.

٥- الجمعة (٦٢) الآية ٤.

خلقة الإنسان الذي هو الثمرة العليا واللبّ الأصفى والغاية القصوى من وجود سائر الأكوان ، وللإشارة إلى أن كل ما يوجد في العالم من سائر الأكوان ، فانما خلق لأجل الإنسان ؛ قال تعالى في باب المعادن والجمادات : «وما ذرء لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون»^١ وقال : «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها»^٢ وقال تعالى في باب النبات : «الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم»^٣.

واعلم أن الله تعالى جعله إنساناً في سبع درجات وأشار إلى ذلك في عدة مواضع مختلفة ، حسب ما أفضت الحكمة ؛ فقال في موضع «خلقه من تراب»^٤ إشارة إلى المبدأ الأول وفي الآخر «من طين» إشارة إلى الجمع بين التراب والماء ، وفي آخر من «حملاً مسنوناً»^٥ إشارة إلى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير ، وفي آخر «من طين لازب»^٦ ؛ إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة ، وفي آخر «من صلصال من حمإ مسنون»^٧ إشارة إلى سنه وسماع صلصة منه ، وفي آخر «من صلصال كالفخار»^٨ وهو الذي قد يصلح أثر من النار ، فصار كالخزف وبهذه القوة النارية حصل في الإنسان أثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى أشار بقوله : «خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار»^٩ فنبّه على أن الإنسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من أثر النار وأن الشيطان ذاته من المارج ، الذي

١- النحل (١٦) الآية ١٣.

٢- النحل (١٦) الآية ١٤.

٣- إبراهيم (١٤) ، الآية ٣٢.

٤- آل عمران (٣) الآية ٥٩.

٥- الحجر (١٥) الآية ٢٦ و ٢٨ و ٣٣.

٦- الصافات (٣٧) الآية ١١.

٧- الحجر (١٥) الآية ٢٦ و ٢٨ و ٣٣.

٨- الرحمن (٥٥) الآية ١٤.

٩- الرحمن (٥٥) الآيتان ١٤ و ١٥ .

لا استقرار له، ثم نبه على تكميل الإنسان بنفخ الروح فيه بقوله: «إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي»^١ ثم نبه على تكميل نفسه بالعلوم والمعارف بقوله «وعلم آدم الأسماء كلها»^٢، فقد تبين أن وجود الإنسان لم يحدث من الله إلا بعد استيفاء الطبيعة جميع درجات الأكوان وطبقات منازل النبات والحيوان ويجتمع في ذاته جميع القوى الأرضية والآثار النباتية والحيوانية وهذا هو أول درجات الإنسانية التي اشترك فيها جميع أفراد الناس، ثم في قوته الارتقاء إلى عالم السماء ومجاورت الملكوت الأعلى بتحصيل العلم والعمل، ثم له أن يطوي بساط الكونين ويرتفع من العالمين، بأن يستكمل ذاته بالمعرفة الكاملة والعبودية التامة ويفوز بلقاء الله بعد فئائه عن ذاته ويسمع دعائه في حظيرة قدس الجبروت، وحينئذ يكون رئيساً مطاعاً في العالم العلوي، مسجوداً للملائكة سارياً حكمه في الملك والملكوت؛ أولئك خيار خلق الله جعلنا الله وإياكم بشراً يقيناً وإنساناً حقيقياً.

تكملة

اعلم أن الله تعالى قد جمع في الإنسان قوى العالم وأوجده بعد وجود الأشياء، التي جمعت فيه «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدء خلق الإنسان من طين»^٣ فإن الله تعالى أوجد فيه بسائط العالم ومركباته وروحانياته ومبدعاته ومكوناته، فالإنسان من حيث جمع فيه قوى العالم كالمختصر من الكتاب والنسخة المنتخبة من الكتاب، الذي قليل لفظه ومستوفى معناه، فهو كالزبد من الخيض والدهن من السمس والزيت من الزيتون، وقال تعالى «مثل نوره - أي في قلب المؤمن كما في قرائة ابن مسعود - كمشكوة فيها مصباح، المصباح في زجاجة»^٤ الآية فالمشكوة البدن، والزجاجة الروح الحيواني

١-ص (٣٨) الآيتان ٧١ و٧٢.

٢-البقرة (٢) الآية ٣١.

٣-السجدة (٣٢) الآية ٧.

٤-النور (٢٤) الآية ٣٥.

التي هي بمنزلة المرآت لصفائها، والزيت القوة القدسية، التي هي أفضل ضروب العقل الهولاني وهو أول درجة النفس الناطقة وآخر درجة النفس الحاسة، والشجرة المباركة هي القوة الفكرية؛ هي أفضل ضرب من القوة الخيالية، فتحدث من هذا تشبيهات آخر تنفعك في المرام، ففي الإنسان أشياء هي أمثال ما في العالم الكبير؛ فسبحان من هو خالق هكذا ولا هكذا غيره «فتبارك الله أحسن الخالقين»^١.

تنبيه

اعلم أن هذا الروح الطبي الذي يتقوم البدن، مثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الأسود، الذي في باطن القلب له كالفتيلة وما يتغذى به من الأغذية اللطيفة كالزيت والحياة الظاهرة في أعضاء البدن بسببه كضوء السراج في جملة البيت، وكما أن السراج إذا انقطع زيتُه انطفئ، فسراج الروح أيضاً ينطفئ إذا انقطع غذائه، وكما أن الفتيلة قد يحترق ويصير رماداً بحيث لا يقبل الزيت، فينطفئ السراج مع كثرة الزيت وكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب، فينطفئ مع وجود الغذاء؛ فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى الروح، كما لا يقبل الرماد الزيت فلا تشبث به النارية؛ فكما أن السراج تارة ينطفئ من داخله كما ذكره وتارة بسبب من خارج كريح عاصفة، فكذلك الروح تارة ينطفئ بسبب من داخل وتارة ينطفئ بسبب من خارج كالعقل وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده، فيكون ذلك أجله الذي في أم الكتاب بأحد الأسباب المقدرة المرتبة في القدر من فناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصفة أو بإطفاء إنسان، كذلك انطفاء الروح أجله المؤجل في قضاء الله وقدره بأحد الأسباب، وكما أن السراج إذا انطفئ أظلم البيت كله؛ فالروح إذا انطفئ أظلم البدن (ظلم البدن - خ. ل) كله وفارقه أنواره، فتحدث مما أشرنا عليك اشتعال النفوس من المبادي العالية والكلمات الثامة والاضواء القيومية، فكفاك ما أوردت لك من المسائل الإلهية إن كنت

من أهله ، ولاتكن جاحداً لما يقرع سمعك من اشتباه بعض المسائل الحقبة بالمسائل الباطلة ، لأن الاشتباه من تصرفات الوهم فإنّ ميّزت عقلك واشتعلته بالنور القدسي اتضح عندك حقيقة ما أوردنا لك ، وإن شئت أن أوضح لك ما في نفسك وباطنك حتى تكون موقناً بما ذكرت لك ، فامثل لك مثلاً فاستمع الآن إلى ما أقول لك من العرش والكرسي .

اعلم أن العرش مظهر الرب والكعبة معلمه ، فدعا الله العباد إلى مظهره بقلوبهم وإلى معلمه بأبدانهم ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن العرش هو قلب العالم والإنسان الكبير ، والكرسي هو صدره ، لأن المراد من القلب المعنوي هو مرتبة النفس المدبرة المدركة للكلّيات والقلب الصنوبري مظهرها ، وكذا المراد من الصدر المعنوي هو مرتبة النفس الحيوانية المدركة للجزئيات ؛ وهذا الصدر الجسماني مظهرها ونسبة استواء النفس الإنسانية على قلبه بالتدبر إلى استواء الرحمان على عرشه بالعناية والرحمة ، كنسبة القلب الصنوبري إلى العرش الصنوبري ، كذلك نسبة تصرف النفس الحساسة الحيوانية في الصدر المحيط بجوهر الكبد لمكان الدم الطبيعي المنتشر في البدن كله إلى تصرف القوة المملوكة ، بإذن الله في الكرسي المحيط بجوهر السماوات السبع بأنوارها النافذة في الكل ، كنسبة الصدر الجزئي إلى الكرسي الجسماني ؛ فافهم ما قلنا لك وتحقق ما هو الحق ، فإن الحق بالأخذ أليق .

تتميم

اعلم يا أخي إن الله تعالى قد مدح الناظرين في ماهيات الأشياء والمتفكرين في خلق السماوات والأرض والذاكرين الله من ملاحظة آثار صنعه وجوده «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض»^١ فالعمدة العظمى والعروة الوثقى من النظر والتفكير التقرب إلى الله والفوز بالسعادة الأخروية ، فلا يكون

هذا التقرب إلا باقتناء العلم والمعرفة دون مجرد العمل والطاعة، وإن كان العمل الصالح وسيلة «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»^١.

وقد حثَّ سبحانه عباده في كثير من الآيات على اكتساب العلم بالنظر والاعتبار والتأمل في أفعاله والتدبر في آياته، مثل قوله «فاعتبروا يا أولي الأبصار»^٢ وقوله: «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار»^٣ وقوله: «أو لم ينظروا* أولم يتفكروا»^٤.

وجعل الله سبحانه الجهل بالله وآياته، منشأ الرجوع إلى نار الجحيم والعذاب الأليم قال تعالى: «ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى»^٥ فمن نسي ذكر الله، يكون من أهل العذاب ومستعداً للعقاب ويحشر أعمى وأصم.

لأن بناء الآخرة على المعرفة والذكر، لأنها نشأة إدراكية وذات حيوانية - كما سنبين - فعمارتها بالاعتقادات والنيات الصالحة والإدراكات الخالصة، وبناء الدنيا على الظلمة المادية وعمارتها بالأموال الشهوية والأمانى الباطلة، لأنها نشأة كدرة جرمانية «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً»^٦ فكن يا أخي من العارفين بالأسرار الإلهية ومن المشاهدين آيات الربوبية، حتى أشرق نور الحق من أفق الرحمة وانمحى ظلمة الوهم، وغاب عن أفق الضلال لترى الساكنين في أقاليم وجودك ورؤساء السفن الجارية في بحار بطنك «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»^٧.

١- فاطر (٣٥) الآية ١٠.

٢- الحشر (٥٩) الآية ٢.

٣- آل عمران (٣) الآية ١٩٠.

٤- الأعراف (٧) الآيتان ١٨٤ - ١٨٥.

٥- طه (٢٠) الآية ١٢٤.

٦- الأسراء (١٧) الآية ٧٢.

٧- الأنفال (٨) الآية ٤٢.

الفن الثاني
في المباحث المتعلقة بالمعاد

وفيه مظاهر

المظهر الأول

في إثبات المعاد الجسماني [وبيان الأقوال فيه]

اعلم أن المحققين من الفلاسفة والمحققين من أهل الشريعة، ذهبوا إلى ثبوت المعاد^١ ووقع الاختلاف في كيفيته، فذهب جمهور المتكلمين وعامة الفقهاء إلى أنه جسماني فقط - بناءً على أن الروح جرم لطيف سارٍ في البدن - وجمهور الفلاسفة إلى أنه روحاني فقط وذهب كثير من الحكماء المتألهين ومشايخ العرفاء في هذه الملة إلى القول بالمعادين جميعاً.^٢

والمعاد الجسماني هو أن لهذا الشخص الإنساني روحاً وجسداً يعود في الآخرة، بحيث لو يراه أحد عند المحشر يقول: هذا فلان الذي كان في الدنيا. ومن أنكر هذا فقد أنكر ركناً عظيماً من الإيمان، فيكون كافراً عقلاً وشرعاً ولزمه إنكار كثير من النصوص، ويصير من الملاحدة والدهرية، من الذين لا اعتداد بهم في الفلسفة ولا اعتماد عليهم في العقلليات ولا نصيب لهم من الشريعة وهم الذين ينكرون حشر الأجساد والنفوس، زعماء منهم أن الإنسان إذا مات فاته وليس لها معاد، اولئك أراذل الناس (أراذل الناس

١- سيأتي بيان الأقوال في المعاد في آخر الكتاب.

٢- والقول بأن إعادة المعدم تمتع يناقض هذا؛ لأن زيد الميت مثلاً لم ينعدم أجزاؤه الأصلية، فلإعادته غير ممتعة، فتدبر. منه رحمه الله.

رأياً - خ . ل) ونقل من جالينوس التوقف في أمر المعاد لتردده في أمر النفس هل هي المزاج، فيفنى أم صورة مجردة فيبقى .

واعلم أن اختلاف أصحاب الملل والديانات في هذا الأمر وكيفيته إنما هو لأجل غموض هذه المسألة ودقتها حتى أن الحكماء كالشيخ الرئيس ومن في طبقته، أحكموا على المبادئ وتبدلت أذهانهم في كيفية المعاد؛ والكتب السماوية أيضاً متشابهة آياتها في بيان هذا المعنى، إذ في الانجيل ورد: «أن الناس يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون» وفي التوراة: «أن أهل الجنة يمكثون في النعيم عشر ألف سنة ثم يصيرون ملائكة وأهل النار يمكثون في الجحيم كذا ثم يصيرون شياطين» وفي بعض آيات القرآن أن الناس يحشرون على صفة التجرد، كقوله: «وكلهم آتية يوم القيامة فرداً»^١ وفي بعضها على صفة التجسم، كقوله: «يوم يسحبون في النار على وجوههم»^٢ فبعضها يدل على أن المعاد للأبدان وبعضها يدل على أنه للأرواح؛ والحق أنه لكليهما والمعاد في يوم المعاد هذا الشخص بعينه^٣ نفساً وبدناً، وأن تبدل خصوصيات البدن من المقدار والوضع وغيرهما، لا يقدح في بقاء شخصية البدن؛ فإن تشخص كل بدن إنما هو ببقاء نفسه مع مادتها (مادة ما - خ . ل) وإن تبدلت خصوصيات المادة حتى أنك لورأيت إنساناً في وقت سابق، ثم تراه بعد مدة كثيرة وقد تبدلت أحكام جسميته أمنك أن تحكم عليه بأنه ذلك الإنسان فلا عبرة بتبدل المادة البدنية، بعد انحفاظ الصورة النفسانية، فكثير من لوازم هذه الأبدان مسلوب عن الأبدان الأخروية؛ فان الأبدان الأخروية كظل لازم للروح أو كعكس يرى في مرآت، كما أن الروح في هذا البدن كضوء واقع على جدار^٤، فتأمل في

١- مريم (١٩) الآية ٩٥ .

٢- القمر (٥٤) الآية ٤٨ .

٣- ويأتي في آخر الكتاب بيان مراده ودفع الإشكالات الواردة عليه .

٤- نعم التمثيل، فكما لا يقدح تبدل الجدار في انحفاظ الضوء بعينه، كذا لا يقدح تبدل البدن في لقاء النفس بشخصه والبدن الدنيوي ليس ظلاً لازماً للنفس وإلا لما يخالف مقتضاه مقتضى النفس؛ فيتبدل في المعاد

هذا المقال ليظهر لك جليلة الحال .

تحقيق

اعلم أنه إذا انقطع تعلق النفس عن هذا البدن ، فتبقي النفس وتصلح النفس بتلفه ومما يدل بهذا قول موسى وعيسى ﷺ وغيرهما من الأنبياء ، وذلك أن موسى ﷺ قال لأصحابه : «توبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم»^١ ، يعني هذه الأجساد بالسيف لأن جوهر النفس لا يناله الحديد ، وقال عيسى ﷺ للحواريين : «إذا فارقت هذا الهيكل فانا واقف في الهواء عن يمين العرش بين يدي أبي وإبيكم أشفع لكم ، فاذهبوا إلى الملوك في الأطراف وأدعوهم إلى الله ولا تهابوهم فإنني معكم حيثما ذهبتم بالنصر والتأييد لكم» وأشار سيدنا ﷺ : «انكم تردن على الحوض» ومما يدل عليه أن أهل بيت نبينا ﷺ كانوا يعتقدون هذا الرأي لتسليم أجسادهم إلى القتل بكر بلاء اختياراً ورضاءً ولم يرضوا أن ينزلوا على حكم يزيد وابن زياد وصبروا على الطعن والضرب والعطش ، حتى فارقت نفوسهم أجسادهم ، وارتقت ملكوت السماوات ولقوا آباءهم الطاهرين .

ومن كلام الأكابر ما يدل على ذلك ، قول افلاطون الإلهي في بعض حكمه : «لولم يكن لنا معاد نرجوا فيه الخير لكانت الدنيا فرصة الأشرار» وقال أيضاً «نحن هاهنا غرباء في أسر الطبيعة وجوار الشيطان أخرجنا من عالمنا بخيانة كانت من أبينا آدم ﷺ» وقد أشرنا فيما سبق ما يدل على ذلك وأيضاً يدل بهذا قول فيثاغورس صاحب العدد

→

وبصير كظل لازم لها وكعكس محاك لها ، يحاكي ما في النفس من الصفات والملكات ، كما أن الظل والعكس يحاكيان الشخص والأصل وهذا هو تجسم الأعمال وتجسد الأخلاق الوارد في الشريعة المقدسة عن أئمتنا وساداتنا - صلوات الله عليهم أجمعين - بعبارات مختلفة ، الفاظها موافقة ، متعاضدة معناها ومغزاها ، كما يظهر من التتبع في كتب الأخبار فتتبع وآتبع والحمد لله الذي هدانا بهذا وشرفنا بالاستضاءته من أنوارهم والاهتداء بضياء شمسهم وأقمارهم - صلوات الله وسلامه عليهم - ولاستاذنا ميرزا حسن النوري مد ظله نقلت من خطه . قوله «ولاستاذنا» الناقل الأستاذ آقا علي مدرس .

١- في «المبدأ والمعاد» : ومما يدل أيضاً على بقاء النفوس وأن صلاحها بتلف الأجساد .

٢- البقرة (٢) الآية ٥٤ .

في رسالته المعروفة بالوصايا الذهبية^١ في وصيته لديوجانس في آخر وصيته: «إذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلى في الجو يكون حينئذ سائحاً غير عائد إلى الانسية ولا قابلاً للموت». والغرض من الاستشهاد بكلام الحكماء ووصاياهم بعد أفعال الأنبياء^٢ أن في الناس أقواماً من المتفلسفين لا يعرفون من الفلسفة إلا اسمها ولا يفهمون أسرارها^٣، فيضلون وهم لا يشعرون.

واعلم أيضاً أن النفس إذا تركت تدبير البدن لفساد المزاج، فلا يخلو إما أن ينتقل إلى عالم العقول، أو إلى عالم المثال الذي يقال له الخيال المنفصل تشبيهاً لها بالخيال المتصل، أو إلى بدن حيواني من هذا العالم أو تصير معطلة، فلاحتمالات لا يزيد عن أربعة؛ فالآخرون باطلان، فبقي الأولان أولهما للمقربين وثانيهما لأصحاب اليمين وأصحاب الشمال على طبقات من كل صنف.

كشف غطاء

اعلم أن النفس لا يتناسخ من بدن إلى بدن آخر في الدنيا - سواء كان إنسانياً - وهو المسمى بالنسخ - أو حيوانياً - وهو المسخ - أو نباتياً - وهو الفسخ - أو جمادياً - وهو الرسخ، نعم للنفوس نشآت مختلفة في دار أخرى غير هذه الدار، والتناسخ بمعنى صيرورة النفس بحسب النشأة الأخرى، مصورة بصورة حيوانية أو نباتية أو جمادية ناقصة المراتب بحسب أخلاقها الدنية وعاداتها الردية، فليس مخالفاً للتحقيق بل هو ثابت عند أهل الحق وأرباب الملل والشرايع، كما في قوله تعالى: «وجعل منهم القردة

١- وفي «المبدأ والمعاد»: وهي موجودة عندنا.

٢- وشرايعهم.

٣- «وفرائضها ونوافلها وأقواماً من الشرعيين لا يعرفون من الشريعة إلا رسمها يتصدرون ويتكلمون بما لا يحسنون ويتناظرون فيما لا يدرون فيتناقضون تارة في الفلسفة بالشريعة وتارة الشريعة بالفلسفة، فيقفون في الحيرة والشكوك فيضلون ويضلون ولا يشعرون». «المبدأ والمعاد»، ص ٢٣٣.

٤- أمر محقق عند أئمة الكشف والشهود (خ. ل).

والخنازير وعبد الطاغوت^١ أي مسخهم إليها وقوله تعالى : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين^٢ » يعني بعد المفارقة البدنية كقول النبي ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على وجوه مختلفة » أي على صور مناسبة لهيئاتهم النفسانية ، ولذا قيل : ما من مذهب إلا وللتناسخ فيه قدم راسخ . وبهذا المعنى محمول ماورد من القول بالتناسخ من أساطين الحكمة كافلاطون ومن قبله مثل سقراط وفيثاغورس وأنباذقلس واغاثاديمون وهرمس المسمى بوالد الحكماء . وإذا حققت هذا يظهر لك أن النزاع لفظي ، فالكل متفقون في بطلان التناسخ بالمعنى المشهور .

ومن التناسخ الحق عند أئمة الكشف والشهود وأرباب الملل والشرائع ، ما يمسح الباطن وينقلب الظاهر من صورة ما ينقلب إليه الباطن لغلبة القوة النفسانية ، حتى صارت تغير المزاج والهيئة على شكل ما هو عليه من صفة حيوان وهذا في قوم غلبت شقوة نفوسهم وضعفت عقولهم وهذا المسخ كثير في زماننا هذا ، كما كان مسخ الظاهر في بني إسرائيل ، ويدل بهذا قول النبي ﷺ في صفة قوم : « اخوان العلانية أعداء السريرة ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر وقلوبهم قلوب الذئاب ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين » فهذا مسخ البواطن : أن يكون قلبه قلب ذئب ، وصورته صورة إنسان والله العاصم من هذه القواصم .

تحقيق في دفع حجج الخصوم

اعلم أن المشهور في بيان إبطال التناسخ ، أن النفوس إذا كانت مستنسخة ، لزم أن يكون لبدن واحد نفسان أو لبدن واحد نفوس والكل محال وهذا الدفع مشهور كما ذكره الشيخ في «الإشارات» ولنورد بعض حججهم ونجيب عنهم بتوفيق الله تعالى .

١- المائدة (٥) الآية ٦٠ .

٢- البقرة (٢) الآية ٦٥ .

حجة لهم وهي: أن الجهال والفجرة لو تجردوا عن الأبدان والأجرام وعن قوة مذكرة لقبايح أفعالهم وخطأ جهالاتهم، مدركة لملكاتهم وآرائهم فتخلصوا إلى الملكوت الأعلى فآين الشقاوة.

والجواب، أن لهم أبدان أخرى حشروا إليها وأدركوا بها وتعذبوا بأنواع الآلام المناسبة لأعمالهم.

حجة أخرى^١: ليس للحيوان عضو إلا وللحرارة عليه سلطنة بالتحليل، ثم إن للحيوانات عجائب أفعال وحركات ذهنية كالنحل ومسدساته والعنكبوت ومنسوجاته والقرد والبغاء ومحاكاتهما لأفعال العقلاء، وغير ذلك من رياسة الأسد وتكبر النمر وسماع الابل وفراسة الفرس ووفاء الكلب وحيلة الغراب، هذه كلها بكيفية المزاج أو بالطبيعة الجرمية، واحتراز الغنم عن الذئب إن كان عن خوف جزئي يحفظ في الخيال فلم يكن يحترز عما يخالفه في المقدار والشكل واللون، وإذ ليس، فعن معنى كلي يستلزم نفساً مجردة، لم يجز في العناية إهمالها دون الصعود إلى رتبة الإنسان أو الوصول إلى السعادة العقلية بعد المفارقة.

الجواب، إن لكل حيوان ملكاً يلهمه وهادياً يهديه إلى خصائص أفاعيله العجيبة، كما في قوله تعالى: «وأوحى ربك إلى النحل»^٢ وأسخف التناسخين في الرأي من ذهب إلى امتناع مفارقة شيء من النفوس عن الأبدان، لأنها جرمية النسخ مترددة في أجساد الحيوانات «اولئك ممن غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً»^٣.

١- في الشواهد الربوبية: «وليس لأحد أن يقول الفرس لا يزال يتنقص في فرسيته» ص ١٦٣، الطبعة الحجرية.

٢- النحل (٢٧) الآية ٦٨ وفي الشواهد بعد الآية الشريفة: «وبعض أفاعيلها غير مستبعد عن ذوات المشاعر الجزئية على أننا لننكر أن يكون لأعداد منها، قريبة الدرجة إلى أوائل رتبة الانسانية حشر إلى بعض البرازخ السفلية الأخروية».

٣- في «الشواهد» فيقال لهم: «إن هذه النفوس إن كانت كلها منطبعة، فمع مصادمته للبرهان على تجرد النفوس الانسية ينافي مذهبهم لامتناع انتقال الصور والأعراض من محل إلى محل آخر وإن كانت

تذنيب

اعلم أن الغزالي صرّح في مواضع من كتبه (في كثير من مواضع كتبه - خ . ل) بأن المعاد الجسماني هو أن يتعلق المفارق عن بدن بيدن آخر، واستنكر عود أجزاء البدن الأول قال: «إن زيداً الشيخ هو بعينه الذي كان شاباً وهو بعينه الذي كان طفلاً وجيناً صغيراً في بطن الأم مع عدم بقاء الأجزاء، ففي الحشر أيضاً كذلك^١» وقال: «هذا ليس بتناسخ، فإن المعاد هو الشخص الأول والمتناسخ شخص آخر، فالفرق بينهما أن الروح إذا صار مرة أخرى متعلقاً ببدن آخر، فإن حصل من هذا التعلق الشخص الأول كان حشراً واقعاً لاتناسخا.» وقال في موضع آخر: «إن الروح يعاد إلى بدن آخر غير الأول ولا يشارك له في شيء من الأجزاء» ثم قال: «فإن قيل: هذا هو التناسخ، قلنا سلمنا ولا مشاحة في الأسماء، والشرع جوز هذا التناسخ^٢، فتلقاه جماعة بالقبول لزعمهم أن المحذور من قول هذا الفاضل إطلاق التناسخ حتى أجاب بأن الشرع جوز هذا النحو من التناسخ والظاهر أن الإشكال المذكور، اللازم للتناسخ الغير المجوز وارد هاهنا أيضاً من كون بدن واحد ذاتفسين، لأن كلامه في غاية الإجمال ولم يظهر منه الفرق بين الحشر والتناسخ وقد علمت أن الحق في المعاد عود البدن بعينه وشخصه، كما يدل عليه الشرع الصحيح من غير تأويل ويحكم عليه العقل الصريح من غير تعطيل.

مجردة، فالعناية مقتضية لإيصال كل موجود إلى كماله وغايته وكمال الانسان في النشأة الثانية - سواء كان

سعيداً أو شقيماً - وأما الذين سعدوا ففي الجنة وأما الذين شقوا ففي النار». (ص ١٦٤).

١- في «الأسفار» الطبعة الحجرية بعد ذلك: «والملتزمون بعود الأجزاء مقلدون من غير دراية».

٢- وفي نسخة خطية: «والشرع جوز هذا التناسخ ومنع غيره».

المظهر الثاني^١

في أن الإنسان يبعث بجميع قواه وجوارحه

اعلم أن كل قوة من قوى العقل العملي للإنسان، يسري من نفسه إلى البدن؛ فإن النفس بمنزلة طير سماوي له أجنحة ورياش^٢ فالجناحان^٣ قوتاه العلمية والعملية ورياشه هي القوى، والبدن الجسماني بمنزلة البيضة التي يخرج منها الطير، فإذا حان وقت الطيران يطير بجناحيه إلى السماء، ويحمل معه كل ريشة من ريشه، فهذا هو مثال النفس والغرض من بعث القوى الإشارة إلى أن لكل قوة كمالاً ولذة وألماً يناسبها.

تحقيق

اعلم أن خلق عالم الكبير وبعثه كخلق عالم الصغير وبعثه «ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة»^٤ فكما أن أعضاء البدن بعد الفطرة مستحيلة كائنة فاسدة وروحه باقية،

١- في «الشواهد»: «الإشراق الثامن في أن الحكمة يقتضى بعث الإنسان بجميع قواه وجوارحه» ص ١٩٣.

٢- والرياش لكل من الجناحين هي القوى والفروع لها (شواهد) ص ١٩٣.

٣- فالجناحان هما (خ. ل).

٤- لقمان (٣١) الآية ٢٨.

الفن الثاني : في المباحث المتعلقة بالمعاد / ١٣٣

إلا أنها في أوائل النشأة ضعيفة الوجود وبالقوة شبيهة بالعدم ، حتى يخرج في أيام الحياة البدنية من القوة إلى الفعل ويشتد وجود الروح ويستكمل ويقوى على التدريب ويضعف البدن ويهرم ويكلّ القوى والآلات ، شيئاً فشيئاً وهكذا إلى أن يفني البدن ويموت «كل نفس ذائقة الموت»^١ ويبقى الروح راجعة إلى ربها «يا أيّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية»^٢ وكذلك جملة العالم ، فإن السماوات والأرض وما بينهما أبدأ في الانتقال والتبدل حتى يخرج ما فيها من النفوس والأرواح ، من القوة إلى الفعل على التدريب في مدة عمره الطبيعي ويدور كل ما هو دوّار في مدة خمسين ألف سنة ، فيرجع في تلك المدة جميع النسب والأوضاع إلى ما كانت أولاً لقوله تعالى : «والسماء ذات الرجع»^٣ وقوله : «تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»^٤ فإذا انقضت المدة وتمت العدة ، برزت إلى عالم الآخرة حقيقة الدنيا وخرجت من القوة إلى الفعل ، جميع ما هو مكنون في قبور الأجسام ومخزون في صدور النفس وخزائن الأرواح «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً»^٥.

تنبيه^٦

اعلم أنه كما أن الشخص الآدمي إذا عرض له الموت وخرجت روحه من البدن ، قامت قيامته لقوله ﷺ : «من مات فقد قامت قيامته» وعند ذلك انفطرت سمائه التي هي أمّ دماغه وانتشرت كواكبه ، التي هي قواه المدركة وانكدرت نجومه التي هي حواسه

١- آل عمران (٣) الآية ١٨٥ ، الأنبياء (٢١) الآية ٣٦ ، العنكبوت (٢٩) الآية ٥٧ .

٢- الفجر (٨٩) الآيتان ٢٧ - ٢٨ .

٣- الطارق (٨٦) الآية ١١ .

٤- المعارج (٧٠) الآية ٤ .

٥- النبا (٧٨) الآية ٣٨ .

٦- الغرض من هذا التنبيه ، الإشارة إلى أن الإنسان المسمى بعالم الصغير مع العالم الكبير ، متساويان في الغناء وفي كيفية فتامله . منه رحمه الله .

وكوّرت شمسّه، التي هي قلبه ومنبع أنوار قواه وحرارته العزيزية وتزلزلت أرضه، التي هي بدنه ودكّت جباله، التي هي عظامه وحشرت وحوشه، التي هي قواه المحركة، فكذا قياس موت الإنسان الكبير أعني جملة العالم الجسماني، الذي هو حيوان مطيع لله متحرك بالإرادة وله بدن واحد، هو جرم الكل وطبع واحد سار في الجميع وهو طبيعة الكل ونفس واحدة كلية وروح كل مشتمل على جميع العقول، المعبر عنه بالعرش المعنوي التي يستوى عليه الرحمان؛ فبدن العالم وطبيعته هالكثان داثرتان وأمّا نفسه وروحه الكلّيتان محشورتان إلى الدار الآخرة، راجعتان إلى الله قائمتان عنده: «كل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»^١.

المظهر الثالث

في حقيقة الموت^١ [وبيان الأجل الطبيعي والفرق بينه وبين الموت الإخترامي]

اعلم أنه قد ثبت أن الإنسان مركب من جوهرين، بدن جسماني ونفس عقلائي والبدن محمول والنفس حاملة، لا أن البدن حامل لها - كما ظن أكثر الخلق - حيث قرع أسماعهم أنها زبدة العناصر وصفوة الطبائع^٢ وليس الأمر كما توهموه ولا تظن (ولا تظن - خ . ل) أن ما سردنا عليك مناف لقول المتألهين من : أن النفوس مسافر إلى الله تعالى والأبدان مراكب المسافرين، لأن قولهم بعين ما قلنا، لأن الراكب يحفظ المركب ويربّه، وبالجمله حقيقة الموت انزجار النفس عن البدن وإعراضها عن عالم الحواس وإقبالها على الله وملكوته على التدريج، حتى إذا بلغت غايتها من الجوهر ومبلغها من الفعلية والاستقلال في الذات، ينقطع تعلقها عن البدن بالكلية وهذا

١- وما قال من اقوال (في المتن : اقدم) جالينوس في سبب الموت الطبيعي، أن عروضة لاستيلاء الحرارة على رطوبات البدن، فيفنيها، ثم تفني بفنائها وما استدلوا به على مذهبهم من أن ما هو سبب الحياة هو سبب الموت، لا ينافي لما سردنا عليك من حقيقة الموت، لإمكان انطباق بين المذهبين، فكل حزب بما لديهم فرحون . منه رحمه الله .

٢- «وظنوا أيضاً أن النفس يحصل من الجسم وإنما تقوي لقوة الغذاء وتضعف بضعفه» (الأسفار، ص ١٠٩).

هو الأجل الطبيعي القضائي، دون الأجل الاخترامي الذي هو بحسب القواطع الاتفاقية القدرية وليس الأمر في حقيقة الموت - ما قاله بعض الطبيعيين والأطباء - من أن انقطاع تعلق النفس من البدن، لفساد مزاج البدن واختلال البنية ولنذكر لتوضيح هذا المقام مثلاً مقرباً إلى الأفهام:

فاعلم أن مثال البنية الإنسانية في هذا العالم، مثال السفينة المحكمة الآلة في البحر وما فيها من القوى النفسانية والجنود المسخرة بإذن الله أمر هذه السفينة المصلحة حالها؛ فإن سفينة البدن لا تيسر لها السير إلى الجهات إلا بهبوب رياح الإرادات، التي يختار صاحبها؛ فإذا سكنت الريح وقفت السفينة عن الجريان «بسم الله مجريها ومرسيها»^١ فكما أنه إذا سكنت الريح، التي نسبتها إليه كنسبة النفس إلى الجسد، وقفت السفينة قبل أن يتعطل شيء من آلتها كذلك جسد الإنسان، إذا فارقت النفس لايتها له الحركة وإن لم يعدم من آله شيء إلا ذهب ربح الروح منه؛ وبالبرهان حقق أن الريح ليس من جوهر السفينة ولا السفينة حاملة للريح، بل الريح حاملها، كذلك الروح ليس من جوهر الجسم، وتحسد من هذا، الفرق بين الأجل الطبيعي والاخترامي المسميان عند المحدثين بالأجل الحتمي والأجل الموقوفي، لأن الفرق في مثال السفينة ظاهر؛ لأنك إذا علمت أن هلاك السفينة إذا هلك لا يخلو من حالين، إما بفساد من جهة جرمها أو انحلال تركيبها فيدخلها الماء ويكون ذلك سبباً لغرقها واستحالتها وهلاك من فيها إن غفلوا عنها ولم يتداركوا بإصلاحها لها، كهلاك الجسم وقواه من غلبة إحدى الطبائع من تهاون صاحبه به وغفلته؛ فلا يبقى النفس معه وقت فساد، كما لا يبقى الريح للسفينة والريح موجودة في هبوبها غير معدومة في الموضع الذي كانت قبل السفينة، فهذا هو الأجل الاخترامي.

وأما الأجل الطبيعي مثل أن يكون هلاك السفينة بقوة الريح العاصفة الهابة الواردة منها على السفينة مالم يسع آلتها حملها، فيضعف الآلة وتكسر الأدوات فغرقت

السفينة ، وكذلك الروح والجسم ؛ فإن كان الساكنون في السفينة عارفين بموجب التقدير الإلهي واطمأنات نفوسهم وسلموا إلى ربهم ووعظ بعضهم بعضاً بالصبر وقلة الجزع وشوق الارتحال إلى دار المعاد ؛ فإذا تمّ لهم هذا العمل والسياسة ، فقد استراحوا من الغم والهمّ ووصلوا إلى النعيم الدائم وإن كانوا غير عارفين ، فجزائهم الجحيم والحرمان عن النعيم والبعد عن الحق العليم .

فاعلم أيّها السالك الخبير والطالب البصير ، أنك قاصد بحسب الفطرة إلى ربّك صاعد إليه منذ يوم خلقت نطفة في الرحم ، تنقل من حال إلى حال ومن مرتبة إلى مرتبة ، حتى تلقى ربّك وتشاهده وتبقى عند نفسك إمّا فرحانة ملتذّة مخلّدة أبداً مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين «وحسن أولئك رفيقاً»^١ وإمّا محزونة متألّمة خاسرة معذبة بنار الله الموقدة مع الكفرة والشياطين والفجرة فبئس القرين ، أعاذنا الله وإياكم من شرّ هذه النفوس المردية المهلكة .

تنبيه

اعلم أن الروح إذا فارق البدن العنصري ، يبقى معه أمر ضعيف الوجود من هذا البدن قد عبر عنه في الحديث بعجز الذنب وقد اختلفوا في معناه ، قيل : هو العقل الهولاني ، وقيل : الهولوى الأولى^٢ ، وقيل : الأجزاء الأصلية ، وقال أبو حامد

١- النساء (٤) الآية ٦٩ .

٢- في الحديث النبوي ﷺ : «يشئ الله النشأة الآخرة على عجز الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيوية» ولعلّ سرّ تعبيره بعجز الذنب ، أن الصورة البرزخية الصعودية آخر ما يكتسب من البدن المادي ، فيصح التعبير عنها بعجز الذنب الذي هو مؤخر البدن ، في رواية أخرى «كل ابن آدم يبلل الا عجز الذنب» وفي تفسير العسكري في تفسير قوله تعالى : فقلنا اضربوه ببعضها قال : «أخذوا قطعة وهي عجز الذنب الذي خلق منه ابن آدم وعليه يركب إذا أعيد خلقاً جديداً» وقد علمت أن المصنف جعل ملاك حشر الأجساد ، الأبدان المثالية ، ويقول إنه عين البدن الموجود في دار الغرور والدنيا ، والأبدان الأخروية بناء على ما حققه (ره) مجردة عن المادة الدنيوية القابلة للاستحالات ولا يمكن عود الروح من البرزخ إلى الدنيا وتعلقها ببدن دنيوي ، كتعلقها قبل الموت والقائلون بحشر الأجساد الدنيوية من دون تغيير وتبديل قد جعلوا الدنيا ←

الغزالي: «إنما هو النفس وعليها منشأ النشأة الآخرة»، وقال ابوزيد الرقراقي: «هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة لا يتغير؛ عليه ينشأ النشأة الثانية»، وعند الشيخ ابن العربي: «هي أعيان الجواهر الثابتة^١ ولكل وجه لكن الحق بقاء القوة الخيالية، فالنفس إذا فارقت البدن وحملت المتخيلة المدركة للصور الجسمانية فلها أن يدرك أموراً جسمانية ويتخيل ذاتها بصورتها الجسمانية التي كانت تحسّ بها في وقت الحياة، كما في المنام كانت تتصور بدنّها الشخصي مع تعطل هذه الحواس؛ فان للنفس في ذاتها سمعاً وبصراً وذوقاً وشمّاً يدرك بها المحسوسات الغائبة عن هذا العالم إدراكاً جزئياً، فيتصور ذاته مفارقة عن الدنيا ويتوهم نفسه عين الإنسان المقبور، الذي على صورته، ويجد بدنه مقبوراً ويدرك الآلام الواصلة إليه على سبيل العقوبات السيئة ولا تعتقد أن هذه الأمور التي يراها الإنسان بعد موته من أحوال القبر وأحوال البعث أمور موهومة، لا وجود لها في الأعيان. كما زعمه بعض الإسلاميين المتشبهين بأذيال الحكماء الغير المعنّين في أسرار الوحي والشرعة. فإن من كان معتقداً هذا فهو كافر ضالّ في الحكمة، بل أمور القيامة أقوى في الوجود و أشدّ تحصلاً في التجوهر.

→ والآخرة داراً واحداً مع أن الضرورة قائمة على مخالفة نشأة الآخرة لهذه النشأة، فالبدن الأخروي عند المصنف قائم بالجهة الفاعلية وهوليس إلا البدن البرزخي وهو يقول: بفساد البدن الدنيوي والبدن، بدن مادام كونه مادة للنفس وإذا خرجت عنه النفس لا يطلق عليه البدن، إلا بالمسامحة العرفية. العجب ج عجب مؤخر كل شيء أصل الذنب عند رأس العصص (النجذ). عجب الذنب ماتقوم عليه النشأة الإنسانية وهو لا يلى. فينشئ الله النشأة الآخرة على «عجب الذنب الذي يبقى من هذه النشأة، وهو أصلها». ١- قوله: وعند الشيخ ابن العربي أن المراد بعجب الذنب هو ماتقوم عليه النشأة الآخرة، وهو لا يلى، أي لا يقبل البلى وهو يقول: إن وجه استناده الكشف الذي لاشك فيه.

المظهر الرابع

في بيان ماهية القبر وعذابه وثوابه

اعلم أن للإنسان الكامل في أيام كونه الدنياوى أربع حياتات : النباتية ، والحيوانية ، والنطقية ، والقدسية ، اثنتان دنياويتان واثنتان أخرويتان . فإن شئت توضيح هذا المقام فعليك التفهم بمثل الكلام ، وإن شئت مثلاً لهذا فنضرب لك مثلاً كالكلام ، فإن له حياة امتدادية نفسية هي بمنزلة الطبيعة النباتية ، وحياة صوتية لفظية هي بمنزلة الحيوانية ، وحياة معنوية هي بمنزلة الإنسانية ، وحياة حكمية هي بمنزلة الروح الإلهي ، فإذا خرج الكلام من جوف المتكلم ودنياه ، دخل إلى باطن السامع وأخراه فورداً أولاً في منزل صدره ، ثم إلى قلبه فإذا ارتحل من عالم التكلم والحركة إلى عالم السمع والإدراك ، انقطعت عنه الحياتان الأوليان ؛ لأنه انقطع النفس وعدم الصوت فلا يخلو حاله بعد ذلك عن أحد أمرين : لأنه إما في روضة من رياض الجنة وذلك إذا وقع في صدر منشراح بأنوار معرفة الله وإلهامات ملائكته ، فيكون قرين ملائكة الله وعباده الصالحين الزائرين لهذا القبر ، وإما في حفرة من حفر النيران وذلك إذا وقع في صدر ضيق حرج مشحون بالشرو والآفات موطن للشياطين والظلمات ومورد للجنة الله ومقته ومخلداً في العذاب ؛ فإن من البواطن والصدور ما ينزل فيه كل يوم ألف من الملائكة والأنبياء والأولياء لغاية صفائه ، فهو كروضة الجنان ، ومنها ما يقع فيه كل يوم ألف وسواس

وكذب وفحش^١، فهو بعينه من الضيق والظلمة كحفرة من حفر النيران، فهو يستحق اللعنة والعذاب الأليم «من شرح بالكفر صدرأ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم»^٢ فكذلك الإنسان إذا مات وارتحل من هذا العالم، فقد بقيت له حياتان أخرويتان إن كان من أهلها انقطعت عنه حياة النباتية والحيوانية. وإنما قلنا انقطعت دون انعدمت؛ لأن التحقيق^٣ أن ما وجد من الأشياء لا يمكن انعدامه بالحقيقة وإلا فيلزم أن يكون قد خرج وزال عن علم الله سبحانه وقد قال: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء»^٤.

واعلم أن لكل من الحياة النباتية والحيوانية قبراً، هو مقدار تكونهما التدريجي ومدة تقلبهما الاستكمالي في دار الدنيا وهي مقبرة ما في علم الله من صور الأكوان الحادثة الموجودة سابقاً ولاحقاً في علمه تعالى قبل ورودها في قبور^٥ هذه الدنيا وبعد صدورها عنها وبهذه القبلية أشير في قوله ﷺ «خلق الأرواح قبل الأبدان بالفي عام» وإلى هذه البعدية بقوله تعالى «وإلى الله ترجع الأمور»^٦ وأشار إلى اجتماع القبلية والبعدية بقوله: «كما بدتكم تعدون» وأما قبر النفس والروح، فالى مأوى النفوس ومرجع الأرواح، كل شيء يرجع إلى أصله «إنا لله وإنا إليه راجعون»^٧.

١- «وخصومة ومجادلة مع الناس فهو منبع المقت واللعن والغصة والعذاب الأليم» (الشواهد الربوبية).

٢- النحل (١٦) الآية ١٠٦.

٣- يعني أن الأشياء التي صارت موجودة، امتنع انعدامها للزوم زوالها وخروجها عن علم الله سبحانه (منه).

٤- يونس (١٠) الآية ٦١. «لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا اصغر الخ».

٥- واعلم أن المراد بالقبر، الذي يثاب الميت أو يعاقب فيه وفيه أهوال بعده هذه النشأة بناء على ماورد عن الأئمة الطاهرين ﷺ عالم البرزخ؛ في «مرأة العقول»: «الحيات والعقارب إما مثالية تلذع الأجساد المثالية أو هي المتولدة من القبر» ونقل عن شيخنا البهائي: «فلعل عدد هذه الحيات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد وسائر الأخلاق والملكات الردية، فإنها تشعب وتنوع أنواعاً كثيرة». وهي بعينها تقلب حيات في تلك النشأة. قال شيخنا الأقدم العلامة المجلسي (قده) في «مرأة العقول»: «لعل المراد بالقبر عالم البرزخ» والروايات الواردة في عذاب القبر صريحة على ما ذكره (ره).

٦- الأنفال (٨) الآية ٤٤.

٧- البقرة (٢) الآية ١٥٦.

كشف غطاء

اعلم أن الموت يرد على الأوصاف ، لاعلى الذوات ؛ لأنه تفريق لا إعدام ورفع ، وأن المقابر بعضها عرشية وبعضها فرشية ، لأن الله سبحانه أبدع بقدرته الكاملة دائرة العرش بعقلها ونفسها ، فجعلها مأوى القلوب والأرواح وأنشأ بحكمته البالغة نقطة العرش وجعلها مسكن الطبائع والأجساد ، ثم أمر بمقتضى قضائه الأزلي وصوره الإسرافيلي لتلك الأرواح والقلوب الفرشية أن تعلق بالقوالب والأبدان الفرشية ، ثم أمر بقدره الحتمي أن يقبل قابلية هذه القوالب والأجساد واستعدادهما شطراً من الأزمنة هذه القلوب والأرواح ، كما شاء الله فإذا بلغ أجل كتاب الله الذي هو آتٍ وقرب الموعد للممات والملاقات للحياة ، رجعت الأرواح إلى رب الأرواح قائلين : «إنا لله وإنا إليه راجعون» وعادت الأشباح إلى التراب الرميم : «منها خلقناكم وفيها نعيدكم»^١.

وأما الأرواح الكدرة الظلمانية المنكوسة والنفوس الشقية التي كفرت بأنعم الله «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف»^٢ ، فقصدت مع أثقالها من حضيض الفرش إلى جهة العرش بأجنحة مغصوصة وأيدي مغلولة بحبائل التعلقات^٣ فصاروا معلقين بين الفرش والعرش «ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم»^٤ ، فالمقابر العرشية للسابقين المقربين والقبور الفرشية إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران : «فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة»^٥ والعرش مقبرة الأرواح العرشية والفرش مقبرة

١- طه (٢٠) الآية ٥٥.

٢- النحل (١٦) الآية ١١٢.

٣- فى الشواهد : «وأرجل مقيدة بقيود الشهوات وكلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، فصاروا منكوسين معلقين بين الفرش والعرش «ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم» فظهر أن الموت وارد على الأوصاف لاعلى الذوات الخ» . ص ٢٠٠.

٤- السجدة (٣٢) الآية ١٢.

٥- الأعراف (٧) الآية ٣٠.

الأجساد الفرشية : « كما بدأنا أول خلق نعيده »^١.

إشراق

اعلم أن كل من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا، لرآه مشحوناً بأنواع الموزيات والسباع مثل الشهوة والغضب والحسد والحقد والكبر والمكر والرياء والعجب^٢ إلا أن أكثر الناس محجوب العين من مشاهدتها، فإذا انكشف الغطاء ووضع في قبره عاينها وقد تمثلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيتها، فيرى بعينه العقارب والحيات التي هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه، فهذا عذاب القبر إن كان شقياً ويقابله إن كان سعيداً^٣ وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر أنه قال : « هل ترون فيما ذا انزلت : « فإن له معيشة ضنكاً » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : في عذاب الكافر في قبره تسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً، هل تدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ».

فانظر أيها العارف بعين التدبر والاعتبار في هذا الحديث وتبصروا هتد بأن هذا الحديث ونظائره الواردة من أرباب العصمة عليهم السلام في أحوال القيامة وأهوالها، حق وصدق ولا تكن كالمفلس الجاهل بأحكام الآخرة وأحوال القيامة، ينكرون هذا وأمثاله ويقول

١- الأنبياء (٢١) الآية ١٠٤.

٢- « وهي التي لا يزال يفرسه وينهشه وإن سهي عنها لحظة » الشواهد الربوبية، ص ٢٠٠.

٣- « فبالموت يتجرد النفس عن البدن وليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية وهي عند الموت فارقة بمفارقة البدن عن دار الدنيا، مدركة ذاتها بقوتها الوهمية عين الإنسان المقبور، الذي مات على صورته كما كان في الرؤيا يشاهد نفسها على صورتها التي كانت في الدنيا بعينها ويشاهد الأمور، مشاهدة عيان بحسها الباطني فيرى بدنها مقبورة ويشاهد الآلام الواصلة إليها على سبيل العقوبات الحسية، على ماوردت به الشرايع الحققة وهذا عذاب القبر وإن كانت سعيدة، فيتخيل ذاتها وصور أعمالها ونتائج ملكاتها وسائر المواعيد النبوية عليها السلام فوق ما كانت يعتقدونها من الجنات والحدائق والخور العين والكاس من المعين وهذا ثواب القبر، فالقبر الحقيقي هذه الهيئات وعذابه وثوابه ما ذكرناه » الشواهد الربوبية، ص ٢٠١.

٤- طه (٢٠) الآية ١٢٤.

إنني نظرت في قبر فلان فلم أر شيئاً من تلك الحيات أصلاً؛ ولا يعلم هذا العنيد في معرفة الله، أن هذا التنين له صورة غائبة عن هذه الحواس، إذ مدركاتنا مختصة بما له وضع مادي بالنسبة إلى محل الحس الدائر، وليست لهذه الحيات والعقارب، صور خارجية عن ذات الميت، لأنها صور أخلاقه وأعماله؛ فصورة التنين كانت مع الكافر المنافق قبل موته أيضاً متمكنة من باطنه، لكن لم يكن شاعراً بهذه الحيات ورؤوسها.

قال بعض العلماء: أصل هذا التنين حب الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ويتشعب منه رؤوس بعدد ما يتشعب من حب الدنيا من الأخلاق الذميمة، «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة»^١ فحققت عليهم كلمة العذاب.

ومما يدل على تجسم الأعمال والأخلاق ما قال فيثاغورس: اعلم أنك سيعارض لك في أقوالك وأفعالك وأفكارك وسيظهر لك من كل حركة فكرية أو قولية أو فعلية، صور روحانية وجسمانية؛ فإن كانت الحركة غضبية أو شهوية صارت مادة شيطان تؤذيك في حياتك وتحجبك عن ملاقة النور بعد وفاتك، وإن كانت الحركة عقلية صارت ملكاً ملتزداً ملتزداً منه في دنياك وتهتدي بنوره في آخرتك (أخراك - خ. ل) إلى جوار الله وكرامته.

في البعث [وكيفية حشر الإنسان وظهوره في العالم]

اعلم أن البعث هو خروج النفس عن غبار الهيئات البدنية المحيطة بها، كما يخرج الجنين من قرار المكين ومدة كون الميت في القبر ككون الجنين في الرحم، ونسبة حالة القبر إلى حالة البعث كنسبة الجنين إلى المولود. «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون»^١ وقد ثبت أن للإنسان نشآت وجودية بعد هذا الوجود ونشآت وجودية قبله كل بإزاء نظيره، وقد وقع الإشارة إلى الأطوار السابقة في قوله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى»^٢ أي أخذ أرواحهم من ظهور آبائهم العالية، فإذا ثبت أن له العود (العهد - خ . ل) إليها إما شقياً أو سعيداً، فبعثك قدومك إلى الله تعالى ومثولك بين يديه إما فرحاً ببلقائه، وإما كارهاً له «ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^٣.

١- المؤمنون (٢٣) الآية ١٠٠.

٢- الأعراف (٧) الآية ١٧٢.

٣- الجنة جنتان، جنة روحانية وجنة جسمانية: فالأولى تنشأ عن التفكير في الآفاق والأنفس والتدبر في آيات الله وكيفية صدور الأشياء منه تعالى والاستدلال من المحسوسات على المجردات والسباحة في ديار الكليات المرسله والعقول القدسية وكيفية رجوع الأشياء إليه تعالى وكيفية وجود الجنة والنار والمعاد والصراط وغيرها
←

تكملة

اعلم أن أجناس العوالم والنشآت ثلاثة : الدنيا وهي عالم الماديات والطبيعات ، والآخرة وهي عالم التعليميات والرياضيات ، وماوراء الدنيا والآخرة جميعاً - وهو البرزخ - عالم المفارقات والعقليات ؛ فالنشأة الاولى هالكة دائرة ، بخلاف الباقيين وخصوصاً الثالثة التي هي المآل الحقيقي للمقربين ، والإنسان حقيقة مجتمعة من هذه العوالم والنشآت باعتبار إدراكاته الثلاثة ، وكلما غلب عليه واحد منها ، يكون مآله إلى أحكام ذلك وبهذه المآلات الثلاثة وقع الإشارة في قوله تعالى : « فريق في الجنة



من المعارف والعلوم ، التي كانت في هذه النشأة بذر المشاهدة في الآخرة (الدنيا مزرعة الآخرة ، العيش عيش الآخرة) ولذا قال الصادق عليه السلام : « لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله ما مدوا أعينهم إلى مامتع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا » . واللجنة الجسمانية تنشأ من الأعمال الصالحة من الصلوة والصوم والحج والأخلاق الفاضلة ، فالنفس باعتبار اكتساب الأخلاق الفاضلة تبدع الصور الجسمانية في صقعها الداخلية وتحشر معها ، فالنفس الانسانية بعد خروجه عن الدنيا تزيل عنها الشواغل الجسمانية ويحشر جميع قواها في قوة واحدة ، فلها في الآخرة إيجاد كل شيء شئت بإذن الله تعالى ولا تحتاج في إيجاد شيء من مشتهياتها إلى المادة الجسمانية الواقعة في دار الحركات وكل ما يخطر ببالها ، تصير حاضرة عندها ومثولة بين يديها .

والنار أيضاً ناران : نار معنوية روحانية عقلانية ونار محسوسة شبيهة جسمانية ؛ فالاولى تنشأ من حرمان القوة العقلية ، عن الكمالات النفسانية والعلوم الحقيقية والمعادنة مع العلوم الالهية والمعارف الحققة وإنكارها وجحودها وإنكار المبدأ والمعاد والشك في رتبة الأنبياء والاولياء ورسوخ العقائد الباطلة والآراء الرديئة والنار المحسوسة مبدأ حصولها ووجودها الإعراض عن متابعة الأنبياء والانغمار في الشهوات والولع في الدنيا وزخارفها والنفس بعد استمرار مزاولة الأعمال السيئة والأفعال المذمومة ، تصير متصوره بصور مناسبة لمكانتها وأفعالها وتصير مظهراً للصور الحيات والعقارب والسموم وربما لا يحشر بصورة الإنسان وتصير من زمرة الشياطين والوحوش قال المشنوي :

اي دريده پوسـتـين يوسـفـان گرگ برخيزى از اين خواب گران .

وقد ثبت في مقره أن أفراد الناس وإن كانوا بحسب بدو الوجود والولادة داخلين تحت نوع واحد وليكن باعتبار حشرها ورجوعها إلى الآخرة ، أنواع متباينة ، وفي الكتاب والسنة إشارات لطيفة إلى حقيقة هذا القول .

وفريق في السعير^١ وفريق في جوار الله وحضرته «في مقعد صدق عند مليك مقتدر»^٢ فمن غلب عليه التعلقات الدنيوية والمستلذات الحسية، فهو عند وفاته يتعذب بفقدان المحسوس وفواته، فهو أليف غصة دائمة ورهين عذاب أليم^٣ ومن غلب عليه خوف عذاب الآخرة ورجاء الجنة والمغفرة والزهد في الدنيا والانقطاع عن هذه اللذات العاجلة، فمآله إلى دار السلامة والدخول في أبواب الجنان، والأمين عذاب النيران ومن غلب عليه إدراك الأمور الإلهية والتشوق إلى الإحاطة بالعقليات، فمآله إلى الانخراط في سلك الملوك وهذه غاية ما يصل إليه البشر بقوة سلوكه العروجي على صراط التوحيد، فمن كان شأنه هذه فقد فاز فوزاً عظيماً ومن عانده وأنكر طريقة طلباً للحطام ورياسة على الأقران فقد خسر خسراناً مبيئاً.

والقسم الأول الغالب عليهم التعلقات البدنية والمستلذات الحسية، على قسمين: قسم منهم يتعذب دائماً وقسم لم يتعذب دائماً وإلى هذا أشار سقراط معلم أفلاطون الإلهي: «أما الذين ارتكبوا الكبائر فإنهم يلقون في طرطارس^٤ ولا يخرجون منه أبداً وأما الذين ندموا على ذنوبهم مدة عمرهم وقصرت آثامهم عن تلك الدرجة، فإنهم يلقون في طرطارس سنة كاملة يتعذبون، ثم يلقىهم الموج إلى موضع ينادون منه خصومهم يسألونهم الإحضار على القصاص، لينجوا من الشرور؛ فإن رضوا عنهم وإلا أعيدوا إلى طرطارس ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن يرضى خصومهم عنهم، والذين كانت سيرتهم فاضلة يتخلصون من هذه المواضع، من هذه الأرض ويستريحون من هذه المحابس (المحبس - خ. ل) ويسكنون الأرض النقية».

١- الشورى (٤٢) الآية ٧.

٢- القمر (٥٤) الآية ٥٥.

٣- في «المبدأ والمعاد»: «لأن اللذات الدنيوية لاحقيقة لها والملايمات الحسية أمور مجازية، فمن عشقها واعتاد بها يكون كمن عشق أمراً معدوماً وطلب شيئاً باطلاً لم يكن له ثمروا عنه خير.» ص ٣٢٠.

٤- يأتي في آخر الكتاب معنى الطرطارس وقد ذكر الأستاذ المحقق معنى هذه الجملة في المقدمة التي ذكر في أول الكتاب ولقد لبى ربّه في سنة ١٣٥١ هـ . ش.

الفن الثاني : في المباحث المتعلقة بالمعاد / ١٤٧

قال المترجم : «طرطارس شق كبير وأهوية تسيل إليها الأنهار على أنه يصفه بما يدل على التهاب النيران، وكان (كانه - خ . ل) يعني به البحر أو قاموساً فيه دردور، والدردور الماء الذي يدور ويخاف فيه الغرق، أعاذنا الله وإياكم من دردور النار» .

في الحشر [وتحقيق أن الزمان علة التعاقب وسبب اختفاء الموجودات ، وعند ارتفاع الزمان والمكان تجتمع الخلائق كلهم]

اعلم أن الزمان علة التعاقب في الوجود والمكان علة التكاثر والافتراق في
الحضور ، فهما سببان لاختفاء الموجودات بعضها عن بعض ؛ فإذا ارتفعا في القيامة
ارتفعت الحجب بين الخلائق ، فيجتمع الخلائق كلهم الأولون والآخرون «قل إن الأولين
والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم»^١ وهو يوم الجمع ، لأن الحشر بمعنى الجمع
«وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً»^٢ وهو يوم يتميز فيه المتشابهات لقوله : «ليميز الله
الخبيث من الطيب»^٣ وينفصل الخصمان لقوله : «ليحق الحق ويبطل الباطل»^٤ وقوله :
«ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»^٥.

١- الواقعة (٥٦) الآيتان ٤٩-٥٠ .

٢- الكهف (١٨) الآية ٤٨ .

٣- الانفال (٨) الآية ٣٧ .

٤- الانفال (٨) الآية ٨ .

٥- الانفال (٨) الآية ٤٢ .

توضيح

اعلم أن حشر الخلائق على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وملكاتهم، فلقوم على وجه التعذيب «ويوم يحشر أعداء الله إلى النار» ولقوم أعمى «ونحشره يوم القيامة أعمى»^١ وبالجملة يحشر كل أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يحبه حتى أنه لو أحب أحدكم حجراً يحشر معه، فيحشر الخلائق على صور ضمائرهم ونياتهم وعليه يحمل معنى التناسخ الوارد في لسان الأقدمين.

إشراق عقلي

اعلم أن في باطن كل إنسان وإهابه حيواناً إنسانياً بجميع أعضائه وحواسه وقواه وهو موجود الآن ولا يموت بموت البدن العنصري اللحمي، بل هو الذي يحشر يوم القيامة ويحاسب وهو الذي يثاب ويعاقب وحيوته ليست كحياة هذا البدن عرضية، بل حياته كحياة النفس ذاتية، وهو حيوان متوسط بين الحيوان العقلي والحيوان الجسمي، يحشر في الآخرة على صور أعماله ونياته^٢.

حكمة كشفية

قال صاحب الكشف: القيامة قيامتان، قيامة صغرى وهي معلومة من مات فقد قامت قيامته، والكبرى ووقته مبهمه ولها ميعاد عند الله ومن وقتها فهو كاذب لقوله ﷺ

١- فصلت (٤١) الآية ١٩.

٢- طه (٢٠) الآية ١٢٤.

٣- وقد قرر في محله أن تكرر الأعمال - حسنة كانت أو سيئة - يوجب ثبوت الملكات في النفس وكل ملكة حاصلة في الدنيا بواسطة تكرر الأعمال، تتصور في الملكوت بصورة مناسبة لها وأهل الدنيا لتوجههم بهذه النشأة وزخارفها، تحصل في باطن أنفسهم بواسطة تكرر أعمال البهائم والدواب، صور البهيمة والسباع ويحشرون يوم القيامة بصور ملكاتهم ونياتهم وعن النبي ﷺ: «يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير».

«كذب الوقاتون» وكل ما في القيامة الكبرى، فله نظير في الصغرى لما علمت أن الإنسان عالم صغير وأحواله أُنموذج من أحوال الإنسان الكبير ومفتاح معرفة هذه الحقائق معرفة الإنسانية، فمعنى القيامة الكبرى ظهور الحق بالوحدة التامة وطبي السماوات وقبض الأرض واندراس الأزمنة والأمكنة واضمحلال المواد والأشخاص ورجوع الخلائق كلهم إلى الله وعود الروح الأعظم وفناء الكل عنده حتى الأفلاك والأملأك والنفوس والأرواح، كما قال: «فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله»^١ وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى، فأهل الحجاب وأصحاب الظن والارتباب يزعمون يوم القيامة بعيداً عن الإنسان بحسب الزمان، كما قال: «وما أظن الساعة قائمة»^٢ وغائباً عنه بحسب المكان، كما قال: «ويقذفون بالغيب من مكان بعيد»^٣ وأهل البصيرة واليقين فيرونه قريباً بحسب الزمان، كما قال: «اقتربت الساعة وانشق القمر»^٤ ويرونه حاضراً بحسب المكان، كما قال: «واخذوا من مكان قريب»^٥ وقس الآخرة بالاولى والموت بالولادة والولادة الكبرى بالولادة الصغرى والدنيا بالآم والقبر بالرحم والبدن بالمشيمة والقيامة يوم جزاء بلا عمل ويوم الشريعة يوم عمل بلا جزاء وتعبد بلا ثواب.

قاعدة في سر القيامة وزمانها ومكانها

اعلم أن القيامة من داخل حجب السماوات والأرض ومنزلتها من هذه الحجب كمنزلة الجنين من الرحم لآمه ولذلك لا يقوم القيامة إلا «إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها»^٦ و «إذا السماء انشقت»^٧ وأذنت لربها وحقت»^٨، وإذا

١- الزمر (٣٩) الآية ٦٨.

٢- الكهف (١٨) الآية ٣٦.

٣- سبأ (٣٤) الآية ٥٣.

٤- القمر (٥٤) الآية ١.

٥- سبأ (٣٤) الآية ٥١.

٦- الزلزلة (٩٩) الآيتان ١ - ٢.

٧- الانشقاق (٨٤) الآيتان ١ - ٢.

الكواكب انتشرت» و «إذا الشمس كورت»، «وإذا البحار فجرت وإذا الجبال نسفت وإذا الصحف نشرت وإذا الجحيم سعرت»^١ وقوله ﷺ : «لا تقوم القيامة^٢ وفي وجه الأرض من يقول الله الله» إشارة إلى أن الرجل مادام خارج الحجب، فالقيامة سر على علمه فإذا قطع الحجب، صارت القيامة علانية عنده بعد ما كانت غائباً عنه وكانت القيامة عند نبينا ﷺ علانية حين قطع حجب السماوات والأرض «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»^٣ وسميت القيامة ساعة، لأنها تسعى إليها النفوس لا بقطع المسافات المكانية، بل بقطع الأنفاس الزمانية بحركة جوهرية ذاتية وتوجه إلى الله تعالى : «إن الساعة لأتية لارب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون»^٤.

تذنيب

اعلم أن ارض المحشر هي هذه الأرض التي في الدنيا، إلا أنها يتبدل غير الأرض فتمدد الأديم وتبسط، فلا يرى فيها عوجاً يجمع فيها جميع الخلائق من أول الدنيا إلى آخرها، لأنها اليوم مبسوطة على قدر يسع الخلائق كلها ومعنى مدّها وبسطها أن مجموع الأمكنة الواقعة في كل وقت، كما يتصل الانات في نظر شهوده تعالى، كذلك الأرض الموجودة في الآزال والآباد، فتصير الأراضي كلها أرضاً واحدة فيها الخلائق كلها، كما قال : «واشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون»^٥.

١- الانفطار (٨٢) الآية ٢.

٢- قوله : «لا تقوم القيامة ...» والمراد أنه لا تقوم القيامة الساعة وفي الأرض إنسان كامل أي لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول قولاً حقيقياً «الله الله» وأتم الخلق معرفة بالله صاحب العصر عليه السلام وكان ظهوره من أشراط الساعة.

٣- النجم (٥٣) الآية ١٨.

٤- غافر (٤٠) الآية ٥٩.

٥- الزمر (٣٩) الآية ٦٩.

في الصراط [وبيان أنه طريق الحق ودين التوحيد، ونقل الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام في الصراط]

الصراط^١ طريق الحق ودين التوحيد، الذي جمع الأنبياء والرسل عليهم السلام ومتابعيهم والصراط المستقيم الذي إذا سلكت أوصلك إلى الجنة، هو صورة الهدى الذي أنشأته لنفسك مادمت في عالم الطبيعة من الأعمال القلبية، فهو في هذه الدار كسائر المعاني

١- روى الصدوق في «معاني الأخبار» بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الصراط فقال عليه السلام: «هو الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا، زلت قدمه على الصراط في الآخرة وتردى في نار جهنم» وعن الصادق عليه السلام: «الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام» وعنه أيضاً: «إن الصورة الانسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار»، روى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام: «أن الناس يرون على الصراط طبقات والصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس ومنهم من يمرّ حبواً ومنهم من يمرّ مشياً ومنهم من يمرّ معلقاً، قد يأخذ النار منه شيئاً ويترك شيئاً وروى أن مروهم على الصراط على قدر نورهم».

وفي خبر آخر «إن الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر المارين عليه». ولما كان الصراط ممدوداً على النار، فلا بدّ لكل أحد من الورود عليه، لأن الاستكمالات الجوهرية مبدأ سلوكها هو الطبيعة ولا بدّ لكل إنسان سعيد أو شقيّ المرور عليه، لأن أصل الجهنم كان من الدنيا وأصله ومادته هو تعلق النفس بأمور الدنيا وزخارفه.

الغائبة عن الحواس ، لا يشاهد له صورة حسية ؛ فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت يمد لك يوم القيامة جسراً محسوساً على متن جهنم ، أوله في الموقف وآخره على باب الجنة يعرف من يشاهده أنه صنعتك و بناؤك ويعلم أنه قد كان في الدنيا جسراً معدوداً على متن جهنم طبيعتك ، التي قيل لها «هل امتلأت» فتقول : «هل من مزيد» ليزيد في طولك وعرضك وعمقك من ظل ذي ثلاث شعب وهذا معنى صراط الله لقوله : «وانك لتهدى إلى صراط مستقيم» * صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض^١ والانحراف عنه ، توجب السقوط عن الفطرة والهوى إلى جهنم .

واعلم أن انبياء الله ورسله صراط الله في عالم الدنيا ؛ فمن تخلف عنهم هوى إلى دار الجحيم ، فللصراط المستقيم وجهان : أحدهما أدق من الشعر والآخر أحد من السيف ، فكذلك للنفوس الإنسانية وجهان وقوتان علمية وعملية ، فمن كمل قوته باكتساب المعارف الإلهية والاقتناء بالعلوم الربانية والاجتناب عن محارم الله ومناهيه ، فقد تيسر له العبور عن هذا الصراط كالبرق الخاطف .

زيادة كشف وتوضيح

قال الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي - رحمه الله - «اعتقادنا في الصراط أنه حق وأنه جسر جهنم وأن عليه ممر جميع الخلق قال الله تعالى : «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً»^٢ قال : «والصراط في وجه آخر اسم حجج الله ، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم ، أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة» ، وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام : «يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط ولا يجوز على الصراط أحد إلا من كانت معه مبرة بولایتك» ، وقال رسول الله ﷺ : «شعار المؤمنين على الصراط رب سلم ، رب سلم» ، وقال بعض

١- الشورى (٤٢) الآيتان ٥٢-٥٣ .

٢- مريم (١٩) الآية ٧١ .

أهل الشهود: «إن الله خلق الصراط من رحمته أخرجها للمؤمنين، فالصراط للموحدين خاصة والكفار لاجواز لهم عليه، لأن النار قد التقطت من الموقف جناثرهم» والصراط يدق ويتسع على حسب منازل الموحدين، الدقة للمذنبين والسعة للمتقين والأصل للأنبياء والأولياء والسرعة والإبطاء في قطع الصراط على قدر القرب، فأولهم زمرة يقطع في مثل طرف العين ولمع البرق وهم الأنبياء ﷺ، ثم في مثل الريح والطير وهم الصديقون والأولياء، والثالثة مثل حضرة الفرس وأجاويد الخيل وهم المجاهدون أنفسهم، والرابع مثل الراكب رجله وهم المتقون، والخامسة في مثل سعى الرجل وهم العابدون، والسادسة مشياً وهم العمال المستورون، والسابعة جثواً وهم المتهتكون من الموحدين.

تنبيه في أحوال تعرض يوم القيامة

اعلم أنه إذا ظهر نور الأنوار وانكشف جلال وجه الله القيوم^١ وغلب سلطان الأحدية واشتدت جهات الفاعلية وأخرجت القوابل والمستعدات من القوة إلى الفعل وانتهت الحركات إلى غاياتها وبرزت الحقائق من مكامن غيبها وحجب موادها انخرط كل ذي مبدأ في مبدئه ورجع كل شيء إلى أصله وعاد كل ذي غاية إلى غايته: «إلا إلى

١- اعلم أن التجلي من حيث الإطلاق والأحدية يفنى كل التعينات وهذا التجلي يحصل للكمل في بعض حالات السلوك ولا يكون مقاماً لهم وللإنسان الختمي وأوصيائه العصومين في كل الحالات وكان مقاماً لهم لقيام قيامتهم في هذه النشأة وقد أخبر علي عليه السلام عن هذا بقوله: «لو كشف الغطاء لما ازدادت يقيناً» وإليه أشار نبينا محمد ﷺ بقوله «الآن قيامتي قائم» ونعم ما قال العارف البارع المولى الرومي قدس الله سره:

زاده ثابست احمد در جهان	صد قيامت خود از او گشته عيان
زو قيامت را همی پرسیده اند	كي قيامت تا قيامت راه چند
با زبان حال ميگفتي بسي	كه ز محشر حشر را پرسد كسي
بهر آن گفت آن رسول خوش پيام	رمز موتوا قبل موت يا كرام
همچنانكه مرده ام من قبل موت	زان طرف آورده ام اين صيت و صوت
بس قيامت شو قيامت را بين	ديدن هر چيز را شرط است اين

الله تصير الأمور»^١، «لن الملك اليوم لله الواحد القهار»^٢، «ولله ميرات السماوات والأرض»^٣ وإذا اتصل كل فصل إلى أصله والتحق كل فرع إلى أصله وبلغ كتاب كل شيء أجله، وجمع الشمس والقمر وانكدر نور الكواكب وكورت الشمس وانتشرت الكواكب وخسف القمر ورجعت السماوات والأرض على ما كانتا عليه «يوم نظوي السماء كطي السجل»^٤ «يوم تبدل الأرض غير الأرض»^٥ «وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة»^٦ يرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب، جهنم وسميت بهذا الاسم لبعدها قعرها يقال بثر جهنم، أي بعيد القعر.

ويوضع الصراط من الأرض علواً إلى سطح فلك الكواكب وهو فرش الكرسي من حيث باطنه ولذلك قيل أرض الجنة الكرسي وسقفها عرش الرحمان ويوضع الموازين في أرض المحشر «والوزن يؤمئذ الحق»^٧ للرحمن ويرتفع الحجب بين الله وبين عباده وهو معنى كشف الساق «يوم يكشف عن ساق»^٨، فلا يبقى أحد على أي دين كان إلا سجد لله خاصة بالسجود المعهود.

١- الشورى (٤٢) الآية ٥٣.

٢- غافر (٤٠) الآية ١٦.

٣- الحديد (٥٧) الآية ١٠.

٤- الانبياء (٢١) الآية ١٠٤.

٥- ابراهيم (١٤) الآية ٤٨.

٦- الحاقة (٦٩) الآية ١٤.

٧- الأعراف (٧) الآية ٨.

٨- القلم (٦٨) الآية ٤٢.

المظهر الثامن

في نشر الصحائف وإبراز الكتب، وكيفية بروز السرائر في القيامة الكبرى والصغرى]

اعلم أن القول والفعل مادام وجودهما في أكوان الحركات والأصوات، فلاحظاً
لهما من البقاء والثبات ولكن من فعل فعلاً أو نطق بقول يحصل منه أثر في نفسه وحالة
تبقى زماناً، وإذا تكررت الأفاعيل استحكمت الآثار في النفس، فصارت الأحوال
ملكات فيجتمع في ذاته وخزانة مدركاته وهو كتاب منطو اليوم عن مشاهدة الأبصار،
فيكشف له بالموت ما يغيب عنه في حال الحياة مما كان مسطوراً، فكل من فعل مثقال ذرة
خيراً أو شراً وجده مكتوباً في صحيفة ذاته أو صحيفة أعلى منها وهو نشر الصحائف،
فإذا حان وقت أن يقع بصره على وجه ذاته انكشف له عند ذلك قائلاً: «ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها»^١ وعند ذلك يكون حديد البصر قارئاً لكتاب نفسه
«فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»^٢ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً* اقرء
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً»^٣

١- الكهف (١٨) الآية ٤٩.

٢- ق (٥٠) الآية ٢٢.

٣- الاسراء (١٧) الآيتان ١٣ - ١٤.

وقد ورد في هذا الباب ^١ من طريق أهل البيت عليهم السلام وغيرهم أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله، منها: ما روي عن قيس بن عاصم أنه قال عليه السلام: «يا قيس إن مع العز ذلاً وإن مع الحياة موتاً وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيء رقيباً وعلى كل شيء حسيباً وإن لكل أجل كتاباً وإنه لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت معه، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لثيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ولا تستل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً؛ فإنه إن صلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك» ومنها قوله عليه السلام: «إن الجنة قيعان وإن غراسها سبحان الله»، ومنها: «المرء مرهون بعلمه»، ومنها: «خلق الكافر عن ذنب المؤمن»، فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكان معلوماته أموراً مقدسة فقد أوتى كتابه يمينه من جهة عليين «ان كتاب الابرار لفي عليين»^٢ ومن كان من الأشقياء المردودين وكان معلوماته مقصورة على الجزئيات فقد أوتى من جهة سجين «ان كتاب الفجار لفي سجين»^٣ لكونه من المجرمين المنكوسين «ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم»^٤.

١- وهو يوم تبلى السرائر يصير الغيب فيه شهادة والسر علانية والخبر عياناً وأهل الغفلة إذا وقع أبصارهم على ذلك الكتاب، يقولون: «ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها». ولذا عبر عن القيامة بيوم تبلى السرائر، والدليل عليه أن النفس مادام كونها في هذه النشأة لاشتغالها بتدبير البدن وتوجهها إلى المشتهيات الدنيوية وتصادفها مع العلل الاتفاقية، ليست لها الاقتدار على رؤية صحيفة نفسها ولكن بعد رجوعها إلى الآخرة واستغنائها عن البدن تصير مستكفية بذاتها وما يتعلق بها من القوى والصور الموجودة في غيب ذاتها، إن كانت معلوماتها أموراً قدسية وأعمالاً صالحة «فروح وريحان وجنة نعيم» وإن كانت مدركاتنا أعمالاً سيئة «فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً» فصحيفة نفس كل إنسان كتاب يقرء فيها أعماله وأفعاله، إن كان من أهل الحسنات فقد أوتى كتابه يمينه، وإن كان من أهل السيئات فقد أوتى كتابه بشماله، «إن كتاب الابرار لفي عليين» وما أدريك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون». «ان كتاب الفجار لفي سجين» وما أدريك ما سجين * كتاب مرقوم.

٢- المطففين (٨٣) الآية ١٨.

٣- المطففين (٨٣) الآية ٧.

٤- السجدة (٣٢) الآية ١٢.

تتميم في الميزان والحساب

قال تعالى: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً»^١ اعلم أن الحساب عبارة عن جمع تفاريق الأعداد والمقادير، وفي قدرة الله أن يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم وسيئاتهم، وهو أسرع الحاسبين، واختلف في معنى الميزان ف قيل: إن الموازين هم الأنبياء والأوصياء ويدل بذلك ما سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» قال عليه السلام: «الميزان هو الأنبياء والأوصياء»^٢ وقيل هي ميزان العلوم ولا تفاوت بين القولين، لأن ميزان العلوم هو القرآن وهم عليه السلام حاملوه.

واعلم أن الموازين الواردة في القرآن في أصل ثلاثة: ميزان التعادل وميزان التلازم وميزان التعاند، لكن الأول ينقسم إلى ثلاثة أقسام، الأكبر والأوسط والأصغر، فيصير الموازين خمسة. فمن تعلم هذه الموازين الخمسة التي أنزلها الله في كتابه المنزل على رسوله، فقد اهتدى ومن ضل عنها وعمل بالرأى، فقد غوى وتردى. فالأول وهو أكبر من التعادل ميزان الخليل عليه السلام استعمله مع غرود وهو كما حكى الله بقوله: «ربى الذي يحيى ويميت - إلى قوله - فبهت الذي كفر»^٣ الثاني الميزان الأوسط وهو أيضاً واضعه الله ومستعمله الأول إبراهيم عليه السلام حيث قال: «لا أحب الأفلين»^٤ الثالث الميزان الأصغر فهو أيضاً مبناه من الله حيث علم نبيه محمداً صلى الله عليه وآله في القرآن وهو قوله: «وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر ...»^٥ الرابع ميزان التلازم وهو مستفاد من قوله تعالى: «لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا»^٦ الخامس ميزان التعاند أما موضعه من القرآن

١- الأنبياء (٢١) الآية ٤٧.

٢- البقرة (٢) الآية ٢٥٨.

٣- الأنعام (٦) الآية ٧٦.

٤- الأنعام (٦) الآية ٩١.

٥- الأنبياء (٢١) الآية ٢٢.

فهو قوله تعالى تعليماً لنبيه ﷺ «قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وأنا اواياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» وبالجمله ميزان كل شيء يكون من جنسه، مثلاً ميزان الفلسفة المنطق، وميزان الدوائر والقسي الفرجار، وميزان الأعمدة الشاقول، وميزان الشعر العروض، وميزان الخطوط المسطر، فميزان القيامة^٢ من جنس عالم الآخرة. وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله : «اعتقادنا في الحساب أنه حق، منه من يتولاه الله، ومنه من يتولاه حججه، فحساب الأنبياء ﷺ والائمة ﷺ يتولاه عزوجل ويتولى كل نبي حساب أوصيائه، ويتولى الأوصياء حساب الأمم.»

واعلم أن هذا الميزان برهان معرفة الله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوته، ليعلم كيفية الوزن به تعليماً من قبل أنبيائه ﷺ كما تعلم الأنبياء ﷺ من

١- سبأ (٣٤) الآية ٢٤.

٢- روى الصدوق - عليه الرحمة - بإسناده عن هشام بن سالم قال : «سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عزوجل : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً قال : هم الأنبياء والأوصياء». وفي رواية أخرى عنهم ﷺ نحن الموازين القسط ليوم القيامة. وليعلم أنه ليس المراد من الميزان هذا الميزان الذي يوزن به الأجسام في الأسواق، كما أنه ليس المراد من الصحف القراطس المكتوبة والمراد بالصحف هي النفوس الانسانية المكتوبة في صحيفة وجودها كل صغيرة وكبيرة من اعمالها الحسنة والسيئة. وفي الاحتجاج الطبرسي عن الصادق ﷺ انه قيل له : او ليس توزن الاعمال : قال ﷺ : «لا، لأن الأعمال ليست اجساماً وإنما هي صفة ما عملوا وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها، وإن الله لا يخفى عليه شيء» قيل : فما معنى الميزان قال : «العدل» ؛ قال : فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه؟ قال : «فمن رجح عمله». وعن علي ﷺ : «الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان»، والميزان الحقيقي هو العدل الالهي، الذي لا يتحقق به إلا الانسان الكامل والانسان الكامل الختمي واولاده وورثته مشتمل على جميع الموازين وهم ملاك معرفة الآراء الصائبة والاقوال السديدة والأفعال الجميلة ولهم مقام احدية الجمع والفرق التي هي ظل الوحدة الحقيقية المشتملة على علم الشريعة والطريقة والحقيقة ولذا قيل في حقهم ﷺ : الميزان الأعمال وفيهم العدالة الواقعية فلهم الكمال المطلق في الحدوث والقدم، لأن للإنسان الكامل نسختين ظاهرة وباطنة فالنسخة الظاهرة مضاهية للعالم وباطنه للحضرة الالهية.

ملائكته، فالله هو المعلم الأول، والمعلم الثاني جبرئيل، والثالث المعلمين هو الرسول ﷺ، وأول من استعمل هذا الميزان أب الأنبياء وشيخهم إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم سائر الأنبياء إلى ابنه المقدس محمد ﷺ «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»^١.

تحقيق

اعلم أن لكل عمل من الأعمال الحسنة كالصلاة والصوم والقيام وغيرها، باعتبار تأثيره في النفس وتطهرها عن غواصق الطبيعة وجذبها من الدنيا إلى الآخرة، مقداراً معيناً وقوة معينة، وكذلك لكل عمل من الأعمال السيئة قدراً من التأثير، من أظلام جوهر النفس وتكثيفها وكل ذلك محجوب عن مشاهدة الخلق في الدنيا وعند وقوع القيامة ينكشف لهم، لأجل رفع الحجاب؛ فكل أحد مالم يتخلص ذاته بقوة اليقين ونور الإيمان عن قيد الطبيعة فذاته مرهونة بعمله، فهو بحسب مزاولة الأعمال والأفعال وثمراتها وتجاذبها للنفس إلى شيء من الجانبين بمنزلة ميزان ذي كفتين، إحدى كفتيه يميل إلى الجانب الأسفل أعني الجحيم بقدر ما فيها من متاعها الفانية والأخرى تميل إلى العالم الأعلى ودار النعيم بقدر ما فيها من متاع الآخرة الباقية، فإذا وقع التعارض بين الكفتين؛ فالحكم من الله العلي الأكبر في إدخاله إحدى الدارين، دار النعيم ودار الجحيم على حسب ميزانه.

واعلم أن كفة الحسنات في جانب المشرق وكفة السيئات في جانب المغرب، والأولى كفة أصحاب اليمين، والثاني كفة أصحاب الشمال، ولاتظن أنه إذا وقع الترجيح والمجازاة وقضى الحكم ونفذ الأمر تصير الكفتان، كلتاهما في حكم واحد في اليمينية والشمالية والمشرقية والمغربية والجنانة والجهنمية؛ فأهل السعادة كلتا يديهم تصير يمينية وكلتا يدي أهل الشقاوة تصير شمالية.

تذكرة في الحساب

الحساب جمع متفرقات شتّى ليعلم حاصل متفرقات الحسنى والسيئات، كما علمت سابقاً؛ اعلم أن طوائف الناس من جهة الحساب يوم الآخرة صنفان : صنف يدخلون الجنة ويرزقون نعيمها وهم ثلاثة أقوام :

المقربون الكاملون في المعرفة والتجرد، وهم لتنزههم وارتفاع مكانتهم عن شواغل الكتاب والحساب يدخلون الجنة بغير حساب، كما قال تعالى في حقهم : «ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء»^١ ومنهم جماعة من أصحاب اليمين لم يقدموا في الدنيا على معصية ولم يقتربوا سيئة ولا فساداً في الأرض، لصفاء ضمائرهم وقوة نفوسهم على فعل الطاعات وإيتاء الحسنات، فهم أيضاً يدخلون الجنة بغير حساب : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»^٢ ومنهم جماعة نفوسهم ساذجة وصحائف أعمالهم خالية من آثار السيئات والحسنات جميعاً فينالهم الله برحمة منه وفضل لم يمسه سوء العذاب، لأن جانب الرحمة أرجح من جانب الغضب، فهؤلاء أيضاً يدخلون الجنة بغير حساب «ورحمتي وسعت كل شيء»^٣.

وأما الصنف الثاني الذين هم أهل العقاب، فهم أيضاً ثلاثة أقسام : منهم قسم صحيفة أعمالهم خالية من العمل الصالح ولا محالة يكون كافراً؛ فيدخلون جهنم بلا حساب ومنهم قسم صدر منهم بعض الحسنات، لكن وقع في حقهم «وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون»^٤، «وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً»^٥

١- الانعام (٦) الآية ٥٢ .

٢- القصص (٢٨) الآية ٨٣ .

٣- الأعراف (٧) الآية ١٥٦ .

٤- هود (١١) الآية ١٦ .

٥- الفرقان (٢٥) الآية ٢٣ .

وقسم منهم في الحقيقة من أهل الحسنات حيث «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً»^١ فهؤلاء قسمان: قسم يناقش معهم في الحساب لكل دقيق وجليل، لأنهم بهذه الصفة عاشوا في الدنيا، والقسم الثاني وهم الذين كانوا يخافون سوء الحساب ويشفقون من عذاب يوم القيامة، فهؤلاء لا يعذبون كثيراً بالمناقشة معهم في الحساب.

تبصرة

اعلم يا حبيبي أنك مسافر من الدنيا إلى الآخرة وأنت تاجر، ورأس مالك حياتك، وتجارتك اكتساب المعارف، وهي زاد سفرك إلى معادك، وفائدتك وربحك هي حياتك الأبدية بنعيمها بلقاء الله ورضوانه، وخسرانك هو هلاك نفسك باحتجابك عن جوار الله ودار كرامته؛ واعلم أن الناقد بصير لا يقبل منك إلا الذهب الخالص وفضة الطاعة، فوزن حسناتك بميزان صدق واحسب حساب نفسك قبل أن توافي عمرك وقبل أن يحاسب عليك في وقت لا يمكنك التدارك، فالموازين مرفوعة ليوم الحساب وفيه الثواب والعقاب «فأما من ثقلت موازينه* فهو في عيشة راضية* وأما من خفت موازينه* فأما هاهوية* وما أدريك ماهية* نارحامية»^٢.

تنبيه

اعلم أن باطن الإنسان في الدنيا ظاهرة في الآخرة، وما كان لها غيباً هاهنا يصير شهادة هناك ويكون كل سرّ علانية؛ لأن للنفس في ذاتها سمعاً وبصراً وشمّاً وذوقاً ولمساً وتخيلاً وتصرفاً وفعلاً وحركة، وأن لها عيناً باصرة إلى ربها ناظرة وأذنّاً سامعة، يسمع بها كلمات الملائكة وأصوات طيور الجنان ونغماتها وشمّاً يشم به روائح الإنس ونسائم القدس، وذوقاً يذوق به طعوم الجنة ولمساً يلمس به حور العين وهي المشاعر الروحانية والحواس الباطنية وأنها مع محسوساتها من أهل الجنة، إن لم يحجبها سدّ

١- التوبة (٩) الآية ١٠٢.

٢- القارعة (١٠١) الآيات ٦- ١٠.

الفن الثاني : في المباحث المتعلقة بالمعاد / ١٦٣

ولم يمنعها مانع وأما هذه الخواص ، فهي دائرة ومحسوساتها مستحيلة كائنة فاسدة ،
يوجب العذاب الأليم والحرمان عن النعيم .

تذنيب في أن الجنة والنار حق

اعلم أن لله تعالى عالماً غير هذا العالم وهو عالم الآخرة وعالم الباطن وعالم
الغيب وعالم الملكوت ، وهذا العالم ، عالم الدنيا وعالم الظاهر وعالم الشهادة والملك
والخلق وهو ثابت الآن ومكانهما ليس في ظواهر هذا العالم ، لأنه محسوس وكل
محسوس بهذه الخواص ، فهو من الدنيا ، والجنة من عالم الآخرة ، نعم مكانهما في
داخل حجب السماوات ولهما مظاهر في هذا العالم وعليها تحمل الأخبار الواردة في
تعيين بعض الأمكنة لهما .

واعلم أن الأحاديث مختلفة في وجودهما وعدمهما ، فبعض الأحاديث تدل على
أنهما ليسا بموجودين الآن ، بل هما يكونان موجوداً بعد بوار الدنيا وخراب السماوات
والأرض وبعضها تدل على أنهما موجودان الآن ولا منافات بين الأحاديث التي وردت
عن أرباب العصمة وأصحاب الحكمة عليهم السلام لأن الجنة التي هي موجودة الآن هي الجنة
التي خرج عنها أبونا وزوجته لخطيئتهما ، والجنة والنار اللتان يحصلان بعد بوار الدنيا
هي جنة الأعمال والأفعال ، اللتان يتكونان بعد إتمام الأفعال والآثار .

وقال محمد بن علي بن بابويه القمي - رحمه الله - : «اعتقادنا في الجنة أنها
دار البقاء ودار السلام ، لاموت فيها ولاهرم ولاسقم ولامرض ولافقر وأنها دار الغناء»
وقال في النار : «اعتقادنا في النار أنها دار الهوام ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان
ولهما أبواب ودرجات ودركات «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب»^١ ، «لها سبعة
أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم»^٢ عصمنا الله وإياك من حر النار .

١-الرعد (١٣) الآية ٢٣ .

٢-الحجر (١٥) الآية ٤٤ .

خاتمة في أحوال تعرض يوم القيامة

منها: الأعراف وهو سور بين الجنة والنار له باب، باطنه فيه الرحمة وهي مايلي الجنة، وظاهره من قبله العذاب وهو مايلي منه النار، يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه، فهم ينظرون بعين إلى النار وبعين إلى الجنة «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم»^١.

ومنها: ذبح الموت فهو أن الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح ويأتي يحيى عليه السلام ويبيده الشفرة، فيذبحه وينادي منادياً: يا أهل النار خلوداً بلاموت، وليس في

١- الأعراف (٧) الآية ٤٦.

قال المحقق العظيم المولى الكاشاني (ره) في قرة العيون: «الأعراف إن كان اشتقاقها من المعرفة، فالأنبياء والاولياء عليهم السلام هم العارفون والمعروفون في هذه النشأة، وإن كان بمعنى العرف أي المكان العالي المرتفع، فهم الذين من فرط معرفتهم وشدة بصيرتهم كأنهم في مكان عالٍ مرتفع ينظرون إلى ساير الناس في درجاتهم ودركاتهم ويميزون السعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هذه النشأة»^٢، ص ٤٩٣. واعلم أن الاولياء لمكان ترفعهم عن هذه النشأة واتصالهم بالملا الأعلى، يرون أهل الجنة ومقاماتهم وأهل النار ودركاتهم في هذه النشأة ولكن مراتب الاولياء والكمليين مختلفة على حسب استعداداتهم وكمالاتهم وسيرهم المعنوي، وللروح، أي اللطيفة الانسانية من حيث ارتقائه إلى الملا الأعلى وعالم الأرواح واللوح (باصطلاح أهل العرفان) بطن ثالث وهو منفتح لخواصهم ولسان مرتبته جواب زبدن حارثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: أصبحت مؤمناً حقاً، حينما سأل النبي صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت؟ وقال: كاني أنظر إلى عرش الرحمن بارزاً. وهذه مرتبة ان تعبد الله كأنك تراه باصطلاح أهل المعرفة، هذه المرتبة تكون أوسط مراتب الإحسان كما أن للروح بطن رابع ولسانه قوله تعالى: لا يزال يتقرب عبدي إليّ بالنوافل حتى كنت سمعه وبصره الخ. وله بطن خامس وسادس وسابع وآخر هذه المراتب يختص بنبينا محمد وأهل بيته المعصومين - صلوات الله عليهم أجمعين - ولا يفتح شعة منه إلا لصاحب الإرث الحمدي، فإنهم السبيل الأعظم وستل على النبي صلى الله عليه وآله - علي مافي بصائر الدرجات - معنى الآية الشريفة: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم» قال النبي صلى الله عليه وآله: «ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار». وعن الباقر عليه السلام: «إن هذه الآية أنزلت في هذه الأمة والرجال هم الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الأعراف صراط بين الجنة والنار ومن شفع له الائمة من المذنبين نجى».

الفن الثاني : في المباحث المتعلقة بالمعاد / ١٦٥

النار ذلك الوقت إلا الذين هم أهلها، فاما أهل الجنة إذا رأوا الموت سرّوا سرّاً عظيماً، فيقولون : بارك الله لنا فيك لقد خلصتنا من تلك الدنيا وكنت خير وارد علينا وخير تحفة أهداها الله إلينا، قال النبي ﷺ : «الموت تحفة المؤمن» وأهل النار إذا أبصروه يفرعون منه ويقولون : لقد كنت شر وارد علينا، عسى أن تميتنا فستريح مما نحن فيه، ثم يغلق أبواب النار غلقاً لا فتح بعده، فينطبق أهلها ويدخل بعضها على بعض، فيعظم الضغط على أهلها ويرجع أسفلها أعلاها ويرى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر، إذا كان تحتها ناراً عظيمة يغلي «كغلي الحميم»^١، «كلما خبت زدهم سعيراً»^٢ بتبديل الجلود.

اشراق في معنى النفخ

قال سبحانه «ونفخ في الصور»^٣، لما سئل النبي ﷺ عن الصور، فقال ﷺ قرن من نور النقمه (يلتقمه - خ . ل) إسرافيل فوصف (ووصفه - خ . ل) بالسعة والضيق، واختلف في أن أعلاه ضيق وأسفله واسع أو بالعكس ولكل وجه . والنفخة نفختان

١-الدخان (٤٤) الآية ٤٦.

٢-الاسراء (١٧) الآية ٩٧.

٣-الزمر (٣٩) الآية ٦٨.

٤-وورد عن النبي ﷺ : «أن فيه نقباً بعدد الأرواح» ولعله كناية عن الحفرات البرزخية «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»، يتنقل إليها الأرواح بعد الموت وسرّ اتصافها بالسعة والضيق، لأنه لأشياء أوسع من الخيال؛ لأن النفس بقوتها الخيالية تتصور الأشياء لوجود لها في الخارج مع أنها كذلك ليس في وسعها تجريد المعاني الكلية ويرى كل شيء في صورة شبيهة مثالية برزخيه، بخلاف العقل لأنه يرى باطن الأشياء ومعانيها مجردة عن الصورة وأما سرّ تعبيره ﷺ عنه بالنور، فواضح؛ لأن النور ظاهر بذاته ومظهر لغيره والخيال نور يظهر به في موطنه جميع الصور الشبيهة ولكل بدن مادي دنيوي لب وأصل، باقٍ بعد موت البدن العنصري وهو عين القالب البرزخي والبدن المثالي، فحياة هذا البدن المثالي، حيوة ذاتية ومنشأ وجوده وولادته هذا البدن المادي الجسماني الدائر وإذا مات الانسان ولع جلابب العنصري، يبقى مع الجسد النوري البرزخي؛ فجميع مدركات الانسان بعد الموت إنما تكون بعين هذه الصورة.

نفخة تطفئ النار ونفخة تشتعلها «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى، فاذا هم قيام ينظرون»^١. والصور بضم الصاد وسكون الواو وقرء بفتحها أيضاً جمع الصورة، لأن نافخها هو واهب الصورة بإذن الله، فإذا تهيات هذه الصور كانت فتيلة استعدادها كالحشيش المحترق، وهو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنار التي كمنت فيه لقبول الاشتعال، والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها، فنفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمر على تلك الصورة فتطفئها وتغر النفخة التي تليها وهي الأخرى على الصور المستعدة للاشتعال وهي النشأة الأخرى، فيشتعل بأرواحها، فاذا هم قيام ينظرون.

فيقوم تلك الصور أحياء ناطقة بمن ينطقها الله فمن ناطق بالحمد لله، ومن ناطق يقول: «من بعثنا من مرقدنا»^٢ ومن ناطق بالحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. وبالنفخ الأول أشار النبي ﷺ في قوله: «انه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل قال: فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل ويقال له من بقي وهو أعلم، فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت وجبرئيل وميكائيل، فيقال فليموتا جبرئيل وميكائيل، فيقول الملائكة رسولك وأمينك، فيقول إنى قضيت على كل نفس فيها الروح الموت فيقول حملة العرش فليموتوا، قال ثم يجيء ملك الموت كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه فيقال من بقي، فيقول لم يبق إلا ملك الموت؛ فيقال له مت يا ملك الموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه ويقول أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً أين الذين كانوا يجعلون الهاً «ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون»^٣.

١- الزمر (٣٩) الآية ٦٨.

٢- يس (٣٦) الآية ٥٢.

٣- الزمر (٣٩) الآية ٦٨.

استبصار في الإشارة إلى الزبانية

قال تعالى: «عليها تسعة عشر»^١، اعلم أن مدبرات الأمور في برازخ عالم الظلمات وأشباح عالم الطبيعة التي ظاهرها الدنيا وباطنها طبقات الجحيم، هي المشار إليه بقوله: «فالمدبرات أمراً»^٢ بعد قوله: «فالسابقات سبقاً»، لأن وجود كل منها تحت وجود جوهر قدسي مفارق الذات، سابق الوجود على النفسانيات والطبيعيات المدبرات، كروحانيات العالم الكبير الجسماني والعالم الصغير الإنساني، فهي في العالم الكبير العلوي، أرواح الكواكب السيارة والروح الاثنى عشرية والمجموع تسعة عشر مدبراً وكذا في العالم الصغير البشري، هي رؤوس القوى المباشرة للتدبير والتصرف في البرازخ السفلية تسعة عشر قوى.

سبعة منها مبادئ الأفعال النباتية وأسبابها التي ثلاثة منها أصول وأربعة منها فروع واثنان عشر مبادئ الأفعال الحيوانية، عشرة منها مبادئ الإدراكات التي خمسة ظاهرة وخمسة باطنة واثنان الشهوة والغضب، فإن لكل من هذه التسعة عشر مدخلاً في إثارة نارالجحيم التي منشأها ثوران حرارة جهنم الطبيعة، التي كانت اليوم كامنة عن نظر الخلائق وستبرز يوم القيامة بحيث يراها الناس محرقة للجلود قطاعة «نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولّى»^٣ فمن كان على هدى من ربه مستوياً على صراط مستقيم، صراط الله العزيز الحميد، فيسلك سبيل الله بنور الهداية بقدمي العلم والعمل، يصل إلى دارالسلام ويسلم من هذه المعذبات والمهلكات ويتخلص عن رق الدنيا وأمر الشهوات «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سليماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون»^٤.

١- المدثر (٧٤) الآية ٣٠.

٢- النازعات (٧٩) الآية ٥.

٣- المعارج (٧٠) الآيتان ١٦- ١٧.

٤- الزمر (٣٩) الآية ٢٩.

إشراق عقلي في سرّ شجرة طوبى وشجرة الزقوم

قال سبحانه: «طوبى لهم وحسن مآب»^١ وقال: «ان شجرة الزقوم، طعام الاثيم»^٢ أي شجرة طعام الاثيم «انها شجرة تخرج في اصل الجحيم»^٣ يعنى الطبيعة الدنيوية «طلعها كانه رءوس الشياطين»^٤ والطلع عبارة عن مبدأ وجود البدن، الموجب لحصول الأثمار وبروزها عن الأكمام، والأثمار هي الأغذية، كأنه أي كل طلع منها رأس شيطان من الشياطين وهي الاهوية المردية والأمانى الباطلة التي يتغذى بها ويتقوى نفوس أهل الضلال، ويمتلي بها طبائعهم وبواطنهم من الشهوات الدنيوية، الموجبة لنار الجحيم والعذاب الأليم.

واعلم أن النفس الإنسانية إذا كملت في العلم والعمل، صارت كشجرة طيبة فيها ثمرات العلوم الحقيقية وفواكه المعارف اليقينية، فمثل شجرة طوبى مثال النفس السعيدة الكريمة علماً وعملاً، وقد روي في طريق أصحابنا - رضوان الله عليهم - : «أن شجرة طوبى أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها وذلك قول الله تعالى: «طوبى لهم وحسن مآب»^٥ فتأويل ذلك من جهة العلم، أن المعارف الإلهية سيما ما يتعلق بأحوال الآخرة إنما يحتاج فيها إلى اقتباس النور من مشكاة نبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله بواسطة أول أوصيائه وأشرف أولياء أمته عليه السلام فإن أنوار العلوم الإلهية إنما انتشرت في نفوس المستعدين من بدر ولايته ونجم هدايته، كما أفصح عنه قول النبي صلى الله عليه وآله: «انا مدينة العلم وعلي بابها» وذاته المقدسة بالقياس إلى سائر الأولياء والعلماء بالولادة المعنوية، كذات آدم أبي البشر في الولادة الصورية،

١-الرعد (١٣) الآية ٢٩.

٢-الدخان (٤٤) الآيتان ٤٣-٤٤.

٣-الصفات (٣٧) الآية ٦٤.

٤-الصفات (٣٧) الآية ٦٥.

٥-الرعد (١٣) الآية ٢٩.

ولهذا وردت عن النبي ﷺ : « يا عليّ أنا وأنت ابوا هذه الامة » .

قال صاحب الفتوحات المكية : « إن شجرة طوبى لجميع شجرات الجنان كآدم لما ظهر منه البنين ، فإن الله لما غرسها وسواها فنفع فيها من روحه ولما تولى الحق ، غرس شجرة طوبى بيده ونفع فيها من روحه زينها بثمرة الحلي والحلل الذين فيها زينة للابسها ، فنحن أرضها كما جعل ما على الأرض زينة لها وأعطت في ثمر الجنة كلها من حقيقتها عين ما هي عليه ، كما أعطت النواة النخلة وما يحمله النور الذي في ثمرها » انتهى . فظهر منه أن شجرة طوبى يراد بها أصول المعارف والأخلاق ، ليكون زينة النفوس القابلة ، كما أن ما على الأرض زينة لها وذلك لأن أرض تلك الشجرة إذا كانت نفوساً ، فحللها لا بد أن يكون من قبيل زينة العلوم والمعارف ومحاسن الأخلاق والملكات .

توضيح في حقيقة الدنيا والآخرة

قال الله تعالى : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم »^١ وقال « وما الحياة

الدنيا إلا متاع الغرور »^٢

واعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الملكوت والغيب ، ربما قيل : إن الدنيا عالم المحسوسات والآخرة عالم المعقولات . وهذا غير سديد وهذا قول الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسماني ولوجود الجنة والنار الجسمانيين . والأجود أن يقال : الدنيا عالم الكون والفساد والآخرة دار القرار وقيل مرآة الآخرة ، فإنها عالم الشهادة ويرى فيها عالم الغيب وهي الآخرة . فعالم الدنيا محاك لعالم الآخرة فمن الناس من وفقه الله ويسر له النظر والاعتبار ، فلا ينظر إلى شيء من هذا العالم إلا ويعبر به إلى عالم الآخرة فيسمى عبورة ، عبرة وقد أمر الله تعالى عباده به بقوله : « فاعتبروا يا أولي الأبصار »^٣ ومنهم من عميت بصيرته ، فلم يعتبر ولم يعبر عن هذا الحبس ،

١-٢ الحديد (٥٧) الآية ٢٠ .

٣- الحشر (٥٩) الآية ٢ .

فاحتبس في عالم الحس والشهادة وسيفتح إلى حبسه أبواب جهنم «اولئك ما ياكلون في بطونهم إلا النار»^١.

والحق الحقيق أن الجنة والنار مخلوقتان لقوله تعالى: «وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا»^٢ وقوله: «فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة»^٣ وهذا هو المروي عن الأئمة كما روى قدوة المحدثين، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي - رضى الله عنه - في عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده المتصل إلى عبدالسلام ابن صالح الهروي، قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام يابن رسول الله أخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان، فقال: «نعم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء» قال: قلت له: إن قوماً يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: «ما اولئك منا ولانحن منهم من أنكر خلق الجنة والنار، فقد كذب النبي صلى الله عليه وسلم وكذبنا وليس في ولايتنا على شيء ويخلد في نار جهنم، قال الله: «هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن» وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فادخلني الجنة فناولني من رطبها، فاكلته فتحول ذلك نقطة في صلبى؛ فلماً هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت فاطمة عليها السلام ففاطمة حوراء فكلما اشتقت إلى الجنة، شممت رائحة ابنتي فاطمة عليها السلام».

وبالجملة الدنيا هي النشأة النارية الدائرة الكائنة الفاسدة، من ركن إليها استحق النار والآخرة هي النشأة النورية العالية الباقية وهي صورة الجنة ومنازلها إلى أنها محجوبة عن هذه الحواس لمن عرف نفسه وعرف ربه، تجرد ذاته عن غشاوة الدنيا وصار من أهل الآخرة ونعيمها «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض

١- البقرة (٢) الآية ١٧٤.

٢- الحديد (٥٧) الآية ٢١.

٣- البقرة (٢) الآية ٢٤.

٤- الرحمن (٥٥)، الآيتان ٤٣-٤٤.

ولافساداً والعاقبة للمتقين»^١.

قاعدة في تحقيق الخلافة

اعلم أنه لما اقتضى الحكمة الإلهية الجامعة لجميع الكمالات، المشتمة على الأسماء الحسنی والصفات العليا، بسط مملكة الإيجاد والرحمة ونشرلواء القدرة والحكمة بإظهار الممكنات وإيجاد المكونات وخلق الخلائق وتسخير الأمور وتديرها وكان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة الأحدية، بغير واسطة بعيدة جداً لبعده المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث؛ ففضى سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في التصرف والولاية والحفظ والرعاية، فلا محالة له وجه إلى القدم يستمد من الحق سبحانه ووجه إلى الحدوث يمد به الخلق، فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرف وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته ومكنه في مسند الخلافة بإلقاء مقادير الأمور إليه وإحالة حكم الجمهور عليه.

فالمقصود من وجود العالم أن يوجد الإنسان الذي هو خليفة الله في العالم، فالغرض من الأركان حصول النباتات، ومن النباتات حصول الحيوانات، ومن الحيوانات حصول الإنسان، ومن الإنسان حصول الأرواح، ومن الأرواح الناطقة حصول خليفة الله في الأرض «انى جاعل فى الأرض خليفة»^٢، فالنبي لا بد أن يكون آخذاً من الله متعلماً من لدنه معطياً لعباده وهادياً لهم، فهو واسطة بين العالمين سمعاً من جانب ولساناً إلى جانب، وهكذا حال سفراء الله تعالى إلى عباده وشفعاء يوم تناده، فلقلب النبي ﷺ بابان مفتوحان، باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو عالم اللوح المحفوظ وعالم الملائكة العلمية والعملية (ومنشأ الملائكة العلمية والعملية - خ . ل) وباب مفتوح إلى القوى المدركة ليطالع ما في الخواص، ليطلع على سوانح مهمات الخلق؛ فهذا النبي يجب أن يلزم الخلائق في شرعه الطاعات والعبادات ليسوقهم

١- القصص (٢٨) الآية ٨٣.

٢- البقرة (٢) الآية ٣٠.

بالتعويد عن مقام الحيوانية إلى مقام الملكية، فإن الأنبياء رؤوس القوافل .

كشف تنبيهي في بيان الفرق بين النبوة والشريعة والسياسة

اعلم أن نسبة النبوة إلى الشريعة كنسبة الروح إلى الجسد، الذي فيه الروح والسياسة المجردة عن الشرع كجسد لروح فيه . وقد ظن قوم من المتفلسفة أنه لا فرق بين الشريعة والسياسة، وبين أفلاطن الإلهي فساد قولهم في كتاب النواميس وأوضح الفرق بينهما بالفعل والانفعال ؛ وأما الفرق من جهة الفعل فافعال السياسة جزئية ناقصة مستبقة مستكملة بالشريعة، وأفعال الشريعة كلية تامة غير محوجة إلى السياسة؛ والفرق من جهة الانفعال أن أمر الشريعة لازم لذات المأمور به وأمر السياسة مفارق له؛ مثاله أن الشريعة تأمر الشخص بالصوم والصلاة، فيقبل ويفعله بنفسه فيعود نفعه إليه، والسياسة إذا أمرت الشخص بأمرة برفعه الملبوس وأصناف التجميل وإنما ذلك من أجل الناظرين، لا من أجل ذات اللابس .

تحقيق في سبب الرؤيا الصادقة

وليعلم أولاً أن معنى الرؤيا انحباس الروح من الظاهر إلى الباطن، والمراد من الروح هو الجوهر البخاري الحار المركب من صفوة الأخلاط، وهي مطية للقوى النفسانية وبها يتحرك القوى ويتصل الحاسة والحركة إلى الانتهاء وقد ذكر بعض صفاتها، وبالجملية هذه الروح بواسطة العروق الضواري ينشر (ينتشر - خ . ل) إلى ظاهر البدن وقد يحبس إلى الباطن بأسباب مثل طلب الاستراحة عن كثرة الحركة ومثل الاشتغال بتأثيره في الباطن لينفتح السدد لهذا يغلب النوم عند امتلاء المعدة، ومثل أن يكون الروح قليلاً ناقصاً، فلا يفي بالظاهر والباطن جميعاً ولنقصانها وزيادتها أسباب طبية مذكورة في كتب الأطباء .

فإذا انحبست الروح إلى الباطن وركدت الحواس بسبب من الأسباب، بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس؛ لأنها لا يزال مشغولة بالتفكير فيما يورده الحواس

عليها، فإذا وجدت فرصة الفراغ وارتفعت عنها الموانع، استعدت للاتصال بالجواهر الروحانية الشريفة العقلية، التي فيها نقوش جميع الموجودات كلها المعبرة عنها في الشرع باللوح المحفوظ والجواهر النفسية والقوى الانطباعية من البرازخ العلوية، التي فيها صور الشخصيات المادية والجزئيات الجسمانية؛ فإذا اتصلت بتلك الجواهر قبلت ما فيها من النقوش لاسيما ما ناسب أغراض النفس ويكون مهماً لها، فحينئذ إذا ارتفع الحجاب بالنوم الذي هو أخ الموت قليلاً يظهر في مرآة النفس شيئاً من النقوش والصور التي في تلك المرائي مما يناسبها ويحاذيها، فإن كانت تلك الصور جزئية وبقيت في النفس بحفظ الحافظة إياها على وجهها ولم يتصرف فيه القوة المتخيلة، فيصدق هذه الرؤيا وإن كان المتخيلة غالبية أو إدراك النفس للصورة ضعيفاً، صارت المتخيلة بطبعها إلى تبديل ما رآته النفس بمثال كتبديل العلم باللبن وتبديل العدو بالحية وتبديل الملك بالبحر والجلبل^١.

١- في «المبدأ والمعاد»، ص ٣٤٦: «وتحقيقه أن لكل معنى عقلي من عالم الإبداع صورة طبيعية في عالم الكون، إذ العوالم متطابقة، فالعلم لما كان مما يتقوى به النفس وهو جوهر روحاني، والصورة العلمية للإنسان إنما يحصل بعد حذف الزوايد والاختلاف عما يدركه الحس من أشخاص النوع وبعد ذلك يكون الباقي صورة غير مختلفة، بل لها خالصاً صافياً سائغاً نبه للعقل الإنساني ولما كان البدن مثلاً للنفس والبدن غذاء لطيفاً سائغاً شراهه للبدن، فيكون نسبته للبدن نسبة العلم إلى النفس، ففي التعبير يعبر به عن العلم ومن هذا القبيل ما نقل إن رجلاً جاء إلى ابن سيرين وقال: رأيت كان في يدي خاتم اختم به أفواه الرجال وفروج النساء، فقال: إنك مؤذن تؤذن في شهر رمضان قبل الفجر، فقال: صدقت. وجاء آخر فقال: كاني أصب الزيت في زيتون، فقال: إن تحتك جارية اشتريتها، ففتش عن حالها فإنها أمك، لأن الزيتون أصل الزيت، فهو رد إلى الأصل وقال آخر: كاني أغلق الدرف في أعناق الخنازير، فقال: إنك تعلم الحكمة من غير أهلها وكان كما قال. فالتعبير من أوله إلى آخره مثال يعرفك طريق ضرب الأمثال وليس للأنبياء ﷺ أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال، لأنهم كلفوا أن يتكلموا مع الخلق على قدر عقولهم، وكما أن عقول الخلق، مثال للعقول العالية في الحقيقة وكذا ما يخاطب بهم، ينبغي أن يكون أمثلة للمعارف الحققة وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم، لا يكشف له شيء إلا بمثل، فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق وإنما يعني بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً وإن نظر إلى صورته وجد كاذباً. وربما يبدل المتخيلة الأشياء المربئية في النوم بما يشابهها ويناسبها مناسبة ما أو ما يضادها، كما من رأى أنه ولد له ابن، فتولد له بنت وبالعكس وهذا الرؤيا يحتاج إلى مزيد تصرف في تعبيره، وربما لم يكن انتقالات

تذكرة في أضغاث الأحلام وهي المنامات التي لا أصل لها

اعلم أن النفس بقوتها الخيالية التي هي في عالمها بمنزلة القوة المحركة في هذا العالم ، فكما يصدر منها في عالم المحسوسات بقوتها الحركة بإعانة غيرها من الأسباب أشياء من باب الحركات والتحويلات يسمى بالصنائع والأفعال ، كذلك تفعل باختراعها في مملكتها وعالمها بالباطن صوراً وأشخاصاً جسمانية بعضها مطابق لما يوجد في العوالم ، وبعضها جزافيات لا أصل لها في شيء من العوالم والبرازخ والصور المتأصلة التي تكون في العوالم بعضها مطابق لبعض ، إذ النشآت والعوالم مطابقة (متطابقة - خ . ل) بحسب الصور إلا ما يخترعها النفس بدعابة المتخيلة وشيطنتها ، فإنها مجرد إنشاء لا أصل لها .

فإذا اخترعت المتخيلة بدعابتها واضطرابها التي لا يفتقر عنها في أكثر الأحوال صوراً جزافية وانتقلت فيها وحاكتها بأمر أخرى في حال النور وشاهدها النفس وبقيت مشغولة بمحاكاتها ، كما يبقى مشغولة بالحواس في اليقظة وخصوصاً إذا كانت ضعيفة في جوهرها ، منفصلة عن آثار القوى ، فلا يستعد للاتصال بالجواهر الروحانية والمتخيلة باضطرابها قوية بسبب من الأسباب ، فلا يزال يحاكي ويخترع صوراً لا وجود لها ويبقى في الحافظة إلى أن يستيقظ ، فتذكر ما رآه في المنام ومحاكاتها أيضاً أسباب من أحوال البدن ومزاجه ، فإن غلب على مزاجه الصفراء ، حكاها بالأجزاء الصفراوية وإن كان فيه الحرارة ، حكاها بالنار والحمام والحر ، وإن غلب البرودة حكاها بالثلج والشتاء ونظائرها ، وإن غلبت السوداء حكاها بالأشياء السود والأمور الهائلة ، وإنما حصلت صورة النار مثلاً في التخيل عند غلبة الحرارة ، لأن الحرارة التي في موضع يتعدى إلى مجاورتها كما يتعدى نور الشمس إلى الأجسام بمعنى أنه سيكون سبباً لحدوثه إذا خلقت

→

المتخيلة مضبوطة بنوع مخصوص ، فانشعبت وجوه التعبير ، فصار مختلفاً بالأشخاص والأحوال والصناعات وفصول السنة وصحة النائم ومرضه وصاحب التعبير ، لا ينال إلا بضرب من الحدس ويغلط في كثير الالتباس .

الأشياء موجودة وجوداً، فأيضاً بأمثاله على غيره والقوة المتخيلة منطبعة في الجسم الحار، فيتأثر به تأثيراً يليق بطبعها، كما مر أن كل شيء قابل بتأثر من شيء فإنما يتأثر منه بشيء يناسب جوهر هذا القابل وطبعه، فالتخيلة ليست بجسم حتى يقبل نفس الحرارة فيقبل من الحرارة ما في طبعها للقبول له وهو الصورة الحار، فهذا هو السبب فيه .

تكملة في معرفة سبب العلم بالمغيبات في اليقظة

قد عرفت سبب الاطلاع بالغيوب في النوم من ركود الحواس واتصال النفس بالجواهر العقلية والنفسية وقبولها من تلك المبادي، صوراً يناسبها واهتمت بها ويمكن أن يكون ذلك لبعض النفوس في اليقظة^١ لوسع قوتها بالنظر إلى جانب العلو وجانب السفلى جميعاً، كما يقوى بعض النفوس ليجمع في حالة واحدة الاشتغال بعدة أمور، فيكتب ويتكلم ويسمع؛ فمثل هذه النفوس التي لها اقتدار ما على ضبط الجانبين، يجوز أن يفتر عنها في بعض الأحوال شغل الحواس ويطلع على عالم الغيب، فيظهر لها منه بعض الأمور كالبرق^٢ الخاطف وهذا ضرب من النبوة، ثم إن ضعف التخيلة بقي في الحفظ ما انكشف له من الغيب بعينه، كان وحيّاً صريحاً وإن قويت التخيلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة، فيكون هذا الوحي مفتقراً إلى التأويل، كما يفتر الرؤيا إلى التعبير^٣.

١- في «المبدأ والمعاد» ص ٣٤٨: «ويمكن أن يكون ذلك لبعض النفوس في اليقظة بسببين: أحدهما ...».

٢- البرق أول ما يدور للعبس من الالامع النوري، فيدعوه إلى الدخول في حضرة القرب من الرب للسير في الله.

٣- في «المبدأ والمعاد»، ص ٣٤٨: «الثاني أن يغلب على المزاج البيوسة والحرارة ويقل الروح البخاري حتى يتصرف النفس، لغلبة السوداء وقلّة الروح عن المواد والحواس، فيكون مع فتح العين وساير أبواب الحواس كالمبهوت الغافل الغائب عما يرى ويسمع وذلك لضعف خروج الروح إلى الظاهر، فهذا أيضاً لا يستحيل أن ينكشف لنفسه من الجواهر الروحانية شيء من الغيب، فيحدث به ويجري على لسانه كأنه أيضاً غافل عما يحدث به وهذا يوجد في بعض المجانين والمصروعين وبعض الكهنة، فيحدثون بما يكون موافقاً لما سيكون وهذا نوع نقصان يظنه الجهلة كمالاته وولاية والسبب الأول نوع كمال».

وصية [من المصنف العلامة]

اعلم أيها السالك إلى الله تعالى والراغب إلى نيل ملكوت ربّه الأعلى والطالب للنزول في الفردوس الأعلى ، أن بحر المعرفة ليس له ساحل إلا أن لكل درجة بقدر غوصه وخوضه ولا يمكن الخوض والغوص لكل من كان مباشراً لأعمال السبعية والبهيمية ومزاوِل المكائد الشيطانية ، لأنّ فيهم رسخت الهيآت الفاسقة والملكات المضلة وارتكمت على أفئدتهم ، فبقوا حيارى تائهين في تيه الجهالة وظلمات الحيرة وقد حبطت أعمالهم وانتكست رؤسهم ، فمالهم من معرفة الله من نصيب «الذين آمنوا وكانوا يتّقون» * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة^١ .

واعلم يا أخي أن نفسك مسافر إلى الله تعالى من أول منزل من منازل وجودها وبدنك مركب ، فتأهب للزاد والاستعداد بالسلاح الذي يدفع بها سراق المنازل وقطاع المراحل ، حتى يصلك إلى المطلوب الحقيقي والمقصود اليقيني الذي هو منتهى الغايات .

واعلم أن ما سردنا عليك من بعض مسائل الحكمة الحقة الإلهية ، التي لا يتأتى لكل دركه ولا يتيسر ضبطه إلا لمن كان فطرته سليمة عن الأمراض الدنيوية والوساوس الشيطانية وترك الاشتهار وطلب الجمعية ، حق حقيق بالأخذ ، أحق بالبيان بل بالتيان وهذه علانية وعيان عند العقول الأخروية المعرضين عن زهرات الدنيوية ، فما حققت لك ما تيسر لنا بفضل الله ورحمته وما وصلنا إليه بفيضه من أسرار المبدأ والمعاد وهو لكل قوم هاد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

تعليقات

على المظاهر الإلهية

—

تحقيق في بيان مرامه في المعاد ودفع الإشكالات الواردة على مختاره (قدس سره)

قوله - أعلى الله مقامه - ص ١٢٦ س ١٢ : «والمعاد في يوم المعاد هذا الشخص بعينه إلخ» .

اعلم أن جماعة الملاحدة والدهرية ذهبوا إلى امتناع حشر الأجساد والأرواح ، لأنهم زعموا أنه ليست للإنسان غير هذا البدن العنصري المتغير حقيقة وينعدم بزوال الحياة والمعدوم لا يعاد .

وذهب جمع إلى أن هذا البدن المحسوس يستحيل معاده ، لأنه ينعدم بعد الموت وجماعة من المتكلمين ذهبوا إلى جواز إعادة المعدوم وعليه بنوا حشر الأجساد وجماعة منهم يقولون إن الإنسان لا ينعدم بعد الموت بالكلية ، لأن له أجزاء أصلية يبقى بعد الموت .

واتفق المحققون من الحكماء وجميع أهل الملل والأديان على حقية أصل المعاد واختلفوا في كيفيته ، فجمهور المتكلمين وأهل الفقه من العامة ذهبوا إلى أن المعاد جسماني فقط وهؤلاء ينكرون تجرد الروح وبقائه والروح عندهم جسم سارٍ في البدن ، سريان الزيت في الزيتون والماء في الورد ، وهذا القول مخالف للأخبار والآيات الواردة في بقاء الإنسان بعد الموت وأحوال البرازخ والسعادات العقلانية والروحانية ولاشك في بطلان هذا القول ، لأنه قول سقيم ساقط عن الاعتبار ولعل مفسدة إنكار المعاد

الجسماني ليست أكثر من هذا .

وجمهور الفلاسفة من أتباع المشاء ذهبوا إلى أن المعاد روحاني فقط ، لأن البدن العنصري يفنى بعد الموت ولا يعاد والنفس أمر مجرد روحاني لا سبيل للفساد إليها وأن عود النفس إلى البدن بعد قطع تعلقها مستلزم للتناسخ ، وأهل الإشراق ذهبوا إلى أنه جسماني وروحاني معاً ولكن يقولون بعود الروح إلى البدن المثالي المنفصل ؛ قال الشيخ الاشراقي : «وبه أي عالم الأشباح المجردة تحقق بعث الأجساد على ما ورد في الشريعة الحقّة الإلهية وجميع مواعيد النبوة»^١ .

وذهب كثير من أهل الإسلام إلى القول بالمعادين كالغزالي والكعبي والراغب الاصفهاني وجمع آخر من أهل السنة والجماعة .

وجمهور علماء الإمامية وأشياخنا الاثنا عشرية - حشرهم الله تعالى مع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) - ذهبوا إلى القول بالمعادين ؛ لأن النفس عندهم مجرد باقٍ ويعود والبدن لا ينعدم بالكلية والأجزاء المتفرقة من الإنسان تبقى وبه يقول النصاري وأهل التناسخ ولكن أهل التناسخ ذهبوا إلى قدم الروح وردها إلى البدن في هذا العالم ، لافي نشأة أخرى . والقائلون بالمعادين اختلفت أقوالهم في المعاد ، ذهب جمع منهم إلى أن الروح تعود إلى عين البدن الدنيوي وجمع إلى أن عود الروح يكون في مثل هذا البدن ، وصاحب هذا الكتاب - صدر أعظم الحكماء ، رضي الله عنه وأرضاه - إلى أن المحشور في يوم النشور ، نفس هذا البدن الموجود في دار الغرور مع تبدل حالات وانتقالات مناسبة للآخرة .

بيان مقدمات المعاد الجسماني بناءً على طريقة المصنّف (قدّس سرّه)

اعلم أن بيان مرام هذا المحقق العظيم يتوقف على بيان مقدمات ، ذكرها في الأسفار والمبدأ والمعاد والمشاعر والشواهد الربوبية وسائر كتبه نذكرها على نحو الاختصار .

المقدمة الاولى : إن الموجود في الخارج والأصيل في الأعيان هو الوجود ، والماهية ظلٌ وعكس وشبح تنتزع منه ، وليس من الأمور الاعتبارية التي لا تحقق لها في الأعيان ، كما ذهب إليه بعض الحكماء وجمهور أهل الكلام وأن شيئية كل شيء وتشخصه إنما هو بوجوده الخاص ، وكل مفهوم وماهية كلية من حيث هي ، لاتأبى عن الصدق على المتكثرات وبالوجود يتشخص كل متشخص ، ولاشك أنه مما يشتد ويضعف وهو مع بساطته ذو درجات متعددة متكثرة وله ظهورات متعددة متفنة ؛ فرد منه غني بالذات وفرد منه ضعيف محتاج إلى الغير بالذات والتباين بين الموجودات ينشأ من تباين أنحاء الماهيات ولما كانت الماهيات أموراً اعتبارية ، يرجع هذا التباين إلى التباين السرابي .

المقدمة الثانية : إنه يجوز التشكيك في أفراد ماهية واحدة بأن يكون لها أفراد مختلفة بالشدة والضعف وأن يرجع النقص والكمال إلى نفس الطبيعة ؛ فلإنسان فرد مادي وفرد برزخي مثالي وفرد مجرد تام عقلي ؛ والوجود المفاض عن الحق الأول ، ينحدر من الوجود العقلي والفرد المجرد التام (لكل طبيعة) إلى الوجود المثالي ومن الفرد المثالي إلى الأفراد المنتشرة المادية .

المقدمة الثالثة : إن شيئية الشيء في المركبات الخارجية إنما تكون بصورته ، لأن المادة في كل شيء أمر مبهم ونفس المادة مع قطع النظر عن الصورة المقومة لها ليست شيئاً بالفعل ولاقسط لها في نظام الوجود من الفعلية والتحصل ، ومبدأ تحقق المركبات ومنشأ الآثار في الماديات هو الصورة النوعية ، وأن نسبة المعاد إليها نسبة النقص إلى التمام ، وبالجمله الصورة في كل مركب عبارة عن نحو وجود هذا المركب ، وقد قرر أن الفصل الأخير في الأنواع جامع لجميع المراتب الحاصلة من الحركات والانتقالات ، ولذا قيل : إن تشخص البدن في كل حيوان إنما هو بصورته ونفسه المدبرة لبدنه ، لاجسمة وجسده ولوتبدلت الصورة الطبيعية بصورة مثالية ، كما في نشأة الإنسان بعد الموت أو بصورة أخرى ، كما في الآخرة ، هذا التبدل غير قاذح في هذية الإنسان ؛ ولكل إنسان بدن مثالي جسماني ذامقدار وشكل ولون وهيآت جسمانية في باطن هذا الجسم الحسوس في الدنيا نسبته إلى البدن الأخروي ، نسبة الناقص إلى الكامل .

المقدمة الرابعة : إن الوجود في عموم الموجودات ليس على وتيرة واحدة، وهو في المقادير والمتصلات والزمانيات والمتدرجات مشوب بالكثرة والأعدام، لأن الموجود الزماني الجسماني ليس له هوية صريحة بالفعل ؛ لأن في اتصاله انفصاله ووحدته عين كثرته وفي المجردات ليس الأمر كذلك، لأن كل مجرد له هوية صريحة بالفعل، ليس له تجدد وكثرة خارجية، لاسيما المجرد العقلي، ونشأة المجردات نشأة فسيحة عظيمة جداً وعالمها، عالم السعة والإحاطة ونشأتها، نشأة الوصل والاتحاد يتصالح فيها المتخالفات ويتوافق فيها المتباينات وجوهر النفس مع كونها واحداً شخصياً لسعة وجودها وكمال إحاطتها تسمع وتبصر وتذوق وتشم بسمع وبصر وذوق وشم عقلي .

فجميع القوى الموجودة في مقام فرق النفس بحيثيات متعددة في مقام جمعها، موجودة بجهة واحدة ولكن الأمر في هذه النشأة ليس كذلك، لضيق وعائها ونقص وجودها ولهذا، الجسم الواحد في هذه النشأة لا يمكن أن يتصف بصفات متضادة من الحرارة والبرودة وغيرهما من جهة واحدة .

المقدمة الخامسة : إن التكثر والتعدد في نوع واحد كما أنه يحصل بمشاركة المادة وجهة القابلية، كذلك تحصل من الجهات الموجودة في الفاعل، كالموجودات البرزخية النزولية والصور الخيالية القائمة بالنفس، ولاشك أن تكثر الأفراد في المثاليات ليس من جهة المادة القابلة لترفعها عن المادة، بل التكثر والتعدد في الماديات أيضاً يحصل من الجهات الفاعلية بوجه والنفس الإنسانية بقوتها الخيالية، تخلق وتنشأ في صقعها الداخلي موجودات خارجة عن جهات هذا العالم المادي ولها عالم وسيع، بل لكل نفس في الآخرة عالم أوسع من الدنيا .

هذه هي المقدمات التي يتوقف عليها حشر الأجساد والمعاد الجسماني، وأنت إذا تأملت في هذه المقدمات يظهر لك أن المحشور يوم الآخرة عين هذا البدن الموجود في دار الغرور روحاً وبدناً، مع تغيير خصوصيات البدن من الوضع والجهة وغيرهما وهذه التغييرات لا تقدر في تشخص البدن، لأن المادة في كل شيء مأخوذة على نحو الإبهام وتعين كل شيء بصورته ولو جاز تحقق الصورة بدون المادة، لكانت صورة فعلية .

الأتري أن بدن الإنسان يعرض عليه حالات متبدلة من الصبابة والترعرع والبلوغ والشباب والكهولة ومع هذه التغيرات، لا يخرج عن كونه بدن إنسان، والغفلة عن تجرد الخيال صارت سبب إنكار حشر الأجساد. والمصنف ممن تفرد بإثبات هذا المعنى وبرهن في كتبه ومسفوراته تجرد القوة الخيالية.

تحقيق عرشي

اعلم أن لازم عود النفس من البرزخ إلى هذا العالم وتعلقها بالبدن الجسماني، هو اجتماع النفسين في بدن واحدة؛ لأن كل مادة جسمانية معدة لحدوث النفس ومتى حصل في البدن مزاج صالح، فلامحالة تفيض من المجرد العقلي نفس مدبرة له من دون تراخ ومهلة، لأن المجرد تام الفاعلية ليس فيه حالة منتظرة وإذا فرض تعلق نفس آخر بهذا البدن - كما هو المفروض - يلزم اجتماع النفسين في بدن واحدة ولازمه وجود صورتين لمادة واحدة وهو باطل - هذا بناءً على طريقة القوم في إبطال التناسخ - وأما بناءً على طريقة المصنف:

إن النفس لما كانت جسمانية الحدوث، فهي تكون في أول حدوثها ووجودها عين المواد والأجسام وبعد ارتقائها وانتقالها من النشآت الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية إلى عالم القدس وجوار الرحمة، تصير مجرداً تاماً مترفعاً عن المادة الجسمانية. لأن النفس لتجردها عن المادة لاتقنى بعد خراب البدن والموت، إنما هو من لوازم المادة الجسمانية ولاشك أن انتقال النفس من مرتبة إلى مرتبة أخرى استكمال ذاتي وانتقال جبلي ينبعث من ذاتها وكما أن النفس بعد استيفاء جميع درجات النباتية وصيرورتها حيواناً لاترجع إلى درجة النباتية، كذلك إذا خرجت عن البدن واتصلت بعالم القدس وموطن أبيها المقدس، يستحيل عودها إلى هذا البدن ورجوعها إلى البدن بعد فرض انسلاخها عنه عبارة عن رجوعها من الفعلية إلى القوة ومن الوجود إلى العدم؛ والشئ لا يقتضي بطلان ذاته، فلا يمكن انحطاط النفس عن مقامها الأعلى إلا بعروض انفعال مادي وتغير ذاتي؛ وهذا دليل قاطع على بطلان التناسخ وعدم جواز

انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر - سواء كان على وجه النزول أو الصعود - .

نقل واشكال ، بحث وتحقيق

اعلم أنه بناءً على طريقة المصنف العلامة ، أن البدن المحشور في المعاد ليس هذا البدن العنصري المادي الفاسد وقد قلنا إن انتقال النفس المجردة من البرزخ إلى البدن المادي مستحيل مطلقاً ولازمه رجوعها من الفعلية إلى القوة ، ولا يمكن دفع هذا الإشكال بناءً على تجرد النفس وبقائها بعد خراب البدن واضمحلال القوى ورجوع النفس إلى البرزخ ، ولم أر في كلام أحد من السابقين واللاحقين ما يدفع به هذه الشبهة ، وكل ما قيل في دفع هذا الإشكال لا يغني ولا يضمن من جوع ولا يخلو عن الخلل والقصور .

قال غياث اعظم الحكماء (غياث الدين المنصور) في دفع إشكال تعلق النفسين ببدن واحدة : «إن للنفس الإنسانية ضربين من التعلق بالبدن : أولهما أولى وهو تعلقها بالروح البخاري وثانيهما ثانوي وهو تعلقها بالأعضاء الكثيفة ، فإذا انحرف مزاج الروح وكاد أن يخرج عن صلاحية النفس اشتد التعلق الثانوي من جانب النفس بالأعضاء وبهذا يتعين الأجزاء تعييناً ما ، ثم عند المحشر إذا جمعت وتمت صورة البدن ثانياً وحصل الروح البخاري مرة أخرى عاد تعلق الروح كالمرة الأولى ، فذلك التعلق الثانوي يمنع من حدوث نفس أخرى على مزاج الأجزاء ، فالمعاد هي النفس الباقية لنيل الجزاء» .

ويقرب من هذا ما ذكره المحقق الدواني والسيد المحقق الداماد - قدس سره - وبعض آخر في تصحيح المعاد الجسماني ، وفيه ما لا يخفى من الخلط والاشتباه ، لأن منشأ حدوث النفس ووجودها عبارة عن الحركات والتحويلات الذاتية من حد الجمادية إلى الإنسانية ، وإذا انقطعت الرابطة بينها وبين البدن ورجعت إلى ربها ، يصير البدن تراباً واقعاً في سبيل الحركات ، لأن نشأة المادة ، نشأة التغير والزوال والفناء ، بل إن سئلت الحق أن النفس بعد رجوعها إلى عالم القدس وانقطاعها عن البدن ، لا يصدق عليها أنها صورة للبدن الفاسد ولا يصدق على البدن أيضاً أنه مادة للنفس المنسلخة عنه ،

إلا مجازاً. بل كان نسبتها إلى جميع الأجسام على السواء، لأن الارتباط والعلاقة بين النفس تكون من الطرفين إلا أن الارتباط من جانب النفس إيجابي ومن ناحية البدن إعدادي، ولذا ورد عن الأقدمين: «إن النفس والبدن يتعاكسان إيجاباً وإعداداً» وإذا انحل تركيب البدن، يرجع كل عنصر ومادة إلى أصله ويستحيل بقاء تعلق النفس به.

ولو قلنا ببقاء الأجزاء والمواد بعد انحلال التركيب، فلا شك أنه إذا اجتمعت الأجزاء والمواد السابقة وصارت مستعدة لتعلق النفس المدبرة إياها، فلامحالة تفيض على المزاج الصالح نفساً مناسبة له، وقد قررنا أن تعلق النفس بالبدن، تعلق طبيعي ينشأ من مناسبات ذاتية واستعدادات تامة بينها وبين البدن، على أنه بناءً على الحركة الجوهرية والاستكمالات الذاتية، ليس النفس في ابتداء حدوثها شيئاً مذكوراً وأول وجودها وطلیعة ظهورها إنما يكون في المادة الجسمانية، بل هي في أول الفطرة عين المادة الجسمانية وليس تعلقها بالبدن تعلقاً إرادياً.

ومن كلام هذا السيد الأجل يظهر أنه -ره- غفل عن نكتة أصلية حكمية وهي أنه لو فسد البدن، يبطل الأعضاء ومزاجها وينحل تركيبها ومع فساد التركيب، لا يبقى للنفس تعلق لفساد المزاج وبطلان الاعتدال والغفلة عن كيفية وجود النفس ومراتبها ومقاماتها وانبعث البدن والقوى عنها صارت سبب هذا الخط العظيم.

خلاصة الكلام أنه يرد على ما ذكره إشكال تعلق النفسين على بدن واحد -بناءً على الحكمة المشهورة- ورجوع النفس بعد حصول الفعليات إلى القوة أيضاً بناءً على مختار المصنف -قدس الله لطيفه وأجزل تشريفه-.

نقل و تزيف

إن بعض الأجلة المتأخرين، وحيد عصره وفريد دهره، أستاذ مشايخنا العظام الآقا علي المدرس -ره- قد تصدى لتصحيح المعاد الجسماني وعود الروح إلى البدن العنصري في رسالة سبيل الرشاد، لا بأس بذكر كلامه على نحو الاختصار وبيان وجوه الخلل فيه.

هذا الرجل العظيم يقول : إن نصوص الكتاب والسنة تدلان على عود الروح إلى البدن الجسماني الدنيوي ولما كانت إعادة النفس إلى البدن في هذه النشأة وحشرها فيها ، مستلزماً للتناسخ اختار أن البدن يذهب إلى حيث الروح بالحركة الجوهرية ومنشأ هذه الحركة هي العلاقة الذاتية ، التي تكون بين النفس والبدن ، وعدم انسلاخها بالكلية عن البدن بالموت ؛ لأن العلاقة الذاتية لاتزول بالموت وبهذه العلاقة يتحرك البدن إلى حيث الروح وغاية وجوده وحركته هي اتصاله بالنفس .

قال في حواشيه على الأسفار : «إذا فارقت النفس البدن تخلف فيها آثاراً وودائع من جهاتها الذاتية وملكاتهما الجوهرية وهذا الاستخلاف يترتب على تدبيرها الذاتي للبدن وإيجابها له بضرب من التبعية وليس لها فيه قصد وشعور ، بل إنما هو أمر طبيعي تكويني ؛ فيأذن البدن بعد مفارقة نفسه متمتزة في الواقع عن سائر الأبدان المفارقة عنها نفسها وكذا عناصره عن عناصرها بهذا الاستخلاف ، بحيث إذا شاهدته نفس قوية مكاشفة شاهدته على صفة هذا الاستخلاف ويحكم بأنه بدن فارقت عنه نفس كذا وكذا» . قال أستاذه ميرزا محمد حسن نوري : والبدن الدنيوي ليس ظلاً لازماً للنفس وإلا لما يخالف مقتضاه مقتضى النفس فيتبدل في المعاد ويصير كظل لازم له» . مراده أن أظلال النفس عبارة عن الصور التي يحصل في النفس في الدنيا وقد يتمثل على صورته الإنسانية وقد يظهر في الآخرة على صور الخنازير وغيرها من الصور الأخروية» وما اختاره الحكيم المدرس يرجع إلى الإرادة الجزافية .

أقول : ولست شعري ما المناسبة بين المادة القابلة والصورة المفارقة المجردة بعد انسلاخها وترفعها عن المادة ورجوعها إلى الآخرة ؛ والنفس إذا فارقت البدن ، البدن يصير تراباً فاسداً مضمحلاً وهباءاً منشوراً يقع في دار الحركات والمتحركات وربما يصير نباتاً أو حيواناً وإنساناً وإذا فسد البدن وانحل تركيبه ، لا يبقى فيه مزاج صالح للتعلم ولا يبقى على بدنيته وترجع كل جزء منه إلى أصله وجوهره ومبدأ تعلق النفس على البدن إنما يكون بعد حصول المزاج والاستعداد القابل للنفس وإذا خرجت النفس عن البدن ، ينحل المزاج ويبطل البدن ؛ بل الحق أن منشأ الموت ليس إلا إعراض النفس عن

البدن والإعراض إنما يحصل بعد فساد المزاج وانحلال القوى والسرفيه أن المادة الجسمانية متحركة دائماً ولا تبقى في هذه النشأة شيء ثابت في آئين والبدن مثل ساير المواد الجسمانية بعد إعراض النفس يتصور بصورة أخرى وما قال -ره- «إن البدن يتحرك إلى الروح وهو متميز عن ساير الأبدان» كلام لا ينبغي صدوره عن أصاغر الطلبة، فضلاً عن هذا الرجل التحرير الذي يأتي بجودة الفكر بما يقرب من شق القمر، والبدن إذا صارت أجزائه متفرقة وصار كل جزء منه جزءاً لنوع من الأنواع لا يبقى وجوده، فضلاً عن تميزه وكل مادة تقتضي صورة مناسبة لذاتها.

وأسخط من هذا قوله: «يتعلق النفس ثانياً بالبدن الدنيوي، لكن يرجوع البدن إلى الآخرة وإلى حيث الروح لابعود النفس إلى البدن، فيكون النفس واقفاً والبدن يتحرك إليها».

أقول: زعم هذا الرجل التحرير أن البدن لا يتصور بصورة أخرى بعد مفارقة النفس عنه ولا تحل فيه صورة أصلاً وليس الأمر كذلك بداهة أن المادة الجسمانية التي كانت بدن زيد مثلاً إذا صارت متصورة بصورة نباتية أو حيوانية، فلا محالة يتحد مع الصورة الحالّة فيها ولا تبقى فيها المناسبة التي كانت بينها وبين النفس المفارقة وإن كانت العلاقة الباقية من مجرى الصورة اللاحقة، التي تصورت المادة بها مع أنه باطل في نفسه لا ينتج ما هو -ره- بصده. والعجب أنه -ره- فراراً عن مفسدة التناسخ قال يرجوع البدن إلى الروح، وهذا مع أنه لا أصل له لا ينفعه، بل هو كـرّ على ما فرّ منه، لأن تعلق الروح بالبدن مع حركة البدن إليها، إن كان في هذه النشأة يلزم التناسخ، لأن التعلق بالبدن الدنيوي لا يكون إلا في هذه النشأة، وإن كان مراده أن البدن يتحرك ويستكمل شيئاً فشيئاً إلى أن يتجرد عن المادة، فيلزم أن لا يكون المحشور في المعاد البدن الجسماني المادي مع أنه خلاف الفرض. وإن قال قائل -كما ذكره بعض مشايخنا العظام في العلوم العقلية والمعارف الإلهية في توجيه كلامه في بعض اوقات استفادتي منه (قدس سره) وهو الحكيم المحقق سيد الفقهاء والمجاهدين وحيد عصره وفريد دهره السيد ابوالحسن القزويني روجي فداه- إن آخر استكمال البدن يكون مبدأ تعلق النفس به ثانياً، فنقول:

إن كان هذا التعلق في الدنيا يلزم أن تكون الآخرة عين الدنيا ويلزم رجوع النفس، بل تجافيتها عن مقامها الشامخ إلى البدن ولانعني من التناسخ إلا هذا؛ مع أن التعلق يستدعي حصول المزاج المعتدل المناسب للتعلق، فيلزم اجتماع النفسين على بدن واحدة وإن كان هذا التعلق في الآخرة، فلازمه تبدل البدن المادي وانتقاله من هذه النشأة إلى البرزخ فيلزم خلاف الفرض.

خلاصة الكلام أن النفس بعد بلوغها إلى الكمالات اللائقة بها الكامنة في ذاتها، لا يتنزل إلى رتبة ارتفعت عنها، وقد علمت أن الموت عبارة عن بلوغ النفس إلى الكمالات اللائقة بها واستغنائها عن الآلات ويلزم من تعلقها بالبدن ثانياً رجوع فعليتها إلى القوة، وهذا كاشف عن احتياجها إلى البدن ويُرشدك إلى هذا قوله تعالى: «رب ارجعون» * لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا أنها كلمة هو قائلها». والحق مع المصنف العلامة - اعلى الله مقامه - والمعاد في يوم المعاد عين هذا البدن الشخصي الموجود في هذه النشأة، لا بدن مثله. وإن شئت زيادة التحقيق في هذا المقام فراجع إلى كتب المصنف، فإن أمثال هذه التحقيقات حقه - قده - في الدورة الإسلامية.

قوله في ص ١٤٦، س ٣ «ومن غلب عليه الخ» قال - ره - في حواشي حكمة الإشراق، ص ٥١٠: اعلم ان الله تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة بالماهية، إمّا بحسب أصل الفطرة أو باكتساب الفضائل والردائل، فبعضها خيرة نورانية شريفة مائلة إلى الالهيات عظيمة الرغبة في الاتصال بالروحانيات العقلية، فهي معادها، وبعضها كدرة خسيصة ظلمانية شريرة مائلة إلى الجسمانيات عظيمة الرغبة في الاتصال بهذه الجسمانيات الكثيفة، وبعضها متوسط بين الخيرية والشرية واقعة بين العقلية والحسيات؛ فالأول هم المقربون وأهل القدس، عالمهم عالم العقول والمعقولات، والآخر هم أصحاب الشمال والمجرمون النواكس الأذقان في اللطافة والكثافة، كما أشار إليه الشارح، وعالمهم عالم الصور المقدارية الغائبة من هذه الحواس الدنيوية دون الأخروية، ومنهم السعداء وأصحاب اليمين.

إذا تقرر هذا، فاعلم أنه ذهب بعضهم كصاحب اخوان الصفاء وغيره إلى أن جهنم

عبارة عن عالم الكون والفساد، والنار هي الطبيعة المحللة للأجساد المستولية على الأبدان والجلود بالإذابة والتحليل والتبديل في كل آن المفضية لها في أسرع زمان، لولم يؤد الغاذية بدلها، كما في قوله تعالى: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب» وقوله تعالى: «فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة» وقوله: «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»، فإن هذه الأجساد العنصرية لها طبيعة متصرفة فيها بالنضج والإحالة، فحسبوا أن النار المشار إليها في القرآن، الطبيعة السارية في الأجسام الحسية سيما التي تحت السماء الدنيا، وما يؤكد هذا الحسبان وإن كان باطلا عندنا كما علمت فيما سبق أن الأكوان الطبيعية كلها سائلة زائلة واقعة تحت الفساد بواسطة استيلاء الطبيعة بالتصريف والتحويل والتحليل، وكذا النفس مادامت متعلقة بهذا البدن متحدة به، تؤثر الطبيعة في ذاتها وفي قواها الحسية؛ فإنها منفصلة عن تأثير نيران الطبيعة الكامنة في البدن بالإذابة والتحليل وتخفيف الرطوبات الصالحة الحاصلة لها من الأغذية شيئا فشيئا على الدوام، حتى يؤدي إلى الموت وكذا تولمها بإحداث الآلام والأوجاع التي منشأها الطبيعة المحللة خلقها الله لمصلحة دفع المواد الفاسدة على أن المصلحة في أصل وجود الطبيعة وإشغالها الحرارة الغريزية، استكمال النفس الناطقة للإنسان مادامت في البدن بهذه التحولات والتقلبات لتتقلب إلى أهلها مسرورة.

فإذا ارتفع الإنسان من هذا العالم إلى عالم التصور والتعقل خلص من عذاب النيران، إذ لا وجود للطبيعة في غير هذا العالم، وما يؤكد ظنهم أيضاً كون عدد الزبانية وسدنة الجحيم بعينه، كعدد قوى الخادمة المدبرة للأبدان الحيوانية، وكذا كون أبوابها سبعة كأبواب القوى الطبيعية المفتوحة إلى جهنم البدن من عالم النفس، أصل القوى متشعبة من عالمها وهي مفتوحة لأهل الجحيم من الجن والإنس وباب القلب مغلق على من طبع الله على قلبه، ومن ذلك كونها موصوفة في القرآن بأنها أسفل سافلين والطبيعة العنصرية، كذلك فالجحيم هي الطبيعة.

قال في الباب الحادي والتسعين من الفتوحات: «اعلم أن جهنم من اعظم

المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة وسميت جهنم لبعدها قعرها، يقال بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي على حرور وزمهير؛ ففيها البرد على أقصى درجاته والحرارة على أقصى درجاته وبين أعلاها وقعرها خمس سبعون مائة من السنين، ومن ذلك دلالة قوله تعالى «كلما خبت زدنهم سعيراً» على أن النار محسوسة، فإن صورة النارية لا يتصف بالزيادة والنقصان إلا من كونها قائمة بالمادة الجسمية، لأن الحقيقة النارية لا يقبل هذا الوصف من حيث ذاتها وإنما يقبله الجسم المحترق بالنار الذي تسخره النارية، وقيل: معنى الآية كلما خبت يعني النار المتسلط على أبدانهم بواسطة خمود الشهوة والغضب وركود القوى لمرض أو هزم زدنهم يعني المعذبين ولم يقل زدنهم، أي العذاب ينقلب إلى بواطنهم من جهة اكتساب الملكات والأمراض في نفوسهم وهو أشد من العذاب الحسي، إذ قد سلط الله في بواطنهم التفكير فيما كانوا فيه من التفريط في جنب الله؛ فيكون عذابهم النفساني أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم ومنشأ نار النفس الأمانة بالسوء التي تطلع على الأفتدة، ومن ذلك دلالة قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً» ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً.

قال في الفتوحات المكية: «من عرف هذا القول عرف مكان جهنم»، وقال النبي لما سئل لقلته فلما سكنت عنه وقال في علم الله وسكوتنا عنه هو الأدب ومن ذلك أن النار لا يقبل تخليد موحد، وما ذلك إلا أن نفسه بعلم التوحيد قد صارت عقلاً بالفعل وجازت عن مقام الطبع والحس، كما في قول بعض الأئمة عليهم السلام حيث سئل عن عموم قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها» جزاها وهي خامدة، ومن ذلك الأخبار الدالة على أن مكانها في هذا العالم الأسفل، منها ما يدل على أنها تحت السماء الدنيا كما يروي من حديث المعراج أنه عليه السلام رأى في السماء الدنيا مالكا خازن النار وفتح له طريق من طرق النار، لينظر إليها حتى ارتقى إليه من دخانها وشررها وما عن يساره من الباب وكما روي عن ابن عباس: إن النار تحت سبعة أبحر مطبقة.

ومنها ما يدل على أنها في البحر كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل يهودياً أين

موضع النار في كتابكم، قال: في البحر، قال: ما أراه إلا صادقاً بقوله تعالى «والبحر المسجور» ويروي أيضاً في التفاسير أن البحر المسجور هو النار وكما روي عن رسول الله ﷺ لا يركب بحراً إلا غازياً أو معتمراً، فإن تحت البحر ناراً. وقيل إن جهنم هو البحر وهو محيط بهم ينتشر فيه الكواكب، ثم يستوقد ويكون هو جهنم وقد جاء شبه هذا في كلام الأوائل، قال سقراط: وأما الذين ارتكبوا الكبائر، فإنهم يلقون في طرطارس ولا يخرجون منه أبداً وأما الذين ندموا على ذنوبهم مدة عمرهم، فإنهم يلقون في طرطارس سنة كاملة يتعذبون، ثم يلقىهم الموج إلى موضع ينادون منه خصومهم يستلونها الإحضار على القصاص لينجوا من الشرور، فإن رضوا عنهم وإلا أعيدوا إلى طرطارس ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن يرضى خصومهم عنهم، والذين كانت سيرتهم فاضلة يتخلصون من هذه المواضع من هذه الأرض، ويستريحون من المحابس ويسكنون الأرض النقية.

ومن الأخبار ما يدل على أن بعض جهنم في هذه الأرض كما روي عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت الدخان يخرج من أرض ضرار ويقال أنه حضرموت بقعة منها. ويقرب من هذا حديث وادي برهوت المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أبغض البقاع وادي برهوت، فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماء أسود منتن يأوي إليه أرواح الكفار. وحكى الأصمعي عن رجل من حضرموت أنه قال: نجد من ناحية برهوت رائحة فظيعة جداً، فيأتينا بعد ذلك خبر موت عظيم من عظماء الكفار.

والجواب عن هذه الوجوه والدلائل كلها أن لكل من الجنة والنار نشأة أصلية هي في عالم الآخرة ونشأة جزئية ومظاهر كونية في الدنيا ومستقر النار وحقيقتها هي دار البوار ولها مظاهر ومكامن من هذا العالم، فما ذكره من الوجوه العقلية لا يدل على أكثر من أن يكون لها كينونة جزئية وظهوراً خاصاً في هذا العالم وكذا ما نقل من الأخبار لا يدل أزيد من أن لها مظاهر في هذا العالم وأما النار الحقيقية، فمحل اشتعالها وبروزها بحيث لا يمكن على الخلائق كلهم وظهور سلطانها هي الدار الآخرة عين ما أحاط بهم سرادقها، كما قال: «وبرزت الجحيم لمن يرى» وقوله: «كلالو تعلمون علم

اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين» فهي الآن كانت باطنة غير بارزة ولا ظاهرة، بل مستورة إلا على أهل الكشف واليقين وهذا المحسوس من النار ليس محرقاً حقيقة، والذي يباشر الإحراق والتفريق حقاً وحقيقة هي نار إلهية مستورة عن هذه الحواس خارجة عن الفكر والقياس، لكنها مرتبطة بهذا المحسوس ارتباطاً ومحل ناريها الحقيقية، دار البوار لدار الوجود، وقانا الله وجميع أهل اليقين من شرها وضرها يوم الدين .

أقول: إن مبدأ العذاب ومنشأ الإحراق في الآخرة عبارة عن الملكات الحاصلة لكل إنسان، بحسب أعماله وأفعاله؛ كما أن مبدأ الثواب ومنشأ اللذات الأخروية ليس إلا الملكات الراسخة في النفوس. ولما كانت النشأة الآخرة نشأة تامة مجردة عن المادة الجسمانية المستحيلة الكائنة، لا تكون علل التعذيب والتعظيم خارجة عن ذات النفوس المحشورة، وليس الآخرة دار العلل الاتفاقية الخارجة المؤثرة في الأشياء، فكل إنسان يحشر في الآخرة مع ما اكتسبها من الملكات والصور الحسنة الحاصلة من الرياضات النفسانية والعبادات والأعمال الصالحة أو الصور البهيمية والملكات الشيطانية، الحاصلة من التمرد والعناد والإنكار ومخالفة الرسل والسفراء الإلهية ﷺ والمعذب أمر داخلي غير خارج عن حيلة وجود المعذب؛ قال عزّ من قائل في سورة آل عمران: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» وقال في سورة بني إسرائيل «وكلّ إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشوراً» أقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» قال في سورة الكهف: «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها» .

قوله ص ١٤٦، س ١١: قال سقراط معلم أفلاطون: «أما الذين ارتكبوا الكبائر فإنهم يلقون في طرطارس الخ» .

نقل المصنف في أكثر كتبه هذا الكلام من السقراط ولم نتحقق مأخذ هذا النقل إلى الآن، مضمونه موافق لبعض الآيات والروايات والمأثورات الدالة على

خروج بعض العصاة والفجار عن النار . قوله : «ينادون منه خصومهم يسئلونهم الإحضار على القصاص» لا يخلو عن تشويش ، بل غير صحيح والأنسب أن يكون يسئلونهم العفو عن القصاص أو ما يشبه هذه العبارة ؛ يظهر من كلام سقراط أنه كان قائلاً بخلود الكفرة والفجرة والعصاة الذين رسخت في نفوسهم ملكات الردية والصور البهيمية في النار أبد الأبد ، وخروج بعض العصاة الذين ندموا على ذنوبهم مدة عمرهم وقصرت آثامهم عن النار والدخول إلى دار الرحمة ، بعد زوال منشأ العذاب عن نفوسهم ؛ لأن الصور الحاصلة من الأعمال السيئة مالم تصر ملكة راسخة في النفس ، يمكن زوالها وبطلانها وترجع النفس بعد زوالها إلى صفاء ذاتها وحقيقتها ، وقد حقق هذا الأمر في مباحث تجسم الأعمال وحصول الملكات وتصوير النيات يوم الآخرة ، وقد قررنا أن لكل صفة راسخة وملكة نفسانية وصفة غير راسخة ، ظهوراً خاصاً في كل موطن ونشأة ، وربما تكون لصورة واحدة آثار مختلفة في مواطن مختلفة .

نقل وتحقيق

قال صدر المتألهين في «الشواهد الربوبية» (ص ٢١٩) : «الإشراق السادس عشر في كيفية خلود أهل النار الذين هم أهلها فيها . هذه مسألة عويصة موضع خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الكشف وكذا موضع خلاف بين علماء الكشف ، هل تسرمد العذاب عليهم إلى ما لا نهاية له أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء ، فينتهي العذاب فيهم إلى أجل مسمى ، مع اتفاقهم على عدم خروج الكفار منها وأنهم ماكثون إلى ما لا نهاية له ، فإن لكل من الدارين عُمَاراً ولكل منها ملاؤها ؛ والأصول الحكمية دالة على أن القسر لا يدوم على طبيعة ، وأن لكل موجود غاية يصل إليها يوماً وأن الرحمة الإلهية وسعت كل شيء ، كما قال جل شأنه : «عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء» وعندنا أيضاً أصول دالة على أن الجحيم وآلامها وشرورها دائمة بأهلها ، كما أن الجنة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها ، إلا أن الدوام لكل منهما على معنى آخر . وأنت تعلم

أن نظام الدنيا لا ينصلح إلا بنفوس غليظة وقلوب قاسية ولو كان الناس كلهم سعداء ، لاختل النظام . « إلى أن قال : « فإذا كان وجود كل طائفة بحسب قضاء إلهي ومقتضى ظهور اسم رباني ، فيكون لها غايات طبيعية ومنازل ذاتية ، والأمور الذاتية التي جبلت عليها الأشياء ، إذا وقع الرجوع إليها تكون ملائمة لذيدة وإن وقعت المفارقة عنها أمدأ بعيداً ، كما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، والله متجل بجميع الأسماء في جميع المقامات فهو الرحمن الرحيم وهو العزيز الغفار . وفي الحديث : « لولا أن تذبذب لذهب بكم وجاء يقوم يذببون » .

ملخص مراده من هذه الكلمات وأشباهها التي ذكرها في هذا الكتاب وسائر كتبه في هذا البحث : أن جميع الموجودات متحركة إلى الحق الأول ، لأن لكل وجهة هو موليها « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم » وهو غاية كل شيء ونهاية كل موجود وقد قرر أن النهايات هي الرجوع إلى البدايات ، والتوجه إلى مبدأ الوجود والسير إليه ، فطري لكل موجود وانصراف الأشياء عن الحق وإنكارها له وتمرداها عن أوامره ونواهيه واكتساب الملكات الرذيلة الردية ، لا ينافي السعادة الذاتية والتوجه الجبلية .

وقد قرر في مقره أن جميع الحركات والانتقالات في الأشياء إلى الله وبالله وفي سبيل الله وكل شيء بحسب الفطرة ذاهب إليه ، وإذا حصلت في الكافر والمنافق والعاصي ملكات ردية ، حاصلة عن الكفر والنفاق والعصيان ، فلا محالة ينحرف عما فطر عليه وبقدر انحرافه عن الفطرة يعاقب في الآخرة ، إلا أن الفطرة الأصلية يقاوم مع العذاب ، والألم الناشئ عن التمرد ، ولما كان جوهر النفس مجرداً غير قابل للفساد والحق يتجلى في كل شيء بالرحمة الذاتية ومبدأ العذاب أمر عارض على الفطرة والذاتي يدوم والعرضي يزول والقسر ليس بدائمي ولا أكثر ، يرجع مآل كل موجود إلى الرحمة :

اصل نقدش لطف و داد و بخشش است

قهر بروی چون غباری از غش است

می دهد جان را فراقش گوش مال
تا بداند قدر ایام وصال
گفت پیغمبر که حق فرموده است
قصد من از خلق احسان بوده است
وفي الأدعية الماثورة «برحمتك التي وسعت بها كل شيء» .
آن خدای دان همه مقبول و نا قبول
من رحمة بدا وإلى ما بدا يؤول
از رحمت آمدند و به رحمت روند خلق
این است سر عشق که حیران کند عقول
خلقان همه به فطرت توحید زاده اند
این شرك عارضی شمر و عارضی يزول
يك نقطة دان حکایت ما کان و مایکون
این نقطه گه صعود نماید گهی نزول
قال-ره-: نقل في الفتوحات: «إنهم يخرجون إلى الجنة، حتى لا يبقى فيها أحد من
الناس ويبقى أبوابها تصطفق وينبت في قعر جهنم الجرجير» .
اقول: سبقة الرحمة على الغضب لاتنافي دوام العذاب، لأن الرحمة الرحمانية
التي وسعت كل شيء غير العنايات الخاصة التي تشمل أهل الإيمان دون أهل الكفر
والعصيان، نعم غلبة الرحمة على الغضب غير قابلة للإنكار والمخلدون في النار بالنسبة
إلى أهل النجاة أقلون .
والحق أن دار الجحيم دار بلاء ونقمة آلامها وشرورها دائمية، وليس لأهلها خلاص
عن هذا السجن، والآيات القرآنية والمأثورات النبوية والولوية ناطقة على خلود أهل
الكفر والعصيان في النار على الدوام، ومن حمل العذاب على العذب وحمل الخلود
على الزمان الطويل لعب بالآيات القرآنية والروايات الواردة عن أهل العصمة
والطهارة (عليهم السلام)، والسر في ذلك أن الدار الآخرة، دار فعلية وكمال وينتهي فيها الحركات

وليست بدار إعداد واستعداد؛ لأن النفس في الآخرة مستكفية بذاتها وقد قررنا في مقره أن النفوس بحسب بدو الوجود وإن كانوا داخلين تحت نوع واحد، لكن بحسب الحشر والنشأة الأخروية أنواع متباعدة.

ولاشك أنه بناءً على الحركة الجوهرية، النفس الناطقة تتصور بصور مناسبة لأفعالها، وأعمالها في هذه النشأة الهيآت الردية المظلمة والصور البهيمية الكدرة، إذا بلغت إلى حد تصورت النفس بها وصارت داخلية في وجود النفس واستحكمت بنيانها في الروح، بحيث صارت منشأ فعليتها لا يمكن زوال هذه الصور المولمة الموزية، وما تزول في الآخرة عن النفوس ويتخلص النفس عن آلامها وشروها إنما هي أعراض غريبة غير داخلية في جوهر النفس وهوية وجودها، وأما الذين رسخت في باطن وجودهم هذه الملكات، ليس لهم رافع خارجي ولا داخلي ولا يرتفع عنهم العذاب، بل يدور عليهم دائماً ويتجدد عليهم أزلاً وأبداً وإذا لم تكن لهم حركة مستقيمة، فلامحالة يقفون في النار وغاية حركاتهم تجدد العذاب ومبدأ هذا العذاب جوهر ذواتهم وحقيقتهم والمبدأ دائمى بدوام الحق والعذاب تابع له والوجود الفاضل عن الحق يمر على المؤمن والكافر، على الأول رحمة ونعيم وروح وريحان وعلى الكافر عذاب وغصة:

بريكي زهراست و بر ديگر شكر

وفي الصحيفة الملوكوتية «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب» و «ان شجرة الزقوم * طعام الاثيم * كالمهل يغلى في البطون * كغلى الحميم .»
فللعذاب صعود ونزول إعداداً وإيجاباً بالنسبة إلى النفوس والأبدان الأخروية ولا يمكن لأهل الخلود الخروج عن دائرة العذاب، فلا مبدأ لحركة أهل الجحيم لا خارجاً ولا داخل، لأن الخروج ناشئ عن الحركة المستقيمة طولا، وإذا كان مبدأ الحركة نفس ذات المتحرك، فلامحالة يدور على نفسه في الحركة، فمادام ذاته باقية فالعذاب باق والمتحرك في الآخرة مستكف بذاته ومبدأ ذاته وغاية وجود أهل النار ذوق العذاب.

وهم و تنبيه

راجع به انقطاع یا عدم انقطاع عذاب از سکنه آتش اختلاف وجود دارد. اما موحد، مخلص در نار نیست؛ چه آن که اعتقاد به حق در غیبِ نفس آدمی تحقق دارد، از این رو موحدی که عاصی باشد تنها عذاب ظاهر او را فرامی گیرد نه باطن او را «والله غالب علی أمره»، و اما غیر موحد: در جای خود به تحقیق پیوسته است که همه موجودات به علم بسیط عالم به حقند، و این علم بسیط با انکار حق منافاتی ندارد. و انغمار در معاصی موجب سریان عذاب بر همه وجود عصاة است.

انسانهایی که در موطن غیب و عالمی که در آن عالم به وجود خاص خود، وجود ندارند طالب تحقق خارجی هستند، و به لسان خاص آن نشاء از حق طلب نزول به دنیا را دارند، و این حکم شامل مؤمن و کافر و عاصی و مطیع می شود. پس همه انسانها امر تکوینی حق متعال را امثال کرده اند، ولی در امر تشریعی و گردن نهادن به عبادات بعضی شقی و بعضی سعیدند.

هر موجودی اگر چه تحت امر مطلقه حق قرار دارد، ولی دارای ربوبیت خاصه نیز است که از آن به وجه خاص تعبیر نموده و لایشار که فیه غیره، فله ربُّ خاص که ذات مضاف به اسم خاص نام دارد. وهو «الذي أعطى كلَّ شيء خلقه». يك قسم از انواع رحمت، رحمت امتنانیه است که «أمتن بالرحمن» بوده، و رحمتی نیز رحیمیه است که «أوجب بالرحيم» است. و بدون شك و جوب در رحيم نیز از باب امتنان است که چه خوش فرمود: فدخل الرحيم في الرحمن على سبيل التضمن. ناچار رحمت رحمانیه سمت سیادت بر رحمت امتنانیه دارد، لذا در همه جا حق تعالی نام «رحمان» را بر اسمای دیگر مقدم دانسته است، و الشاهد علی ذلك بسم الله الرحمن الرحيم.

اسم مبارك «الله» احاطه به رحمن و رحيم دارد، و رحيم نیز از سوادن اسم رحمن است، وقال تعالى «سبقت رحمتي غضبي»، و کتب علی نفسه الرحمة، وهو أرحم الراحمين.

فقد ظهر مما ذكرناه انقطاع العذاب من الكفرة والفجرة مع ملاحظة سعة رحمة الله تعالى، وظهوره وسريانه في كل شيء. هذا مجمل الكلام في هذا المقام والتفصيل يقتضي مجالاً واسعاً. والحمد لله المشكور المعبود فيّاض الجود وواهب الوجود، وله الحمد والشكر وحده ابد الأبدين، والصلاة على رسله وأنبيائه خصوصاً على سيدنا محمد واسطة نزول البركات والحسنات وآله صلاة تامة دائمة.

قد تمّ تصحيح كتاب «المظاهر الإلهية» والتعليق عليها مع كمال العجلة في آخر شهر شوال المكرم سنة ١٣٨٠ من الهجرة النبوية المصطفوية. مشهد، جلال الدين الموسوي الأشتياني مدرس الفلسفة الإسلامية في جامعة مشهد

